سلسلة الأجزاء في التوحيد والعقيدة

(3)

جـــــزء

فـــي النفـاق

جـــمع وتـبـويـب

عـــلـي بن خـضـيـر الـخـضـيـر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فهذا جزء يسّر الله جمعه وتبويبه ، مبني على ذكر أدلة من آيات كريمات وأحاديث نبوية وإجماعات منقولات لبعض أهل العلم في مسألة معينة على طريقة تأليف القدماء من السلف في الاقتصار في التأليف على الأدلة الشرعية فقط مع تبويب ما تيسر (إلا تعليقات يسيرة توضيحية في الحاشية) .

وقصدي من مصطلح الجزء هو مجموعة الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع وأقوال أهل العلم فقط في بيان مسألة واحدة معينة من مسائل التوحيد والعقيدة على وجه الاختصار ، ثم تبويبها لبيان وتوضيح تلك المسألة ، والتبويب هو أوضح ما يُبين المقصود من الأدلة الشرعية المذكورة .

وكلمة جزء في اللغة : القطعة من الشيء . أما في اصطلاح أهل العلم فهو : كتاب صغير يشمل موضوعا واحدا .

وكلمة جزء اقتبسناها من كلام أهل العلم في مجال علم الحديث والعقيدة والفقه .

قال المباركفوري رحمه الله في مقدمة كتابه تحفة الاحوذي بشرح الترمذي 1/84 قال : الفصل الثامن عشر في ذكر كتب الحديث التي صنفت في أبواب خاصة ويقال لها الأجزاء .

ثم نقل كلام السيوطي في التدريب قال : ويجمعون الأبواب بان يُفرد كل باب على حده بالتصنيف ، كرؤية الله تعالى أفرده الاجري ، و(جزء) رفع اليدين في الصلاة و(جزء) القراءة خلف الإمام أفردهما البخاري ، و(جزء) النية أفردها ابن أبي الدنيا ، و(جزء) القضاء باليمين والشاهد أفرده الدار قطني ، والقنوت أفرده ابن منده ، والبسملة أفرده ابن عبد البر اهـ . وما سبق أمثلة للأجزاء في مجال العقيدة والفقه .

أما الحديث فمثل جزء سفيان بن عيينة ، و جزء المؤمل بن ايهاب ، و جزء أيوب السختياني، و جزء فيه أحاديث أبي الزبير عن غير جابر ، والأحاديث العوالي من جزء ابن عرفة وغير ذلك كثير .

وهذا الجزء إن شاء الله تعالى هو رابع جزء في باب الاجزاء ، وهو الجزء الثالث في باب العقيدة والتوحيد يسر الله إخراجها وقد

سبقه جزء في أصل دين الإسلام (التوحيد والرسالة) ، وجزء جهل والتباس الحال ، وسوف يتبعه إن شاء الله أجزاء أخرى في باب العقيدة والتوحيد مثل :
4 ـ جزء في اهل الاهواء والبدع والمتاولين .
5 ـ جزء في الطاغوت .
6 ـ جزء الهجرة والدار .
7 ـ جزء في البيعة والإمامة .
وهذا الجزء الذي بين أيدينا قد أطلنا فيه النقول من أهل السنة على غير العادة في الاجزاء التي سبقته نظرا لأهمية الموضوع ، ونظرا للحاجة الماسة حتى يتضح المراد ، فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ فمني والشيطان وهو مردود .
ورحم الله من نصحنا وقوّمنا فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . علما بأنني عرضت هذا الجزء على جمع من العلماء وطلبة العلم لمراجعته وإفادتي بالملاحضات ، فأفادني بعضهم وتأخر بعضهم ولعله لمانع خير ، فرأيت نشره الآن ، ولعل إن شاء الله في وقت لاحق إن جاءت ملاحظات مهمة وجوهرية أن أذكرها فيما بعد .
نسأل الله التوفيق والإعانة وأن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين .
وأردت في الأصل جمعه وتقريره على طلابي وفقهم الله , ثم لمن أراد الاستفادة منه من طلبة العلم وفقهم الله وسددهم ، على تقصير مني وضعف وخطأ .
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق ويعين.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه
علي بن خضير الخضير
القصيم ـ بريدة
شعبان 1423 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ تمهيد

قال البخاري في صحيحه فـي كتـاب الإيمـان ، بـاب سـؤال جبريـل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمـان والإسـلام والإحسـان ، ثـم قال جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم فجعـل ذلـك كلـه دينـا : عن أبي هريرة قال كان النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بـارزا يومـا للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان ؟ ثم قال ما الإسلام ؟ ثم قــال ما الإحسان ؟.. الحديث الى أن قال : هذا جبريل جاء يعلـم النـاس دينهم اهـ ورواه مسلم عن عمر .

قال البخاري في صحيحه في كتاب الإيمـان : بـاب خـوف المـؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشـعر ، وقـال بـن أبـي مليكـة : أدركـت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخـاف النفـاق على نفسه ، ما منهم أحد يقول إنه علي إيمـان جبريـل وميكائيـل ، ويذكر عن الحسن ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق .

وعن حذيفة بن اليمان قال كان الناس يسألون رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم عـن الخيـر ، وكنـت أسـأله عـن الشـر مخافـة أن يدركني . الحديث

قال ابن تيمية رحمه اللـه فـي الفتـاوى 7 /ـ 212 فـإن كـثيرا مـن المتأخرين ما بقى في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق وأعرضوا عن حكم المنافقين ، والمنافقون ما زالوا ولا يزالون الى يوم القيامة ، والنفاق شـعب كـثيرة ، وقـد كـان الصـحابة يخـافون النفاق على أنفسهم اهـ

وقال أيضا في الفتاوى 7/617 فإن كثيرا من الفقهاء يظن أن مـن قيـل هـو كـافر فـإنه يجـب أن تجـري عليـه **أحكـام المرتـد ردة ظاهرة** فلا يرث ولا يورث ولا يناكـح حـتى أجـروا **هـذه الأحكـام** على من كفروه بالتأويل من أهل البدع ، وليس الأمر كذلك فإنه قد ثبـت أن النـاس كـانوا ثلاثـة أصـناف مـؤمن وكـافر مظهـر للكفـر ومنافق مظهر للإسـلام مبطـن للكفـر ، وكـان فـى المنـافقين م ن يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل مـن لا يشـكون فـى نفـاقه ومـن نزل القرآن ببيان نفاقه كإبن أبى وأمثاله ، ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون وكان إذا مـات لهـم ميـت آتـوهم ميراثـه وكانت تعصم دماؤهم حتى تقوم السنة الشرعية علـى أحـدهم بمـا يوجب عقوبته اهـ .

وقال ايضا : الفتاوى 28 / 231 ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة او العبادات المخالفة للكتاب والسنة فـان بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسـلمين حـتى قيـل لاحمد بن حنبل الرجل يصوم ويصلى ويعتكف أحـب اليـك أو يتكلـم فى أهل البدع فقال اذا قام وصلى واعتكف فانمـا هـو لنفسـه واذا تكلم فى أهل البدع فانما هو للمسـلمين هـذا أفضـل فـبين أن نفـع هذا عام للمسلمين فى دينهم من جنس الجهـاد فـى سـبيل اللـه اذ تطهيـر سـبيل اللـه ودينـه ومنهـاجه وشـرعته ودفـع بغـى هـؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكـان فسـاده أعظـم مـن فساد استيلاء العدو مـن أهـل الحـرب فـان هـؤلاء اذا اسـتولوا لـم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين الا تبعا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء ..

الى ان قال : ولهذا أول مـا بعـث اللـه رسـوله أنـزل عليـه الكتـاب ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حـتى هـاجر وصـار لـه أعـوان علـى الجهاد .

الى ان قال : وأعداء الدين نوعان الكفار والمنافقون وقد أمرالله نبيه بجهاد الطـائفتين فـى قـوله **(جاهد الكفـار والمنـافقين واغلظ عليهم**) فى آيتين من القرآن فاذا كان أقـوام منـافقون يبتـدعون بـدعا تخـالف الكتـاب ويلبسـونها علـى النـاس ولـم تـبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الـدين كمـا فسـد ديـن أهـل الكتـاب قبلنا بما وقع فيه من التبـديل الـذى لـم ينكـر علـى أهلـه واذا كـان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبـس عليهـم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة الى بدع المنافقين كما قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكـم الا**

خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء .
بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فان فيهم ايمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وانها خير وانها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية ومن يغلط فى الرأى والفتيا ومن يغلط فى الزهد والعبادة ، وان كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده فبيان القول والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة واجب وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز ان يذكر على وجه الذم والتاثيم له فان الله غفر له خطأه بل يجب لما فيه من الايمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك وان علم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله مثل عبد الله بن أبى وذويه وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضه عبد الله بن سبأ وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكر بالنفاق وان اعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقا أو مؤمنا مخطئا ذكر بما يعلم منه فلا يحل للرجل ان يقفو ما ليس له به علم ولا يحل له ان يتكلم فى هذا الباب الا قاصدا بذلك وجه الله تعالى وان تكون كلمة الله هى العليا وان يكون الدين كله لله .
فمن تكلم فى ذلك بغير علم او بما يعلم خلافه كان آثما وكذلك القاضى والشاهد والمفتى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل علم الحق فقضى بخلاف ذلك فهو فى النار) وقد قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تالووا وتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا)** و اللى هو الكذب و الاعراض كتمان الحق ومثله ما فى الصحيحين عن النبى انه قال (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) ثم القائل فى ذلك بعلم لابد له من حسن النية فلو تكلم بحق لقصد العلو فى الارض او الفساد كان بمنزلة الذى يقاتل حمية ورياء ان تكلم لأجل الله تعالى مخلصا له الدين كان من المجاهدين فى

سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل وليس هذا البـاب مخالفـا لقوله (الغيبة ذكرك اخاك بما يكـره) فـان الأخ هـو المـؤمن والأخ المؤمن إن كان صادقا فى ايمانه لم يكره م ا قلتـه م ن هـذا الحـق الذى يحبه الله ورسوله وان كان فيه شهادة عليـه وعلـى ذويـه بـل عليه أن يقوم بالقسط ويكون شاهدا لله ولو على نفسـه او والـديه او قريبه ومتى كره هذا الحـق كـان ناقصـا فـى ايمـانه ينقـص مـن اخوته بقدر ما نقص من ايمانه فلم يعتـبر كراهتـه مـن الجهـه الـتى نقص منها ايمانه اذ كراهته لما لا يحبه اللـه ورسـوله تـوجب تقـديم محبة الله ورسوله كمـا قـال تعـالى **(والله ورسـوله احـق ان يرضوه)** ثم قد يقال هذا لم يدخل فى حديث الغيبة لفظا ومعنـى وقد يقال دخل فى ذلك الذين خص منه كما يخص العموم اللفظـى والعموم المعنوى وسواء زال الحكم لزوال سببه او لوجود مـا نعـه فالحكم واحد والنزاع فى ذلك يؤول الى اللفظ اذ العلة قد يعنى بها التامة وقد يعنى بها المقتصرة والله اعلم واحكم وصلى علـى نبينـا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ

1 ـ كتاب تعريف النفاق
2 ـ باب ما هو النفاق ؟

قال الفريابي رحمه الله في كتابه صفة المنافق حدثنا أبـو بكـر بـن أبي شيبة حدثنا وكيع عن الأعمش وسفيان عن أبي المقـدام ثـابت بن هرمز عن أبي يحيى قال (سئل حذيفة من المنافق قـال الـذي يصف الإسلام ولا يعمل به) .

وعن حذيفة قال (المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا أبا عبد الله وكيف ذاك ؟ قال إن أولئك كـانوا يسـرون نفـاقهم وإن هؤلاء يعلنون) رواه مسلم .

قال في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع 1 / 156 ومنهم (أي المرجئـة) صـنف زعمـوا أن ليـس فـي هـذه الأمـة نفـاق ، وسـئل حذيفة عن النفاق فقال (أن تتكلم باللسان ولا تعمل به) .

وقال أيضا رحمه الله حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حـدثنا أبـو أسـامة عن أبي الأشهب قـال قـال الحسـن (مـن النفـاق اختلاف اللسـان والقلب واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج) حـدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا مروان بن معاويـة الفـزاري حـدثنا عوف الأعرابي عن الحسن قال (كان يقـال النفـاق اختلاف السـر والعلانيـة والقـول والعمـل والمـدخل والمخـرج ، وكـان يقـال أس النفاق الذي يبنى عليه النفاق الكذب) .

وقال أيضا رحمه الله حدثنا أحمد بن خالد حدثنا شعيب بن حرب حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال (المنافق يعبد هواه لا يهوى شيئا إلا ركبه) .
وقال أيضا رحمه الله حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا وكيع عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال (المنافق الذي إذا صلى راءى بصلاته وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله) .
قال ابن تيمية في الفتاوى 11 /140 ... والنفاق يطلق على النفاق الأكبر الذى هو إضمار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر الذى هو اختلاف السر والعلانية فى الواجبات[1] اهـ قلت وفي المحرمات .
وقال أيضا في الفتاوى 11 /ـ 141 فأطلقت لفظ النفاق على إبطان الكفر وإبطان المعصية .
وقال أيضا الفتاوى 11 / 143 ولفظ النفاق من هذا الباب فإنه فى الشرع إظهار الدين وإبطان خلافه وهذا المعنى الشرعى أخص من مسمى النفاق فى اللغة فإنه فى اللغة أعم من اظهار الدين ثم إبطان ما يخالف الدين[2] ما أن يكون كفرا أو فسقا فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر الذى أوعد صاحبه بأنه فى الدرك الاسفل من النار ، وإن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك ، فهذا هو النفاق الأصغر الذى يكون صاحبه فاسقا ، فاطلاق النفاق عليهما فى الأصل بطريق التواطؤ ، وعلى هذا فالنفاق اسم جنس تحته نوعان : نفاق في أصل ، ونفاق في الشرائع اهـ المقصود .
قال في الفصل في الملل 3 / 128 وروى عن الحسن البصري وقتادة رضي الله عنهما أن صاحب الكبيرة منافق .
قال في الفتاوى 7 /524 ومن هذا الباب ما يروى عن الحسن البصري ونحوه من السلف أنهم سموا الفساق منافقين فجعل أهل المقالات هذا قولا مخالفا للجمهور إذا حكوا تنازع الناس فى الفاسق الملى هل هو كافر أو فاسق ليس معه إيمان أو مؤمن كامل الإيمان أو مؤمن بما معه من الايمان فاسق بما معه من الفسق أو منافق ، والحسن رحمه الله تعالى لم يقل ما خرج به عن الجماعة لكن سماه منافقا على الوجه الذي ذكرناه ، والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيرا ما يقال كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال الشرك شركان أصغر وأكبراهـ .

3 ـ باب قول أهل البدع في المنافق

[1] ـ ومثله أن النفاق الأكبر هو في اختلاف السر والعلانية في الكفريات والشركيات .
[2] ـ هذا التعريف العام الذي يشمل جميع أفراده .

قال الفريابي في كتابه صفة المنافق حدثنا زكريا بن يحيى البلخـي حدثنا أبو مطيع عن جعفر بن حيان قال قيل للحسن إنهم يقولون لا نفاق (أي المرحئة) فقال الحسن لإن أعلم أني بريء مـن النفـاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهبا . حدثنا شيبان بن فـروخ حـدثنا أبـو الأشهب عن طريف قال قلت للحسن يا أبا سعيد إن ناسا يزعمون أن لا نفاق أولا يخافون النفـاق شـك أبـو الأشـهب فقـال واللـه لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهبا .
وقال حدثنا أبو قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي بالفرياب سنة سبع وعشرين يعني ومائتين قال سمعت عبـد الرحمـن بـن مهـدي عن سلام بن أبـي مطيـع ح وحـدثنا يعقـوب بـن إبراهيـم الـدورقي ببغداد سنة أربع وثلاثين ومائتين حدثنا عبد الرحمن بـن مهـدي عـن سلام بـن أبـي مطيـع قـالا جميعـا سـمعنا أيـوب وعنـده رجـل مـن المرجئة فجعل الرجل يقول إنما هـو الكفـر والإيمـان قـال وأيـوب سـاكت قـال فأقبـل عليـه أيـوب فقـال أرأيـت قـوله (**وآخـرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم)** أمؤمنـون هم أم كفار ؟ قال فسكت الرجـل قـال فقـال أيـوب اذهـب فـاقرأ القرآن فكل آية فـي القـرآن فيهـا ذكـر النفـاق فـإني أخافهـا علـى نفسي .
وقال أيضا حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني حدثنا زيد بن أبي الزرقاء عن سفيان الثوري قال خلاف ما بيننـا وبيـن المرجئـة ثلاث نقول الإيمان قـول وعمـل وهـم يقولـون الإيمـان قـول ولا عمـل ، ونقول الإيمان يزيد وينقص وهم يقولون لا يزيـد ولا ينقـص ، ونحـن نقول النفاق وهم يقولون لا نفاق .
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون :
في حديث (أربع من كن فيه) وهذا الحديث قد حمله طائفة ممن يميل إلى الإرجاء على المنافقين الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم حدثوا النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه .
وقد روى محمد المحرم هذا التأويل عن عطاء وأنه قال حدثني به جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أن الحسن رجع إلى قول عطاء هذا لما بلغه عنه ، وهذا كذب والمحرم شيخ كذاب معروف بالكذب وقد روى عن عطاء هذا لما بلغه من وجهين آخرين ضعيفين أنه أنكر على الحسن قوله (ثلاث من كن فيه فهو منافق) ، وقال حدث إخوة يوسف فكذبوا ووعدوا فأخلفوا وائتمنوا فخانوا ولم يكونوا منافقين وهذا لا يصح عن عطاء والحسن ، أم

هذا من عنده ! وإنما بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فالحديث ثابت عنه صلى الله عليه وآله وسلم لا شك في ثبوته وصحته ، والذي فسره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه . وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين : أحدهما النفاق الأكبر والثاني الأصغر اهـ المقصود .
وقال ابن رجب أيضا : قال سفيان الثوري (خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث فذكر منها قال نحن نقول نفاق وهم يقولون لا نفاق) وقال الأوزاعي : قد خاف عمر النفاق على نفسه قيل لهم إنهم يقولون إن عمر لم يخف أن يكون يومئذ منافقا حتى سأل حذيفة ولكن خاف أن يبتلي بذلك قبل أن يموت قال هذا قول أهل البدع يشير إلى أن عمر كان يخاف على النفاق على نفسه في الحال الظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف نفسه في الحال من النفاق الأصغر والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر كما أن المعاصي بريد الكفر وكما يخشي على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت كذلك يخشي على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا .
وسئل الإمام أحمد ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق قال ومن يأمن على نفسه النفاق وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقا وروى نحوه عن حذيفة وقال الشعبي من كذب فهو منافق وحكي محمد بن نصر المروزي هذا القول عن فرقة من أهل الحديث .
وقد سبق في أوائل الكتاب ذكر الاختلاف عن الإمام أحمد وغيره في مرتكب الكبائر هل يسمي كافرا كفرا لا ينقل عن الملة أم لا ؟ واسم الكفر أعظم من اسم النفاق ولعل هذا هو الذي أنكره عطاء على الحسن إن صح ذلك عنه . (وقد ذكره في الحديث الثاني فقال ابن رجب : ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفى الإسلام عمن ترك شيئا من واجباته كما ينفي الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أيضا وقد اختلف العلماء هل يسمى مرتكب الكبائر كافرا صغيرا أو منافقا النفاق الأصغر ولا أعلم أن أحدا منهم أجاز إطلاق نفى اسم الإسلام عنه اهـ)
قال في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع 1 / 156 ومنهم (أي المرجئة) صنف زعموا أن ليس في هذه الأمة نفاق ، وسئل حذيفة عن النفاق فقال (أن تتكلم باللسان ولا تعمل به) .
قال ابن تيمية في الفتاوى 7 / 353 وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية **والمرجئة كراميهم وغير**

كراميهم يقولون إنه لا يجتمع فى العبد إيمان ونفـاق ومنهـم مـن يدعى الاجمـاع علـى ذلـك وقـد ذكـر أبـو الحسـن فـى بعـض كتبـه الإجماع على ذلك ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتـاب والسـنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مـع مخالفـة صـريح المعقـول بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصـل الفاسـد وقـالوا لا يجتمـع فى الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بهـا العقاب .

فصل

وقال الاشـعري فـي مقـالات الإسـلاميين 1 / 141عـن الكراميـة أصحاب محمد بن كرام وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله كانوا مؤمنين على الحقيقة .

قال صاحب كتاب الفرق بين الفرق 1 / 343 في قـول الكراميـة أنهم الذين زعمـوا أن الإيمـان هـو الاقـرار الفـرد سـواء كـان معـه إخلاص أو نفاق .

قـال فـي الفـرق بيـن الفـرق 1 / 9 وزعمـت الكراميـة مجسـمة خراسان أن أمة الاسلام جامعـة لكـل مـن أقـر بشـهادتي الاسـلام لفظا وقالوا كل من قال لا إله الا الله محمد رسول الله فهو م ـؤمن حقا وهو من أهل ملـة الاسـلام سـواء كـان مخلصـا فيـه أو منافقـا مضمر الكفر فيه والزندقـة ولهـذا زعمـوا أن المنـافقين فـي عهـد رسـول اللـه كـانوا مـؤمنين حقـا وكـان إيمـانهم كايمـان جبريـل وميكائيل والانبياء والملائكة مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين .

فصل

قال ابن تيمية في الفتاوى 7 / 353 وطوائـف اهـل الأهـواء **من الخوارج** والمعتزلة والجهمية والمرجئـة كراميهـم وغيـر كراميهـم يقولون إنـه لا يجتمـع فـى العبـد ايمـان ونفـاق ومنهـم مـن يـدعى الاجماع على ذلك وقد ذكر أبو الحسن فى بعض كتبه الإجماع علـى ذلك ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصـحابة والتابعين لهم بإحسـان مـع مخالفـة صـريح المعقـول بـل الخـوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد وقالوا لا يجتمـع فـى الشـخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بها العقاب .

أ - قال صاحب كتاب الفرق بين الفرق 1 / 63 في أقوال الخوارج الازارقة ومنها أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم أن يدفع اليه أسـير مـن مخـالفيهم وأمـروه بقتلـه فـإن قتلـه صدقوه في دعواه أنه منهم وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه .

ب ـ قال الاشعري في مقالات الإسلاميين 1 / 91 قالت الخوارج النجدات اتباع : نجدة الحنفي : ومن ثقل عن هجرتهم فهو منافق .
وقال ابن حزم في الفصل في الملـل 4 / 145 وقـالت النجـدات وهم أصحاب نجدة الحنفي ليس على الناس أن يتخـذوا امامـا انمـا هم عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وقالوا من ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق .
ج ـ قال في مقـالات الإسـلاميين 1 / 105 أن الخـوارج الاباضـية اختلفوا في النفاق فصاروا ثلاث فرق :
فالفرقــة الاولـى : منهـم يزعمـون ان النفـاق بـراءة مـن الشـرك واحتجوا في ذلك بقول الله عز وجل **(مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء)** .
والفرقة الثانية منهم يقولون ان كل نفاق شرك لانه يضاد التوحيد .
والفرقة الثالثة منهم يقولون لسنا نزيل اسـم النفـاق عـن موضـعه وهو دين القوم الذين عناهم الله بهذا الاسـم فـي ذلـك الزمـان ولا نسمى غيرهم بالنفاق... وقال القوم الذين زعموا ان المنافق كافر وليس بمشرك ان المنافقين على عهد رسول اللـه كـانوا موحـدين وكانوا اصحاب كبائر.
وقال ابن حزم عن الاباضية في الملل والنحل 1 / 135 ثم اختلفوا في النفاق أيسمى شركا أم لا قالوا إن المنافقين في عهـد رسـول الله صلى الله عليه وسلم كـانوا موحـدين إلا أنهـم ارتكبـوا الكبـائر فكفروا بالكبيرة لا بالشرك .
قال في الفرق بين الفرق 1 / 85 وزعمت الأباضـية كلهـا أن دور مخالفيهم من أهل مكـة دار توحيـد الا معسـكر السـلطان فـإنه دار بغى عندهم واختلفوا في النفاق على ثلاثة أقوال فقال فريق منهـم إن النفاق براءة من الشرك والايمان جميعا واحتجوا بقول الله عــز وجل في المنافقين (**مذبذين بين ذلك لا الى هـؤلاء ولا الـى هؤلاء**) وفرقة منهم قالت كـل نفـاق شـرك لأنـه يضـاد التوحيـد ، وفرقة ثالثـة قـالت لا نزيـل اسـم النفـاق عـن موضـعه ولا نسـمى بالنفاق غير القوم الـذين سـماهم اللـه تعـالى منـافقين ومـن قـال منهم بـأن المنـافق ليـس بمشـرك زعـم أن المنـافقين علـى عهـد رسول الله كانوا موحـدين وكـانوا أصـحاب كبـائر فكفـروا وإن لـم يدخلوا في حد الشرك ، قال عبد القاهر بعد الجملـة الـتى حكيناهـا عنهم شذوذ من الأقوال انفردوا بها منها أن فريقا منهـم زعمـوا أن لا حجة لله تعالى على الخلائق فـي التوحيـد وغيـره الا بـالخبر ومـا يقوم مقام الخبر من إشارة وايماء ومنها أن قوما منهـم قـالوا كـل من دخل فى دين الاسلام وجبت عليه الشرائع والاحكام سـمعها أو

عرفها أو لم يسمعها ولم يعرفها وقال سائر الامة لا يـأثم بـترك مـا لم يقف عليه منها إلا أن ثبتت عليه الحجة فيه .
قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس 1 / 28 والأباضية قالوا من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق .

فصل

قال الاشعري في مقالات الإسلاميين 1 / 286 ذكر قول البكريـة وهم اصحاب بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد والذى كان يذهب اليه في الكبائر التى تكون من اهل القبلة انهـا نفـاق كلهـا وان مرتكـب الكبيرة من اهل الصلاة عابد للشيطان مكذب لله سبحانه جاحد لـه منافق في الدرك الاسفل من النار مخلد فيها ابـدا ان مـات مصـرا وانه ليس في قلبـه لله عـز وجـل اجلال ولا تعظيـم وهـو مـع ذلـك مؤمن مسلم وقال صاحب الفرق بين الفرق 1 / 200 واما البكرية فاتباع بكر بن اخت عبد الواحـد بـن زيـد وكـان يوافـق النظـام فـى دعواه ان الانسان هو الروح دون الجسد الذى فيـه الـروح ويوافـق اصحابنا فى ابطال القول بالتولد وفى ان الله تعـالى هـو المخـترع الألم عند الضرب وأجاز وقوع الضرب من غيـر حـدوث ألـم وقطـع بعدها كما أجاز ذلك أصحابنا وانفرد بضلالات اكفرته الامة فيها منها قوله بأن الله تعالى يرى فى القيامة في صورة يخلقهـا وانـه يكلـم عباده من تلك الصورة ومنها قـوله فـى الكبـائر الواقعـة مـن اهـل القبلة انها نفاق وان صاحب الكـبيرة منـافق وعابـد للشـيطان وان كان من اهل الصلاة وزعم ايضـا انـه مـع كـونه منافقـا مكـذب للـه تعالى جاحد له وان يكون فى الدرك الاسفل من النـار مخلـدا فيهـا وانه مع ذلك مسلم ومؤمن .

فصل

قال صاحب كتاب الفرق بين الفرق 1 / 305 عن النظام ان مـن اقواله ان المتعمـد للخلاف بلا حجـة منـافق كـافر او فاسـق فـاجر وكلاهما من أهل النار على الخلود .
قال ابن تيمية في الفتـاوى ج: 7 ص: 353 وطوائـف اهـل الأهـواء مـن الخـوارج **والمعتزلـة** والجهميـة والمرجئـة كراميهـم وغيـر كراميهم يقولون إنه لا يجتمع فـى العبـد ايمـان ونفـاق ومنهـم مـن يدعى الاجمـاع علـى ذلـك وقـد ذكـر أبـو الحسـن فـى بعـض كتبـه الإجماع على ذلك ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتـاب والسـنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مـع مخالفـة صـريح المعقـول بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصـل الفاسـد وقـالوا لا يجتمـع فى الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بهـا العقاب .

فصل

قال صاحب كتاب الفرق بين الفرق 1 /ـ 305 عن النظام ان مـن اقواله ان المتعمـد للخلاف بلا حجـة منـافق كـافر او فاسـق فـاجر وكلاهما من أهل النار على الخلود .
قال ابن تيمية في الفتـاوى ج: 7 ص: 353 وطوائـف اهـل الأهـواء مـن الخـوارج والمعتزلـة **والجهميـة** والمرجئـة كراميهـم وغيـر كراميهم يقولون إنه لا يجتمع فـى العبـد ايمـان ونفـاق ومنهـم مـن يدعى الاجمـاع علـى ذلـك وقـد ذكـر أبـو الحسـن فـى بعـض كتبـه الإجماع على ذلك ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتـاب والسـنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مـع مخالفـة صـريح المعقـول بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصـل الفاسـد وقـالوا لا يجتمـع فى الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بهـا العقاب .

2 ـ كتاب باطن المنافق وظاهره

4ـ باب ماهو باطن المنافق ؟

قـال تعـالى (**أم حسب الـذين فـي قلـوبهم مـرض أن لـن يخـرج اللـه أضـغانهم ولـو نشـاء لأرينـاكهم فلعرفتهـم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**) **.**
وقال تعالى **(اتخذوا أيمانهم جنة)** وقـال تعـالى **(يعتـذرون إليكم إذا رجعتهم إليهم)** الآية ، وقال تعالى **(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)** الآية .
وعن حذيفة قال (المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنـافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا أبا عبد الله وكيف ذاك ؟ قال إن أولئك كـانوا يسـرون نفـاقهم وإن هؤلاء يعلنون) .
قال ابن تيمية في الصارم : ونفاقهم يعرف تـارة بالكلمـة يسـمعها منهم الرجل المـؤمن فينقلهـا الـى النـبي فيحلفـون بـ الله أنهـم مـ ا قالوهـا أو لايحلفـون ، وتـارة بمـا يظهـر مـن تـأخرهم عـن الصـلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهية منهم لكثير من أحكـام الله ، وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال تعالى (**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللـه أضـغانهم ولـو نشـاء لأرينـاكهم فلعرفتهـم بسـيماهم ولتعرفنهـم فـي لحن القول**) فأخبر سبحانه أنه لوشاء لعرفهم رسـوله بالسـيماء في وجوههم ثم قال (**ولتعرفنهم في لحن القـول**) فأقسـم على أنه لابد أن يعرفهـم فـي لحـن القـول ومنهـم مـن كـان يقـول القول أو يعمل العمل فينزل القرآن يخـبر أن صـاحب ذلـك القـول

والعمل منهم كما في سورة براءة (ومنهم ومنهم) وكان المسلمون أيضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ، ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**) ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون ، وقد اتخذوا أيمانهم جنة اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين الرسول صلى الله عليه وسلم وتبرؤا من الشرك بالقول والفعل ولم يبق إلا أشياء خفيه تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان في السر وقد تابوا من دينهم الأول وقتلوا الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة فقل لي . مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب 1 / 218 .

ومراتب المنافق في الباطن والظاهر ثلاثة مراتب :

1 ـ ما أسره في نفسه وكتمه ، ونحوه وما في حكمه ويأتي إن شاء الله زيادة توضيح . وهذا يسمى الباطن المحض .

2 ـ ما أظهره اظهارا عاما . وهذا يسمى بالإظهار الأكبر، أو الاظهار المحض

3 ـ بينهما وهي المرتبة المتوسطة وهي الإظهار الأصغر أو الإظهار الخاص: وهي ما أظهره عند شياطينه أو عند منافق مثله أوعند بعض المؤمنين يظن عدم ضررهم لكونهم صغارا أو أهل بيته أوفساقا سماعين له ، وكذا المبتدع اذا عاند . وهذا باطن باعتبار وظاهر باعتبار .

وكل مرتبة لها أحكام تختلف عن الأخرى ، والخلط في أحكامها أدى الى أغلاط وأخطاء .

وملخص الأسماء والأحكام في هذه المراتب الثلاث ، فالأول يطلق عليه اسم منافق وهو حكما معصوم الدم والمال ، والثالث وهو الأصغر يطلق عليه اسم منافق وبالنسبة للحكم أنه جائز القتل من الإمام أو العلماء ويُراعى في ذلك المصلحة والقدرة وفيه الإنذار والتوعد مع التكرار أو الإقامة عليه . أما الثاني فيطلق عليه اسم مرتد ، وإن ثبت بالبينة حكم عليه بالقتل ردة وجوبا .

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3/662 في قوله تعالى (**لئن لم ينته المنافقون**) الآية قال : والانتهاء في الاية ان يعنى به الانتهاء عن النفاق بالتوبة الصحيحة او الانتهاء عن اظهاره عند شياطينه وعند بعض المؤمنين والمعنى الثاني اظهر فان من المنافقين من لم ينته عن اسرار النفاق حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم وانتهوا عن اظهاره حتى كان في اخر الامر لا يكاد احد

يجتريء على اظهار شيء من النفـاق نعـم الانتهـاء يعـم القسـمين فمن انتهى عن اظهاره فقط او عن اسراره واعلانه خرج من وعيد هذه الاية ومن اظهره لحقه وعيدها.
وقال ابن تيمية أيضا في الصارم المسلول 3 / 683 (ـ **لئن لـم ينته المنافقون والذين في قلـوبهم مـرض والمرجفـون في المدينة لنغرينـك بهـم ثـم لا يجاورنـك فيهـا الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا)** الايـة فعلـم انهـم كـانوا يفعلـون اشياء اذ ذاك ان لم ينتهوا عنها قتلوا عليها في المسـتقبل لمـا اعـز الله دينه ونصر رسوله اهـ المقصود .
أما التفصيل فهو :
أولا : المرتبة الأولى وهو النفاق المحض :
1ـ ما أسره في نفسه وكتمه . قـال تعـالى (**فـترى الـذين فـي قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائـرة فعسـى اللـه أن يـأتي بالفتـح أو أمـر مـن عنـده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**) قال تعالى (**ومنهم من عاهد الله** ـ الى قوله ـ **ألم يعلموا أن اللـه يعلـم سرهم ونجواهم**) ، وقول حذيفة (المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا أبا عبد اللـه وكيـف ذاك ؟ قـال إن أولئـك كـانوا يسرون نفاقهم وإن هؤلاء يعلنون) رواه مسلم .
2 ـ إذا عرف كفره بلحن القول ، أو ظهر على صفحات الوجه وفلتات اللسان ، قال تعالى (**ولتعرفنهم في لحن القول**) .
قال ابن تيمية في الفتاوى 7/620 ، قال بعض السلف ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه .
3 ـ إذا عرف كفره ونفاقه بالدلالات والقرائن والشواهد .
4 ـ إذا لُبّسو نفاقهم أعذارا خداعة مقبوله صار باطنـا ، كمـا حصـل في غزوة أحد من رجوع المنافقين بأعذار وحجج .
5 ـ ما يظهره المنافقون إذا كان العدو غالبا من غيـر الصـريح ممـا هو ارجاف وتخذيل .
6 ـ ما شاع بناءا على المعرفة بالدلائل والشواهد .
ثانيا المرتبة المتوسطة الإظهار الأصغر (الخاص) :
1ـ مـا أظهـر عنـد شـياطينه ، قـال تعـالى (**وإذا خلـوا الـى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزوءن)**
2 ـ ما أظهر عنـد منـافق مثلـه ، قـال تعـالى **(وإذا لقوا الـذين آمنــوا قــالوا آمنــا وإذا خلا بعضــهم الــى بعــض قــالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكـم ليحـاجوكم بـه عنـد ربكـم أفلا تعقلون) .**

3 ـ ما أظهره عند السماعين له قال تعالى (**وفيكم سماعون لهم**)
4 ـ إخبار أهل بيته عنه مما يُخفيه .
5 ـ ما أظهر عند من يظن أنه لا يضره اخباره كما لو تكلم عند صغار كقصة زيد بن الأرقم . أو عند أهل بيته كقصة الجلاس بن سويد أخبر عنه عمير بن سعد ربيبه . وكذا عوف بن مالك . قال القرطبي في تفسيره 1/140 : قال القاضي اسماعيل : لم يشهد على ابن سلول الا زيد بن أرقم ، ولا على الجلاس بن سويد الا عمير بن سعد ربيبه ولو شهد على أحد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل اهـ .
6ـ ما ظهر بشهادة الواحد ثم اعتذر منه من حق الله ، وفيه قصة زيد بن الأرقم لما شهد على ابن سلول لوحده . وقال تعالى **(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)** الآية ، وقال تعالى **(اتخذوا أيمانهم جنة)** .
7 ـ ما قاله عند بعض المؤمنين ، قال تعالى (**يقولون لئن رجعنا الى المدينة)** الآية . وقالوا **(إنما كنا نخوض ونلعب)** .
8 ـ أو ما نزل القرآن بخبره ، قال تعالى (**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب)** الآية .
9 ـ الإظهار الخاص وقت الضعف أو المفسدة او زمن المصائب والفتن باطن حكما باعتبار القتل والعقوبة لا غير ، ظاهر باعتبار الاسم فيلحقه اسم مرتد ، والحكم موقوف الى انقضاء المانع مع التهديد ، قال تعالى (**لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذي خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)** هددوا بعد الخندق وكانت فترة فتن ومفسدة وضعف قال ابن تيمية الفتاوى 13/21: قال قتادة ذكر لنا أن المنافقين كانوا يظهرون ما فى أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه **(سنة الله فى الذين خلوا من قبل)** يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق اهـ .
10 ـ ما شاع بناءا على نقل الواحد .
11 ـ ما أظهره عند القاضي والحاكم في مجلس الحكم .
12 ـ والمبتدع اذا عاند في حدود الاظهار الاصغر .
فهذه (17) مرتبة أعاذنا الله منها واخواننا المسلمين .

والقاعدة في الباطن والظاهر في النفاق مثل الباطن والظاهر في الفواحش كالزنى ونحوه .

5 ـ باب مثال للباطن

قال تعالى (**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**) .

وقال تعالى **(لا تعلمهم نحن نعلمهم)** . وقال تعالى **(وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) .**

ومفهوم المخالفة في قوله تعالى (**لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**) .

قال صلى الله عليه وسلم (ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام) .

6 ـ باب مثال للإظهار الأصغر

وفيه قصة عمر في قتله لمن لم يرض بحكم الله ورسوله ، وفيه قوله تعالى **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) .**

وفيه قصة قتل الأعمى لأم ولده .

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 /ـ 336 .... لم يكن من سنته[3] أنه يقتل احدا من المنافقين الذين اخبر الثقة عنهم بالنفاق ، اوالذين نزل القران بنفاقهم ، فكيف يقتل رجلا بمجرد علمه بنفاقه ثم انه سمى خلقا من المنافقين لحذيفة وغيره ولم يقتل منهم احدا .

7 ـ باب مثال للإظهار الأصغر وقت ضعف السلطان أو أمن العقوبة أو وقت المحن والمصائب والفتن

قال الفريابي رحمه الله في كتابه صفة المنافق 1 /66حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا حدثنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال (المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا أبا عبد الله وكيف ذاك ؟ قال إن أولئك كانوا

[3] ـ أي مع المفسدة وإلاّ فالجواز ثابت .

يسرون نفاقهم وإن هؤلاء يعلنون) حدثنا عباس بن محمد حدثنا أبو النضر حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي وائـل عـن حذيفـة قـال إن المنافقين اليوم شر من المنافقين الذين كانوا فذكر نحـوه . حـدثنا عباس حدثنا أبو النضر حدثنا شعبة عن واصـل عـن أبـي وائـل عـن حذيفة .
وفيه قصة غزوتي الاحزاب وأحد فقد نجم فيهما النفاق .
قال ابن تيمية في الفتاوى 7 / 278 وكـذلك المنـافق يضـرب لـه المثل بمن أبصر ثم عمى أو هو مضطرب يسمع ويبصر مـا لا ينتفـع به ، فتبين أن من المنافقين من كان آمن ثم كفـر باطنـا وهـذا ممـا استفاض به النقل عند أهل العلم بالحـديث والتفسـير والسـير أنـه كان رجال قد آمنوا ثم نافقوا وكان يجرى ذلك لأسـباب ، منهـا أمـر القبلة لما حولت ارتد عن الايمان لأجل ذلـك طائفـة وكـانت محنـة إمتحن الله بها النـاس ، قـال تعـالى (**وما جعلنـا القبلـة الـتى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممـن ينقلـب علـى عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله)** ... الـى أن قـال : ولكـن جعلناهـا أولا قبلـة لنمتحـن بتحويلـك عنهـا النـاس فيتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكان فـى شـرعها هذه الحكمة .
وكذلك أيضا لمّا إنهزم المسلمون يوم أحد وشج وجـه النـبى صـلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته ارتد طائفة نافقوا ، قـال تعـالى (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلـون إن كنتـم مـؤمنين أن يمسسكم قرح فقد مس القـوم قـرح مثلـه وتلـك الأيـام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنـوا ويتخـذ منكـم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنـوا ويمحق الكافرين)** وقال تعالى (**وما أصـابكم يـوم التقـى الجمعـان فبـإذن اللـه وليعلـم المـؤمنين وليعلـم الـذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعـوا قالوا لو نعلـم قتـالا لاتبعنـاكم هـم للكفـر يومئـذ أقـرب منهم الإيمان يقولون بـأفواههم مـا ليـس فـى قلـوبهم والله أعلم بما يكتمـون)** فقـوله وليعلـم الـذين نـافقوا ظـاهر فيمن أحدث نفاقا وهو يتناول من لم ينافق قبل ومن نافق ثم جـدد نفاقا ثانيا ، وقوله هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يبين أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقرب منهم بل إما أن يتساويا وإما أن يكونـوا الـى الإيمان أقرب ..
الى أن قال : وفى الجملة ففى الأخبار عمـن نـافق بعـد إيمـانه مـا يطول ذكره هنا فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذى ضرب الله به المثل فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا علـى

هذا الاسلام الذى يثابون عليه ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على الايمان ، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الايمان بالمحنة ، وهذا حال كثير من المسلمين فى زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق أكثرهم أو كثير منهم ، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة ، وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين ، وهم مؤمنون بالرسول باطنا وظاهرا لكن إيمانا لا يثبت على المحنة ، ولهذا يكثر فى هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا آمنا ، فقيل لهم قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم أى الإيمان المطلق الذى أهله هم المؤمنون حقا فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق فى كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة ، ولهذا قال تعالى (**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون**) فلم يحصل لهم ريب عند المحن التى تقلقل الإيمان فى القلوب ، والريب يكون فى علم القلب وفى عمل القلب بخلاف الشك فإنه لا يكون الا فى العلم ، ولهذا لا يوصف باليقين الا من اطمأن قلبه علما وعملا والا فإذا كان عالما بالحق ولكن المصيبة أو الخوف أورثه جزعا عظيما لم يكن صاحب يقين قال تعالى (**هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا**) وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه اهـ .

8 ـ باب ظاهر المنافق ماهو ؟

وهو الاظهار الأكبر العام ، وهو ما ليس بباطن محض ولا إظهار أصغر وقد سبق .

وعن حذيفة قال (المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا أبا عبد الله وكيف ذاك ؟ قال إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم وإن هؤلاء يعلنون) .

قال ابن تيمية في الصارم : فحاصله أن الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام اهـ .

9 ـ باب الخبر غير الموثوق باطن أم ظاهر ؟

قال تعالى (**ولا تقف ماليس لك به علم**) .

وفي الحديث (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) .

10 ـ باب مثال للإظهار الأكبر

قال تعالى (**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَـن دِينِـهِ فَيَمُـتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ فَأُوْلَئِـكَ حَبِطَـتْ أَعْمَـالُهُمْ فِـي الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ وَأُوْلَئِـكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) قال تعالى (**يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَـن دِينِـهِ فَسَـوْفَ يَـأْتِي اللّـهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)** الآية .

وفي الحـديث (مـن بـدل دينـه فـاقتلوه) رواه البخـاري عـن ابـن عباس .

قال ابن تيميـة فـي الفتـاوى 13 /21 وبهـذا يجيـب مـن لـم يقتـل الزنادقــة ويقــول إذا أخفــوا زنــدقتهم لــم يمكــن قتلهــم ولكــن إذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله **(ملعونين أينما ثقفـوا أخـذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجـد لسنة الله تبديلا)** قال قتادة ذكر لنا أن المنافقين كانوا يظهرون ما فى أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهـذه الآيـة فلمـا أوعـدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه **(سنة الله فى الذين خلـوا مـن قبل)** يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق اهـ .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب 1 / 222 يوضح ذلك ما ذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين ، وأشار في 1 / 228 أن الإظهـار يكـون للخـاص والعـام فـي معـرض كلام لـه ، (راجـع مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب)

11 ـ باب المنافق قد يقترب من الكفر الظاهر وقد يبتعد

وقال تعالى (**يا أيهـا الرسـول لا يحزنـك الـذين يسـارعون في الكفر مـن الـذين قـالوا آمنـا بـأفواههم ولـم تـؤمن قلوبهم**) .

وقال تعالى عنهم **(قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفــر يومئذ أقرب منهم الإيمـان يقولـون بـأفواههم مـا ليـس فــى قلــوبهم واللــه أعلــم بمــا يكتمــون)** وقــال تعــالى **(مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء)** .

قال ابن تيمية : وقوله هم للكفر يومئذ أقـرب منهـم للإيمـان يـبين أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقـرب منهـم بـل إمـا أن يتسـاويا وإمـا أن يكونوا الى الإيمان أقرب ..

12 ـ باب الظهور الأصغر في النفاق غير الظهور في المرتد

وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) رواه البخاري

13ـ باب هل الإظهار الأصغر يقوم مقام البينة لكن على التخيير ؟

وعن عائشة رضي الله عنها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها منه فهلك من هلك .... وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بــن سلول فقدمنا المدينة فاشـتكيت بهـا شـهرا ... فقـام رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد اللـه بـن أبـي بـن سلول فقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم مـن يعـذرني مـن رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا وقــد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيـرا وم ا كـان يـ دخل علـى أهلـي إلا معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله أنا واللــه أعـذرك منـه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كـان مـن إخواننـا مـن الخـزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقـام سـعد بـن عبـادة وهـو سـيد الخـزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال كذبت لعمــر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن الحضير فقـال كـذبت لعمر الله واللـه لنقتلنـه فإنـ ك منـافق تجـ ادل عـن المنـافقين فثـار الحيان الأوس والخزرج حتى همـوا ورسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم علـى المنـبر فنـزل فخفضـهم حـتى سـكتوا وسـكت رواه البخاري

قال ابن كثير في البداية والنهاية 3/237 قال ابن اسحاق ومربع بن قيظي (وافقه ابن حزم) وكان أعمى وهو الذي قال لرسول الله حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد لا أحل لك إن كنت نبيا أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر) وقد ضربه سعد بن زيد الاشهلي بالقوس فشجه .

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 663 ويدل على جواز قتل الزنديق المنافق من غير استتابة ما خرجاه في الصحيحين في قصة حاطب بن ابي بلتعة قال فقال عمر دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) فدل على ان ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع اذ لم ينكر النبي على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ولكن اجاب بان هذا ليس بمنافق ولكنه من اهل بدر المغفور لهم فاذا ظهر النفاق الذي لاريب انه نفاق فهو مبيح للدم . ثم ذكر احاديث وقصص في ذلك . الى ان قال :

في الصارم المسلول 3 / 664 لما تكلم عن قول عمر لحاطب ما قال ، قال ابن تيمية : فدل على أن ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع إذ لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ، ولكن أجاب بأن هذا ليس بمنافق ، ولكنه من أهل بدر المغفور لهم فإذا ظهر النفاق الذي لاريب أنه نفاق فهو مبيح للدم .
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها في حديث الإفك قالت فقام رسول الله من نومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله وهو على المنبر : من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وماكان يدخل على أهلي إلا معي فقالت فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل فقال يارسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقال سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت متفق عليه .
وفي قصة أخرى لما قال ابن سلول ما قال فمشى زيد بن أرقم بها الى رسول الله وذلك بعد فراغه من الغزوة وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال اذا ترعد له أنف كثيرة بيثرب فقال عمر فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتلوه فقال رسول الله فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله يرتحل فيها وأرسل رسول الله الى عبد الله بن أبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب بالحق ما قلت من هذا شيئا وإن زيدا لكاذب فقال من حضر من الأنصار يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال فعذره رسول الله وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذبوه قالوا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من فضلاء الصحابة ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله فقال يارسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه

فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال له رسول الله بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ـ وقال النبي لا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبته وذكروا القصة قالوا وفي ذلك نزلت سورة المنافقين .

ففي هذه القصة بيان أن قتل المنافق جائز من غير استتابة وإن أظهر إنكارذلك القول وتبرا منه وأظهر الإسلام وإنما منع النبي من قتله ما ذكره من تحدث الناس أنه يقتل أصحابه لأن النفاق لم يثبت عليه بالبينة وقد حلف أنه ما قال وإنما علم بالوحي وخبر زيد بن ارقم ، وأيضا لما خافه من ظهور فتنة بقتله وغضب أقوام يخاف افتتانهم بقتله ، وذكر بعض أهل التفسير أن النبي عد المنافقين الذين وقفوا له على العقبة في غزوة تبوك ليفتكوا به فقال حذيفة ألا تبعث إليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة .

وذكر بعضهم أن رجلا من المنافقين خاصم رجلا من اليهود الى النبي فقضى رسول الله لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فأقبل الى عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر لهما رويداكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت فأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج اليهما فضرب به المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ، فنزل قوله (**الم تر الى الذين يزعمون...الاية**) وقال جبريل أن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد تقدمت هذه القصة مروية من وجهين .

قال ابن تيمية بعد ذلك : ففي هذه الأحاديث دلالة على أن قتل المنافق كان جائزا إذ لولا ذلك لأنكر النبي على من استأذنه في قتل المنافق ولأنكر على عمر إذ قتل من قتل من المنافقين والأخبر النبي أن الدم معصوم بالإسلام ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين لهم وأن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأن يقول القائل لما ظفر باصحابه أقبل يقتلهم لأن الدم إذا كان معصوما كان هذا الوصف عديم التأثير في عصمة دم المعصوم ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا أثر له ويترك تعليله بالوصف الذي هو مناط الحكم وكما أنه دليل على القتل فهو دليل على القتل من غير استتابة على ما لايخفى .

فإن قيل فلم لم يقتلهم النبي مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم ؟ قلنا إنما ذاك لوجهين :
أحدهما : أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الإسلام ، ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن فينقلها الى النبي فيحلفون بالله أنهم ما قالوها أو لايحلفون ، وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهية منهم لكثير من أحكام الله ، وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال تعالى (**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**) فأخبر سبحانه أنه لوشاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال (**ولتعرفنهم في لحن القول**) فأقسم على أنه لابد أن يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فينزل القرآن يخبر أن صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة (ومنهم ومنهم) وكان المسلمون أيضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ، ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**) ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون ، وقد اتخذوا أيمانهم جنة وإذا كانت هذه حالهم فالنبي لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار ألا ترى كيف أخبر عن المرأة الملاعنة أنها إن جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي...
وقال أيضا في الصارم المسلول 3 / 676 فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ، وقال أيضا : ويدل على هذا أنه لم يستتبهم على التعيين ومن المعلوم أن أحسن حال من ثبت نفاقه وزندقته أن يستتاب كالمرتد فإن تاب وإلا قتل ولم يبلغنا أنه استتاب واحدا بعينه منهم فعلم أن الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتا يوجب أن يقتل كالمرتد ، ولهذا كان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله ، فاذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه ، ولهذا قال أني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة ولما استؤذن أيضا في قتل رجل من المنافقين قال أليس يشهد أن لا إله الا الله قيل بلى قال أليس يصلي قيل بلى قال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم

فأخبر أنه نهي عن قتل من أظهر الإسلام مـن الشـهادتين والصـلاة وإن رمي بالنفاق وظهرت عليه دلالته إذا لم يثبت بحجة شرعية أنه أظهر الكفر وكذلك قوله في الحديث الآخر أمرت أن أقاتل النــاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوهـا عصـموا مني دماءهم وأمـوالهم إلا بحقهـا وحسـابهم علـى اللـه معنـاه أنـي أمرت أن أقبل منهم ظاهر الإسلام وأكل بواطنه الى الله والزنديق والمنافق إنما يقتل إذا تكلم بكلمة الكفر وقـامت عليـه بـذلك بينـة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة .

الوجه الثاني : أنه كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكـثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حيـث قـال (لا يتحـدث النـاس أن محمدا يقتل أصحابه) وقال إذا ترعد له أنف كثيرة بيـثرب فـأنه لـو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنمـا قتلهـم لأغراض وأحقاد وإنما قصده الاستعانة بهـم علـى الملـك كمـا قـال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم وأن يخاف من يريد الدخول في الإسـلام أن يقتـل مـع إظهـاره الإسـلام كمـا قتـل غيره ، وقد كان أيضـا يغضـب لقتـل بعضـهم قـبيلته ونـاس آخـرون ويكون ذلك سببا للفتنة ، واعتبر ذلك بما جرى فـي قصـة عبـد اللـه بن أبي لما عرض سعد بن معـاذ بقتلـه خاصـم لـه أنـاس صـالحون وأخذتهم الحمية حتى سكتهم رسول الله وقد بين ذلك رسول اللــه لما استأذنه عمر في قتل ابن أبي قال أصحابنا ونحن الآن إذا خفنــا مثل ذلك كففناعن القتل .

وقال أيضا فحاصله أن الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهـوره بالحجة الشرعية الـتي يعلمـه بهـا الخـاص والعـام أو لعـدم امكـان اقامته الا مع تنفير اقوام عن الدخول فـي الاسـلام وارتـداد اخريـن عنه واظهار قوم من الحرب والفتنة مـا يربـى فسـاده علـى فسـاد ترك قتل منافق وهذان المعنيان حكمهما باق الى يومنا هذا إلا فــي شيء واحد وهو أنه ربما خـاف أن يظـن الظـان أنـه يقتـل أصـحابه لغرض آخر مثل أغراض الملـوك فهـذا منتـف اليـوم ، والـذي يـبين حقيقــة الجــواب الثـاني أن النـبي لمـا كـان بمكـة مستضـعفا هـو وأصحابه عاجزين عن الجهاد أمرهم الله بكف أيـديهم والصـبرعلى أذى المشركين فلما هاجروا الى المدينـة وصـار لـه دار عـز ومنعـة أمرهم بالجهاد وبالكف عمن سالمهم وكف يده عنهم لأنه لو أمرهم إذ ذاك بإقامة الحدود على كل كافر ومنافق لنفر عن الإسلام أكــثر العرب إذ رأوا أن بعض من دخل فيه يقتـل وفـي مثـل هـذه الحـال نــزل قــوله تعــالى **(ولا تطـع الكـافرين والمنـافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بـالله وكيلا)** وهـذه السـورة نزلت بالمدينة بعد الخندق فأمره الله في تلك الحال أن يــترك أذى

الكافرين والمنافقين له فلا يكافئهم عليه لما يتولد في مكافأتهم من الفتنة ولم يزل الأمر كذلك حتى فتحت مكة ودخلت العرب في دين الله قاطبة ثم أخذ النبي في غزو الروم وأنزل الله تبارك وتعالى سورة براءة وكمل شرائع الدين من الجهاد والحج والأمر بالمعروف فكان كمال الدين حين نزل قوله تعالى **(اليوم أكملت لكم دينكم**) قبل الوفاة بأقل من ثلاثة أشهر ولما أنزل براءة أمره بنبذ العهود التي كانت للمشركين وقال فيها **(ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)** وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم)** وذلك أنه لم يبق حينئذ للمنافق من يعينه لو أقيم عليه الحد ولم يبق حول المدينة من الكفار من يتحدث بأن محمد يقتل أصحابه فامره الله بجهادهم والإغلاظ عليهم ، وقد ذكر أهل العلم أن آية الأحزاب منسوخة بهذه الآية ونحوها ، وقال في الأحزاب **(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا)** الآية فعلم أنهم كانوا يفعلون أشياء إذ ذاك إن لم ينتهوا عنها قتلوا عليها في المستقبل لما أعز الله دينه ونصر رسوله فحيث م ا كان للمنافق ظهور يخاف من أقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآية (**دع أذاهم**) كما أنه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح وحيث ما حصل القوة والعز خوطبنا بقوله (**جاهد الكفار والمنافقين**) فهذا يبين ان الامساك عن قتل من اظهر نفاقه بكتاب الله على عهد رسول الله اذ لا نسخ بعده ولم ندع ان الحكم تغير بعده لتغير المصلحة من غير وحي نزل فإن هذا تصرف في الشريعة وتحويل لها بالرأي ودعوى أن الحكم المطلق كان لمعنى وقد زال وهو غير جائز كما قد نسبوا ذلك الى من قال إن حكم المؤلفة انقطع ولم يأت على انقطاعه بكتاب ولا سنة سوى ادعاء تغير المصلحة .

الى أن قال : ويدل على المسألة ما روى أبو إدريس قال أتى على رضي الله عنه بأناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام فسألهم فجحدوا فقامت عليهم البينة العدول قال فقتلهم ولم يستتبهم وقال وأتى برجل كان نصرانيا وأسلم ثم رجع عن الإسلام قال فسأله فأقر بما كان منه فاستتابه فتركه فقيل له كيف تستتيب هذا ولم تستتب أولئك قال ان هذا اقر بما كان منه وان اولئك لم يقروا وجحدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم استتبهم رواه الإمام أحمد وروى الأثرم عن أبي إدريس قال أتى علي برجل قد تنصر فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله ، وأتى برهط يصلون القبلة وهم

زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول فجحدوا وقالوا ليس لنا دين إلا الإسلام فقتلهم ولم يستتبهم ، ثم قال أتدرون لم استتبت هذا النصراني ؟ استتبته لأنه أظهر دينه وأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة وجحدوني فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا وقامت عليهم البينة ، فهذا من أمير المؤمنين على رضي الله عنه بيان أن كل زنديق كتم زندقته وجحدها حتى قامت عليه البينة قتل ولم يستتب وأن النبي لم يقتل من جحد زندقته من المنافقين لعدم قيام البينة ، ويدل على ذلك قوله تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة**) الى قوله (**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا**) فعلم أن من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين ولهذا الحديث قال الإمام أحمد في الرجل يشهد عليه بالبدعة فيجحد ليست له توبة إنما التوبة لمن اعترف فأما من جحدها فلا توبة له ، قال القاضي أبو يعلي وغيره وإذا اعترف بالزندقة ثم تاب قبلت توبته لأنه باعترافه يخرج عن حد الزندقة لأن الزنديق هو الذي يستبطن الكفر وينكره ولا يظهره فإذا اعترف به ثم تاب خرج عن حده ، فلهذا قبلنا توبته ولهذا لم يقبل علي رضي الله عنه توبة الزنادقة لما جحدوا ، وقد يستدل على المسألة بقوله تعالى (**وليست التوبة للذين يعملون السيئات**) الآية ، وروى الإمام أحمد بإسناده عن أبي العالية في قوله تعالى (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون من قريب**) قال هذه في أهل الإيمان (**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**) قال هذه في أهل النفاق (**ولا الذين يموتون وهم كفار**) قال هذه في أهل الشرك هذا .

إلى أن قال : (**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها**) الآية فوجه الدلالة ان عقوبة الامم الخالية بمنزلة السيف للمنافقين ثم اولئك اذا تابوا بعد معاينة العذاب لم ينفعهم فكذلك المنافق ومن قال هذا فرق بينه وبين الحربي بانا لانقاتله عقوبة على كفره بل نقاتله ليسلم فاذا اسلم فقد اتى بالمقصود والمنافق إنما يقاتل عقوبة لا ليسلم فانه لم يزل مسلما والعقوبات لا تسقط بالتوبة بعد مجئ الباس وهذا كعقوبات سائر العصاة فهذه طريقة من يقتل الساب لكونه منافقا .

وفيه طريقة أخرى وهي أن سب النبي بنفسه موجب للقتل مع قطع النظر عن كونه مجرد ردة فإنا قد بينا أنه موجب للقتل وبينا أنه جناية غير الكفر إذ لو كان ردة محضة وتبديلا للدين وتركا له لما جاز للنبي صلى الله عليه وسلم العفو عمن كان يؤذيه كما لا يجوز

العفو عن المرتد ولضمَا قتل الـذين سـبوه ، وقـد عفـا عمـن قاتـل وحارب .
الى أن قال : ولهذا لم نعلم خلافا يعتمد في أن السـارق أو الزانـي لو أظهر التوبة بعد ثبوت الحد عليه عند السلطان لم يسـقط الحـد عنه وقد رجم النبي ماعزا والغامدية وأخبر بحسن توبتهمـا وحسـن مصيرهما .
الى أن قال بخلاف الردة المجردة عـن الـدين فـإن سـقوط القتـل فيهـا بـالعود الـى الاسـلام لا يـوجب اجـتراء النـاس علـى الـردة اذ الانتقال عن الدين عسير لا يقع الا عن شبهة قادحـة فـي القلـب او شـهوة قامعـة للعقـل فلا يكـون قبـول التوبـة مـن المرتـد مجريـا للنفوس على الردة ويكون ما يتوقعه من خوف القتل زاجرا له عن الكفر فانه اذا اظهر ذلك لا يتم مقصوده لعلمه بانه يجبر على العود الى الاسلام وهنا من فيه استخفاف او اجتراء او سفاهة يتمكن من انتقاص النـبي وعيبـه والطعـن عليـه كلمـا شـاء ثـم يجـدد الاسـلام ويظهر التوبة وبهـذا يظهـر ان السـب والشـتم يشـبه الفسـاد فـي الارض الذي يوجب الحد اللازم من الزنى وقطع الطريق والسـرقة وشرب الخمر فان مريد هـذه المعاصـي اذا علـم انـه تسـقط عنـه العقوبة اذا تاب فعلها كلما شاء كذلك مـن يـدعوه ضـعف عقلـه او ضعف دينه الى الانتقاص برسول الله اذا علم ان التوبـة تقبـل منـه اتى ذلك متى شاء ثم تاب منه وقد حصـل مقصـوده بمـا قـاله كمـا حصل مقصود اولئك بما فعلوه بخلاف مريد الردة فـان مقصـوده لا يحصل الا بالمقام عليهـا وذلـك لا يحصـل لـه اذا قتـل ان لـم يرجـع فيكون ذلك وازعا .
وقال فـي الصـارم المسـلول 3 /ـ 879 وفـي بعـض التفاسـير ان المحكي عنه هذه الكلمة الجلاس بن سويد اعترف بانه قالها وتـاب من ذلك من غير بينه قامت عليه فقبل رسول الله ذلـك منـه وهـذا كله دلالة واضحة على ان التوبة من مثل هذا مقبولة وهي توبة مـن لم يثبت عليه نفاق وهذا لا خلاف فيه اذا تاب فيمـا بينـه وبيـن اللـه سرا كما نافق سرا انه تقبل توبته ولو جاء مظهـرا لنفـاقه المتقـدم ولتوبته منه من غير ان تقوم عليـه بينـه بالنفـاق قبلـت تـوبته ايضـا على القول المختار كما تقبل توبة من جاء مظهرا للتوبـة مـن زنـى او سرقة لم يثبت عليه على الصحيح واولى من ذلك واما مـن ثبـت نفاقه بالبينه فليس في الاية ولا فيما ذكر من سبب نزولها مـا يـدل على قبول توبته بل ليس في نفس الاية ما يدل على ظهـور التوبـة بل يجوز ان يحمل على توبته فيما بينه وبيـن اللـه فـان ذلـك نـافعه وفاقا وان اقيم عليه الحد كما قال سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة

او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ...
لكن هل هناك فرق بين كونه حدا فلا بد من البينة على انه فعل كفر وبين كونه نفاقا ؟ ، ربما انه حد مثل حد القذف يجوز تركه ومثل القصاص في العمد ومثل الكافر مخير فيه الامام .
قال ابن القيم في الطرق الحكمية 1/292 ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم ويتحقق ذلك ولا يحكم فيهم بعلمه اهـ .

14ـ باب إذا ظهر ظهور نقل من واحد لا ظهور سماع
ورؤية تصح معها الشهادة

قال تعالى (**إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم** ـ الى أن قال ـ **والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**) .

15ـ باب قبول الظاهر أو علانيته لا يعني التصديق

وقال تعالى **(يعتذرون إليكم إذا رجعتهم إليهم)** الآية ، وقال تعالى **(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)** الآية ، وقال تعالى **(اتخذوا أيمانهم جنة)** .
قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية 8 / 429 ولهذا لما جاءه المخلفون عام تبوك فجعلوا يحلفون ويعتذرون وكان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله لا يصدق أحدا منهم فلما جاء كعب وأخبره بحقيقة أمره قال أما هذا فقد صدق أو قال صدقكم .

16ـ باب العلم بالنفاق غير الإعلان والظهور

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 /ـ 336 .... لم يكن من سنته أنه يقتل احد من المنافقين الذين اخبر الثقة عنهم بالنفاق ، اوالذين نزل القران بنفاقهم ، فكيف يقتل رجلا بمجرد علمه بنفاقه ثم انه سمى خلقا من المنافقين لحذيفة وغيره ولم يقتل منهم احدا .
قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 / 76 وايضا فان الله سبحانه وان كان قد علم منهم النفاق قبل هذا القول لكن لم يعلم نبيه بكل من لم يظهر نفاقه بل قال (**وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم)** ثم انه سبحانه ابتلى الناس بامور يميز بين المؤمنين والمنافقين كما قال تعالى **(وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)** وقال تعالى **(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)** وذلك لان الايمان والنفاق اصله في القلب وانما

الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه فاذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه فلما اخبر سبحانه ان الذين يلمزون النبي والذين يؤذونه من المنافقين ثبت ان ذلك دليل على النفاق وفرع له ومعلوم انه اذا حصل فرع الشيء ودليله حصل اصله المدلول عليه فثبت انه حيثما وجد ذلك كان صاحبه منافقا سواء كان منافقا قبل هذا القول او حدث له النفاق بهذا القول .

قال ابن القيم في الطرق الحكمية 1/292 ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم ويتحقق ذلك ولا يحكم فيهم بعلمه اهـ .

17ـ باب ظهور أعمال المنافقين من المؤمن

وفي الحديث في خصال المنافق الاربع .

وفيه قصة حاطب وغيرها .

18ـ باب من جحد بعد ثبوت البينة فهل هو ظاهر ام باطن ؟

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 685 ويدل على المسألة ما روى ابو ادريس قال اتى على رضي الله عنه بأناس من الزنادقة ارتدوا عن الاسلام فسألهم فجحدوا فقامت عليهم البينة العدول قال فقتلهم ولم يستتبهم وقال واتى برجل كان نصرانيا واسلم ثم رجع عن الاسلام قال فسأله فأقر بما كان منه فاستتابه فتركه فقيل له كيف تستتيب هذا ولم تستتب اولئك قال (ان هذا اقر بما كان منه وان اولئك لم يقروا وجحدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم استتبهم) رواه الامام احمد ، وروى الاثرم عن ابي ادريس قال اتى علي برجل قد تنصر فاستتابه فأبى ان يتوب فقتله وأتى برهط يصلون القبلة وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول فجحدوا وقالوا ليس لنا دين الا الاسلام فقتلهم ولم يستتبهم ثم قال (اتدرون لم استتبت هذا النصراني ؟ استتبته لانه اظهر دينه واما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة وجحدوني فانما قتلتهم لانهم جحدوا وقامت عليهم البينة) فهذا من امير المؤمنين على رضي الله عنه بيان ان كل زنديق كتم زندقته وجحدها حتى قامت عليه البينة قتل ولم يستتب وان النبي لم يقتل من جحد زندقته من المنافقين لعدم قيام البينة ، ويدل على ذلك قوله تعالى **(وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة)** الى قوله **(واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا)** فعلم ان من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين ولهذا الحديث قال الامام احمد في الرجل يشهد عليه بالبدعة

فيجحد ليست له توبة انما التوبة لمن اعترف فاما من جحدها فلا توبة له .
قال القاضي أبو يعلي وغيره واذا اعترف بالزندقة ثم تاب قبلت توبته لانه باعترافه يخرج عن حد الزندقة لان الزنديق هو الذي يستبطن الكفر وينكره ولا يظهره فاذا اعترف به ثم تاب خرج عن حده فلهذا قبلنا توبته ولهذا لم يقبل علي رضي الله عنه توبة الزنادقة لما جحدوا وقد يستدل على المسالة بقوله تعالى **(وليست التوبة للذين يعملون السيئات)** الاية وروى الامام احمد باسناده عن ابي العالية في قوله تعالى **(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون من قريب)** قال هذه في اهل الايمان **(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن)** قال هذه في اهل النفاق **(ولا الذين يموتون وهم كفار)** قال هذه في اهل الشرك هذا مع انه الراوي عن اصحاب محمد فيما اظن انهم قالوا كل عبد اصاب ذنبا فهو جاهل بالله وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ، ويدل على ما قال ان المنافق اذا اخذ ليقتل ورأى السيف فقد حضره الموت بدليل دخول مثل هذا في عموم قوله تعالى **(كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت)** وقوله تعالى **(شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت)** وقد قال حين حضره الموت اني تبت الان فليست له توبة كما ذكره الله سبحانه نعم ان تاب توبة صحيحه فيما بينه وبين الله لم يكن ممن قال اني تبت الان بل يكون ممن تاب من قريب لان الله سبحانه انما نفى التوبة عمن حضره الموت ..... الخ

3ـ كتاب الاسماء

19ـ باب ومن أسماء النفاق

بيّن ابن حزم في المحلى 11/204 ان من اسماء النفاق الضلالة والإركاس وخلاف الهدى اهـ . ومثله متولٍ ، قال تعالى (**فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا)** وقال تعالى **(فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) .**
قال ابن القيم في طريق الهجرتين الطبقة (15) وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون في الأرض المخادعون المستهزئون
المغبونون في اشترائهم الضلالة بالهدى وأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وأنهم مرضى القلوب اهـ المقصود .

20 ـ باب أسماء المنافقين على التعيين وأن بعضهم معروف بعينه

و عن بن عمر رضي الله عنهما أنه قال لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال إنما خيرني الله أو أخبرني فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال سأزيده على سبعين قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه ثم أنزل (**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**) رواه البخاري

روى مسلم بسنده الى إياس حدثني أبي قال عدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا موعوكا قال فوضعت يدي عليه فقلت والله ما رأيت كاليوم رجلا أشد حرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأشد حرا منه يوم القيامة هذينك الرجلين الراكبين المقفيين لرجلين حينئذ من أصحابه) رواه مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

قال ابن كثير في البداية والنهاية 3 / 237 فصل ثم ذكر ابن اسحاق (ونقله بنصه أيضا ابن سيد الناس في كتابه عيون الأثر 2/252) عن ابن اسحاق ، ونقل ابن حزم في كتابه جوامع السيرة ص 97 عن ابن اسحاق لكن وافقه في أغلبهم) من مال إلى هؤلاء الاضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الاوس زوي بن الحارث وجلاس بن سويد بن الصامت الانصاري (قال ابن حزم الخلاس) وفيه نزل **(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم)** وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر فنماها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك .

قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد (وافقه ابن حزم) وهو الذي قتل المجذر بن ذياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش قال ابن هشام وكان المجذر قد قتل اباه سويد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية فاخذ بثأر أبيه منه يوم أحد كذا قال ابن هشام وقد ذكر ابن اسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قل يوم بعاث

رماه بسهم فقتله وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد قال لأن ابن اسحاق لم يذكره في قتلى أحد .
قال ابن اسحاق وقد كان رسول الله أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه فانزل الله فيما بلغني عن ابن عباس كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين إلى آخر القصة قال وبجاد بن عثمان بن عامر ونبتل بن الحارث (وافقه فيهما ابن حزم) وهو الذي قال فيه رسول الله من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا وكان جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين وكان يسمع الكلام من رسول الله ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال إنما محمد أذن من حدثه بشيء صدقه فانزل الله فيه (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن**) الآية قال وأبو حبيبة بن الازعر (وافقه ابن حزم) وكان ممن بنى مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير (ولم يوافقه فيهما ابن حزم) وهما اللذان عاهدا الله **(لئن آتانا من فضله لنصدقن)** ثم نكثا فنزل فيهما ذلك ومعتب هو الذي قال يوم أحد **(لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا**) فنزل وفيه الآية وهو الذي قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه **(واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) .**
قال ابن اسحاق والحارث بن حاطب (ولم يوافقه ابن حزم) قال ابن هشام ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب وهما من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من اثق به من أهل العلم قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في اسماء أهل بدر .
قال ابن اسحاق وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف (وافقه ابن حزم) وكان ممن بني مسجد الضرار وعمرو بن حرام وعبد الله بن نبتل وجارية بن عامر بن العطاف (وافقه ابن حزم) وابناه يزيد ومجمع ابنا جارية (قال ابن حزم لم يصح عن مجمع الا الخير والقرآن والاسلام لكنه استضر بأبيه ـ أي لحقه من نفاق أبيه ضرر ـ وبأن قدمه ـ أبوه ـ وأصحابه وهو حدث ليؤمهم في مسجد الضرار) وهم ممن اتخذ مسجد الضرار وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن و كان يصلي بهم فيه فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلي بهم مجمع فقال لا والله أو ليس أمام المنافقين في مسجد

الضرار فحلف بالله ما علمت بشيء من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم قال ووديعة بن ثابت (وافقه ابن حزم) وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال **(إنما كنا نخوض ونلعب)** فنزل فيه ذلك قال وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق في منافقي بني النبيت من الاوس وبشر ورافع ابنا زيد .
قال ابن اسحاق ومربع بن قيظي (وافقه ابن حزم) وكان أعمى وهو الذي قال لرسول الله حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد لا أحل لك إن كنت نبيا أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر) وقد ضربه سعد بن زيد الاشهلي بالقوس فشجه قال وأخوه أوس بن قيظي (وافقه ابن حزم) وهو الذي قال (**إن بيوتنا عورة**) قال الله (**وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا**) قال وحاطب بن أمية بن رافع (وافقه ابن حزم) وكان شيخا جسيما قد عسا في جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات فحمل إلى دار بنى ظفر فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون ابشر بالجنة يا ابن حاطب قال فنجم نفاق أبيه فجعل يقول أجل جنة من حرمل غررتم والله هذا المسكين من نفسه قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه **(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم)** الآيات قال وقزمان حليف لبني ظفر (وافقه ابن حزم) الذي قتل يوم أحد سبعة أنفر ثم لما آلمته جراحه قتل نفسه وقال والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله .
قال ابن اسحاق (وافقه ابن حزم) لم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الاوس.
قال ابن اسحاق ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو ابن سهل والجد بن قيس (وافقه فيهم ابن حزم) وهو الذي قال (**ائذن لي ولا تفتني**) وعبد الله بن ابي بن سلول (قال ابن حزم كهف المنافقين) وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والاوس أيضا كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية فلما هداهم الله للاسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جدا وهو الذى قال **(لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل**) وقد نزلت فيه آيات

كثيرة جدا وفيه وفي وديعة رجل من بني عوف ومالك بن ابي قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى **(لئن أخرجوا لا يخرجون معهم)** الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير .
قال ابن كثير فصل ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت (وافقه ابن حزم) وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله (والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك) قال ونعمان بن أوفى وعثمان بن أوفى ورافع بن حريملة (وافقه ابن حزم وقال حرملة) وهو الذي قال فيه رسول الله يوم مات فيما بلغنا قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ورفاعة بن زيد بن التابوت (ووافقه ابن حزم) وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله من تبوك فقال إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا (ووافقه ابن حزم فيهما) فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود .
قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم فاجتمع في المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض فأمر بهم رسول الله فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا .
فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية فاخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول لعنه الله أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلببه بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه فاخرجه من المسجد وهو يقول أف لك منافقا خبيثا وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو وكان طويل اللحية فاخذ بلحيته وقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما لدمة في صدره خر منها قال يقول خدشتني يا عمارة فقال عمارة ابعدك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وكان بدريا إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا وليس في المنافقين شاب سواه فجعل يدفع قفاه حتى أخرجه

وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو وكان ذا جمة فاخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى أخرجه فجعل يقول المنافق قد أغلظت يا أبا الحارث فقال إنك اهل لذلك أي عدو الله لما أنزل فيك فلا تقربن مسجد رسول الله فانك نجس وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوي بن الحارث فاخرجه اخراجا عنيفا وأفف منه وقال غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ومن سورة التوبة وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله اهـ

قال ابن القيم في لزاد 3/567 فإن نفاق عبدالله بن أبي وأقواله في النفاق كانت كثيرة جدا كالمتواترة عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبعضهم أقر بلسانه وقال **(إنما كنا نخوض ونلعب**) .

21 ـ باب الأصل في اسم من أظهر الاسلام ولم يمتنع عنه او يتركه إما مؤمن أو منافق

قال تعالى (**إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) الآية .

وقال تعالى (**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**) الآية

22 ـ باب اذا شككنا في من أظهر الاسلام هل له حكم المنافق أم المرتد

قال صلى الله عليه وسلم (ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام) .

قال ابن تيمية في القتاوى 7/617 فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر اهـ .

23 ـ باب العلم بمسمى النفاق يكون بالصفات أو الدلائل والقرائن

قال تعالى (**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**) . وفي سورة التوبة : ومنهم ومنهم .

وقال ايضا في الفتاوى 7/422 والصحابة كانوا يسمون بالصفات كما قال عمر ، وزيد في غزوة بني المصطلق ، وأسيد بن حضير مع سعد بن عبادة ، ومثله اسم العدل والتقوى تثيت بالصفات لحديث

: (اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان) ، ولحديث الجارية : لما سالها رسول الله صلى الله عليه وسلم (اين الله ؟ قالت في السماء ، ثم قال اعتقها فانها مؤمنة) .
وقال أيضا في الفتاوى 7/617 وكان فى المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون فى نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه كإبن أبى وأمثاله اهـ المقصود .
قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 /ـ 336 .... لم يكن من سنته أنه يقتل احدا من المنافقين الذين اخبر الثقة عنهم بالنفاق ، اوالذين نزل القران بنفاقهم ، فكيف يقتل رجلا بمجرد علمه بنفاقه ثم انه سمى خلقا من المنافقين لحذيفة وغيره ولم يقتل منهم احدا .
قال السلف ما أسر العبد سريرة إلا خرجت على صفحات وجهه وفلتات لسانه .
قال ابن تيمية في الصارم : وكان المسلمون أيضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات .

24 ـ باب العلم بمسمى النفاق يكون بشهادة الواحد

قال القرطبي في تفسيره 1/140 : قال القاضي اسماعيل : لم يشهد على ابن سلول الا زيد بن أرقم ، ولا على الجلاس بن سويد الا عمير بن سعد ربيبه ولو شهد على أحد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل اهـ .

25 ـ باب ماذا يفيد الشيوع المبني على الدلائل أو خبر الواحد ؟

قال تعالى (**ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم**) الآية .

26 ـ باب يجوز الاخبار بهما

وفيه قصة زيد بن ارقم وعوف بن مالك .

27 ـ باب في المسمى هل هناك فرق بين العلم والإظهارين ؟

فالمسمى بالعلم والاظهار الاصغر ، اما الاكبر فالردة ، والقتل بالاظهار مع اختلاف الجواز او الوجوب ، ففي الإظهار الأصغر الجواز ، وفي الأكبر الوجوب.
قال ابن القيم في الطرق الحكمية 1/292 ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم ويتحقق ذلك ولا يحكم فيهم بعلمه .

28 ـ باب المنافق يسمى مرتدا بالاظهار الأكبر لا بالبينة وانما البينة للاحكام والاستتابة

قال تعالى (**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة)** .

وعن ابن عباس مرفوعا (لو يعطى الناس بدعواهم لا ادعى رجال اموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من انكر) رواه البيهقي في السنن قال النووي في الأربعين حديث حسن .

قال ابن تيمية في الفتاوى 13 /21 وبهذا يجيب من لم يقتل الزنادقة ويقول إذا أخفوا زندقتهم لم يمكن قتلهم ولكن إذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله **(ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)** قال قتادة ذكر لنا أن المنافقين كانوا يظهرون ما فى أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه **(سنة الله فى الذين خلوا من قبل)** يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق اهـ .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب 1 / 222 يوضح ذلك ما ذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين ، وأشار في 1 / 228 أن الإظهار يكون للخاص والعام في معرض كلام له ، (راجع مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب)

وقال أيضا في الفتاوى 7/617 وكان فى المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون فى نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه كإبن أبى وأمثاله ، ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون وكان إذا مات لهم ميت آتوهم ميراثه وكانت تعصم دماؤهم حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته اهـ .

29 ـ باب العجز عن أحكام المرتد لا يعني منع التسمية والمنافق في الإظهار الأكبر مرتد اسما وحكما ولا يعني تخلف الاحكام عجزا انه يسمى بغير اسمه

قال تعالى (**فاتقوا الله ما استطعتم**) وفي الحديث (اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم) .

30 ـ باب خطأ من قال اذا ظهر النفاق ولم يثبت بالبينة

فهو منافق اسما وحكما

قال تعالى (**تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**)

وقال تعالى (**الأعراب أشد كفر ونفاقا وأجد أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) .**

وعن أبي ثعلبة الخشني مرفوعا(إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها) رواه الدارقطني وله شواهد وحسنه السمعاني .

31ـ باب مناط الاسم غير مناط القتل والعقوبات

وفي الحديث (اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فا اشهدوا له بالايمان)

قال تعالى (**لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**) قال ابن كثير : والمرجفون فى المدينة الذين يقولون جاءت الاعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء . قال ابن كثير : هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن اهل الايمان يسلطون عليهم ويقهرونهم اهـ وقال ابن جرير : اذا هم اظهروا نفاقهم ان يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا اهـ . قال القرطبي : الخامسة أي سن الله عز وجل فيمن أرجف بالانبياء وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل ثم قال وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد والدليل بقاء المنافقين معه حتى مات اهـ مختصرا .

32ـ باب مسمى الزنديق

على معنيين :

1 ـ من علم نفاق نفسه ، بأي نوع من أنواع النفاق كما لو علم من نفسه بغض بعض الشرائع ونحوه .

2 ـ من دخل في الدين يريد أفساده وإضلال أهله .

قال ابن قدامة عن ابن عقيل في كتابه تحريم النظر في كتب الكلام 1 / 35

فهذه الفضيحة من جملة ما تاب منه إلى الله تعالى وأقر بأنه ضلال وبدعة وأنه متى وجد بخطه وجبت مقابلته عليه وينتقم الله منه ، فكيف يحتج بقول هذا محتج أو يغتر به مغتر أو يقول به قائل أو يتعلق به متعلق مع شهادة قائله عليه بالضلال وإجماع العلماء من أهل بلدته على استتابته منه وإهدار دمه به وبأمثاله وهذا أدل شيء على خطئه وضلاله وإن كانت هذه المقالة صدرت منه بعد

توبته فهذا دليل على زنـدقته وإصـراره علـى بـدعته ورجـوعه إلـى ضلالته ، فإن معنى الزندقة إظهار الحق واعتقاد خلافه وهو النفـاق الذي كان علـى عهـد رسـول اللـه ويسـمى اليـوم الزندقـة ، وهـذا الرجل قد صنف في نفي تأويل الصفات والرد علـى متأولهـا جـزءا مفردا وصـنف فـي الحـرف والصـوت جـزءا مفـردا وصـنف كتـاب الانتصار للسنة وغيرها من الكتـب وملأهـا مـن السـنة والـرد علـى المبتدعة ، فإن كان يظهـر ذلـك ويبطـن هـذا ويعتقـده فهـو زنـديق فكيف يجوز أن يحتج محتج بمقالته أو يرضى لنفسه بمثـل حـاله أو يضل بضلالته ونعوذ بالله تعالى ولا يظن به هـذا ولكـن لمـا علمـت منه حالتان حالة بدعة وحالة توبة نسبنا كل ما وجد مـن كلامـه مـن البدع إلى حالة البدعة لا غير اهـ المقصود

قال ابن القيم في الطبقات الطبقة الخامسة عشرة طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداةالله ورسله وهؤلاء المنافقون وهم فى الدرك الأسفل من النار قال تعالى **(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا**) فالكفار والمجاهرون بكفرهم أخف وهم فوقهم في دركات النار لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله وزاد المنافقون عليهم بالكذب بالكذب والنفاق وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم (**هم العدو فاحذرهم**) ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر أي لا عدو إلا هم ولكن لم يرد ها هنا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياما ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحا ومساءا يدلون العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر فلهذا قيل (**هم العدو فاحذرهم)** لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوا من الكفار المجاهرين ونظير ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس المسكين الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه) فليس هذا نفيا لاسم المسكين عن الطواف بل إخبار بأن هذا القانع الذي لا يسمونه مسكينا أحق بهذا الاسم من

الطواف الذي يسمونه مسكينا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم (ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب) ليس نفيا للاسم عن الصرعة ولكن إخبار بأن من يملك نفسه عن الغضب أحق منه بهذا الاسم ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم (ما تعدون المفلس فيكم ... الحديث) .
والمقصود هذه الطبقة أشقى الأشقياء ولهذا يستهزأ بهم في الآخرة وتعطى نورا يتوسطون به على الصراط ثم يطفىء الله نورهم ويقال لهم (**ارجعو وراءكم فالتمسوا نورا)** ويضرب بينهم وبين المؤمنين (**بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور**) وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح حتى إذا ظن أنه ناج ورأى منازل السعداء اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة ونعوذ بالله من غضبه وعقابه وإنما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل لغلظ كفرهم فإنهم خالطوا المسلمين وعاشروهم وباشروا من أعلام الرسالة وشواهد الإيمان لما لم يباشره البعداء ووصل إليهم من معرفته وصحته ما لم يصل إلى المنابذين بالعداوة فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفرا وأخبث قلوبا وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء عنهم وإن كان البعداء متصدين لحرب المسلمين ولهذا قال تعالى (**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)** وقال تعالى فيهم (**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**) وقال تعالى في الكفار (**صم بكم عمى فهم لا يرجعون)** فالكافر لم يعقل والمنافق أبصر ثم عمي وعرف ثم تجاهل وأقر ثم أنكر وآمن ثم كفر ومن كان هكذا كان أشد كفرا وأخبث قلبا وأعتى على الله ورسله فاستحق الدرك الأسفل .
وفيه معنى آخر ايضا وهو أن الحامل لهم على النفاق طلب العز والجاه بين الطائفتين فيرضوا المؤمنين ليعزهم ويرضوا الكفار ليعزوهم أيضا ومن ههنا دخل عليهم البلاء فإنهم أرادوا العزتين من الطائفتين ولم يكن لهم غرض في الإيمان والإسلام ولا طاعة الله ورسوله بل كان ميلهم وصغوهم وجهتهم إلى الكفار فقوبلوا على ذلك بأعظم الذل وهو أن جعل مستقرهم في أسفل السافلين تحت الكفار فما اتصف به المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين ءامنوا والاستهزاء بأهل الإيمان والكذب والتلاعب بالدين وإظهار أنهم من المؤمنين وأبطنوا قلوبهم على الكفر والشرك وعداوة الله ورسوله أمر اختصوا به عن الكفار فتغلظ كفرهم به

فاستحقوا الدرك لأسفل من النار ولهذا لما ذكر تعالى أقسام الخلق في أول سورة البقرة ، فقسمهم إلى مؤمن ظاهرا وباطنا وكافر ظاهرا وباطنا ومؤمن في الظاهر كافر في الباطن وهم المنافقون وذكر في حق المؤمنين ثلاث آيات ، وفي حق الكفار آيتين ، فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية ، ذمهم فيها غاية الذم وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون في الأرض المخادعون المستهزئون المغبونون في اشترائهم الضلالة بالهدى وأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وأنهم مرضى القلوب وأن الله يزيدهم مرضا إلى مرضهم فلم يدع ذما ولا عيبا إلا ذمهم به ... ثم بعد ذلك ذكر صفاتهم الى آخر ذكر هذه الطبقة .

33ـ باب مسمى غير الزنديق إذا اجتمعا

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)
منافق مشوب مخلط ، وهو من كان على النفاق ويظنه ليس كذلك .

34 ـ باب اسم المرتد في القرآن

قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)
قال تعالى (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) وقال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**) .
وهو المسلم اذا كفر كفرا ظاهرا ، او المنافق اذا أظهر كفره ظهورا عاما .

35 ـ باب تسمية المنافق مرتدا والعكس

وقال تعالى (**إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ثم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم)** قال ابن كثير : وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون اهـ قال القرطبي : وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون ، وقال ان المنافقين واليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر أي في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته والقعود عن الجهاد معه وتوهين أمره في السر اهـ .وقال الشوكاني ان القائلين هم المنافقون والكارهين هم اليهود هذا أولى وآكد .

وعمر وخالد سميا من تكلم بالرسول منافقا ، وعمر سمى ابن سلول منافقا بعد تبوك ، وحذيفة سمى المظهر منافقا .

قال ابن تيمية في الفتاوى 7/278 وكذلك أيضا لمّا إنهزم المسلمون يوم أحد وشج وجه النبى صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته ارتد طائفة نافقوا ، قال تعالى (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)** وقال تعالى (**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم الإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون)** .

الى ان قال : وفي الجملة ففى الأخبار عمن نافق بعد إيمانه ما يطول ذكره هنا فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذى ضرب الله به المثل فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الاسلام الذى يثابون عليه ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على الايمان ، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الايمان بالمحنة ، وهذا حال كثير من المسلمين فى زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التى يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق أكثرهم أو كثير منهم ، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا .

قال شارح الطحاوية 1 /ـ 557 وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفـر القائلين لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتـي رسـل اللـه ، ولكـن ابـن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدرك الأسفل من النـار

والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ويبطنون الكفر وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد ولكن في قبول توبته خلاف والصحيح عدم قبولها . اهـ
وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب يوضح ذلك ما ذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين اهـ وقال في موضع آخر يخاطب بعض الزائغين : وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال الله فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأنهم يخفون نفاقهم وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام اهـ . مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب 1 /228ـ 222 .

36 ـ باب الدم والمال والعقوبات ليس معلقا بالاسم بل بالبينة والمواريث بالنصرة الظاهرة

ولعموم قوله تعالى وامثالها (**ولابويه لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد**) .
قال ابن تيمية : وكذلك الإيمان له مبدأ وكمال وظاهر وباطن ، فإذا علقت به الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدم والمال والمواريث والعقوبات الدنيوية علقت بظاهره لا يمكن غير ذلك ، إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر وإن قدر أحيانا فهو متعسر علما وقدرة ، فلا يعلم ذلك علما يثبت به في الظاهر ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن اهـ
قال ابن القيم في احكام اهل الذمة 2/856 والميراث يستحق بالنصرة فيرثهم المسلمون وهم لا ينصرون المسلمين فلا يرثونهم فإن أصل الميراث ليس هو بموالاة القلوب ولو كان هذا معتبرا فيه كان المنافقون لايرثون ولا يورثون وقد مضت السنة بأنهم يرثون ويورثون .
ومن البدع ترك ارث المنافق تدينا او وجوبا ، اما ارث المرتد ظهورا لا بينة فجائز او واجب وابن المهدي ترك ارث الجهمية واذا اشهر الكفر ولم يثبت بالبينة او اقامة دعوى فهو بالاسم مرتد وبالاحكام منافق ويجوز هذا ويجوز هذا .

37ـ باب جامع لفقه المسألة

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 673 وما بعدها : فان قيل فلم لم يقتلهم النبي مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم ؟ قلنا انما ذاك لوجهين : احدهما ان عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الاسلام ، ونفاقهم

يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن فينقلها الى النبي صلى الله عله وسلم فيحلفون بالله انهم ما قالوها او لايحلفون وتارة بما يظهر من تاخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهية منهم لكثير من احكام الله وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال تعالى **(ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)** فاخبر سبحانه انه لوشاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال (**ولتعرفنهم في لحن القول**) فاقسم على انه لابد ان يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول او يعمل العمل فينزل القران يخبر ان صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة ـ ومنهم ومنهم ـ وكان المسلمون ايضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والامارات ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى (**وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**) ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الاسلام ويحلفون انهم مسلمون ، وقد اتخذوا ايمانهم جنة واذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة او اقرار الا ترى كيف اخبر عن المراة الملاعنه انها ان جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت على النعت المكروه فقال (لولا الايمان لكان لي ولها شان) وكان بالمدينة امراة تعلن الشر فقال لو كنت راجما احدا من غير بينة لرجمتها ، وقال للذين اختصموا اليه (انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي بنحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار) فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ويدل على هذا انه لم يستتبهم على التعيين ، ومن المعلوم ان احسن حال من ثبت نفاقه وزندقته ان يستتاب كالمرتد فان تاب والا قتل ولم يبلغنا انه استتاب واحد بعينه منهم فعلم ان الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتا يوجب ان يقتل كالمرتد ولهذا كان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله فاذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه ؟ ولهذا قال (اني لم اومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم) لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة ولما استؤذن ايضا في قتل رجل من المنافقين قال (اليس يشهد ان لا اله الا الله قيل بلى قال اليس يصلي قيل بلى قال اولئك الذين نهاني الله عن

قتلهم) فاخبر انه نهي عن قتل من اظهر الاسلام من الشهادتين والصلاة وان رمي بالنفاق وظهرت عليه دلالته اذا لم يثبت بحجة شرعية انه اظهر الكفر ، وكذلك قوله في الحديث الاخر (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) معناه اني امرت ان اقبل منهم ظاهر الاسلام واكل بواطنه الى الله ، والزنديق والمنافق انما يقتل اذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة اهـ .

قال ابن القيم في الطرق الحكمية 1/292 ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم ويتحقق ذلك ولا يحكم فيهم بعلمه اهـ .

واسم النفاق منوط بالصفات والقرائن ، وخبر الواحد وكلاهما يفيد العلم ، وبهما تكون احكامه ماعدا العقوبة من قتل او تعزير فبالظهور على الجواز والمصلحة ، وبالبينة على الوجوب لأنه حد ردة ، وأحكام البراء وعدم الصلاة تتبع العلم ، والردة بالاظهار للعامة والقتل بالبينة ، وبالنفاق يجوز القتل لكن منوط بالمصلحة وعدم المفسدة ، والارث بالنصرة والاسم ، وقتل المرتد بالشهود لا الاستفاضة وهو حد واجب ويستتاب اما المنافق فلا يستتاب ، والمرتد من جحد او ترك مع عدم الاخفاء والاعتذار ، واذا شككنا هل هو منافق او مرتد يغلب جانب النفاق لانه اقرب الى ظاهر الاسلام.

38 ـ باب في الفرق بين من كُفّر من أجل التاويل وبين المنافق

وقال ابن تيمية في الفتاوى 7/617 فإن كثيرا من الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة فلا يرث ولا يورث ولا يناكح حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل من أهل البدع ، وليس الأمر كذلك فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر ، وكان فى المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون فى نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه كإبن أبى وأمثاله ، ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون وكان إذا مات لهم ميت آتوهم ميراثه وكانت تعصم دماؤهم حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته اهـ .

(في الاسم لا في الحكم)

39 ـ باب الفرق بين المنافق والمبتدع

وقال ايضا : الفتاوى 28 / 231 ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة او العبادات المخالفة للكتاب والسنة فـان بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين ... الــى ان قال : واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنـوا قـولهم حقـا وهـو مخـالف للكتـاب وصاروا دعاة الـى بـدع المنـافقين كمـا قـال تعـالى **(لو خرجـوا فيكـم مـا زادوكـم الا خبـالا ولأوضـعوا خلالكـم يبغـونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** فلا بد أيضا من بيان حال هــؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فان فيهم ايمانـا يـوجب مـوالاتهم وقـد دخلوا فى بدع مـن بـدع المنـافقين الـتى تفسـد الـدين فلا بـد مـن التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لــم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوهـا ظـانين أنهـا هـدى وانها خير وانها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها ولهـذا وجـب بيان حال من يغلط فى الحـديث والروايـة ومـن يغلـط فـى الـرأى والفتيا ومن يغلط فى الزهد والعبادة ، وان كان المخطـئ المجتهـد مغفورا له خطؤه وهو مأجور علـى اجتهـاده فبيـان القـول والعمـل الذى دل عليه الكتـاب والسـنة واجـب وان كـان فـى ذلـك مخالفـة لقوله وعمله ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز ان يـذكر علـى وجه الذم والتاثيم له فان الله غفر له خطأه بل يجـب لمـا فيـه مـن الايمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقــوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك اهـ المقصود .

وقال ايضا : الفتاوى 28 / 231 وان علم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة علىعهد رسول الله مثل عبد الله بن أبى وذويه وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضه عبدالله بن سبأ وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكربالنفاق وان اعلن بالبدعة ، ولم يعلم هل كان منافقا أو مؤمنا مخطئا ذكر بما يعلم منه فلا يحل للرجل ان يقفو ما ليس له به علم ولا يحل له ان يتكلم فى هذا الباب الا قاصدا بذلك وجه الله تعالى وان تكون كلمة الله هى العليا وان يكون الدين كله لله فمن تكلم فى ذلك بغير علم او بما يعلم خلافه كان آثما وكذلك القاضى والشاهد والمفتىكما قال النبى صلى الله عليه وسلم (القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل علم الحق فقضى بخلاف ذلك فهو فى النار) وقد قال تعالى(**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تالووا وتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .**

قال ابن ابي العز رحمه الله في شارح الطحاوية 1 / 357 : قال في أقوال أهل البدع : ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ، ولا يكون ذلك (أي التكفير) إلا إذا صار منافقا زنديقا فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا ، وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف :

صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب وهم الذين لا يقرون بالشهادتين وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا .

وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا .

وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا ، والزنديق هو المنافق ، وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين ، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله (لا تلعنه فوالله ما علمت إلا إنه

يحب الله ورسوله) وهذا أمر متيقن به فـي طوائـف كـثيرة وأئمـة فـي العلـم والـدين وفيهـم بعـض مقـالات الجهميـة أو المرجئـة أو القدرية أو الشـيعة أو الخـوارج ولكـن الأئمـة فـي العلـم والـدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها ولهـذا انتحـل أهـل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير فمن عيوب أهـل البـدع تكفيـر بعضـهم بعضـا ومـن ممـادح أهـل العلـم أنهـم يخطئـون ولا يكفرون .

40 ـ باب إذا سمى الفاسق والعاصي منافقا متأولا أو لشبهة

روى البخاري في كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم في باب ما جاء في المتأولين عن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا من الأنصار فاجتمعوا فقال قائل منهم أين مالك بن الدخيشن أو بن الدخشن فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله قال الله ورسوله أعلم قال فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)

قـال ابـن تيميـة فـي الفتـاوى 7 /ـ 522 الأصـل الثـاني أن شـعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف فإذا قوي ما فى القلب من التصديق والمعرفة والمحبة للـه ورسـوله أوجـب بغـض أعداء الله كما قال تعالى **(ولو كـانوا يؤمنـون بـالله والنـبى وما أنزل إليه مـا إتخـذوهم أوليـاء)** وقـال **(لا تجـد قومـا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد اللـه ورسـوله ولـو كـانوا آبـاءهم أو أبنـاءهم أو إخـوانهم أو عشـيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بـروح منـه)** وقـد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبا ينقـص بـه إيمـانه ولا يكون به كافرا كما حصل من حاطب بـن أبـي بلتعـة لمـا كـاتب المشركين ببعـض أخبـار النـبى وأنـزل اللـه فيـه **(ياأيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا عـدوى وعـدوكم أوليـاء تلقـون إليهـم بالمودة)** وكما حصل لسعد بن عبـادة لمـا إنتصـر لابـن أبـي فـى قصة الافك فقال لسعد بن معاذ كذبت والله لا تقتله ولا تقدر علـى قتله قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية .

ولهذه الشبهة سمى عمر حاطبا منافقا فقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه شهد بدرا فكان عمر متأولا فى تسميته منافقا للشبهة التى فعلها ، وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه إنما أنت منافق تجادل عن المنافقين هو من هذا الباب وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم منافق وإن كان قال ذلك لما رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعا واحدا بل فيهم المنافق المحض وفيهم من فيه إيمان ونفاق وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان ولما قوى الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك اهـ .

قال ابن تيمية في الفتاوى 3 / 283 وإذا كان المسلم متأولا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد شهد بدرا وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدل فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وهذا في الصحيحين وفيها أيضا من حديث الإفك أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة أنك منافق تجادل عن المنافقين واختصم الفريقان فأصلح النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم إنك منافق ولم يكفر النبي لا هذا ولا هذا بل شهد للجميع بالجنة .

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلا بعد ما قال لا إله إلا الله وعظم النبي ذلك لما أخبروه وقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ومع هذا لم يوجب عليه قودا ولا دية ولا كفارة لأنه كان متأولا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذا ، فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضها من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**) فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل ....

الى ان قال ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا مولاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار فيقبل بعضهم شهادة بعض

ويأخذ بعضهم العلـم عـن بعـض ويتوارثـون ويتنـاكحون ويتعـاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كـان بينهـم مـن القتـال والتلاعن وغير ذلك اهـ مختصرا
وقال جابر بن عبد الله أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة فقرأ بهم البقرة قال فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة فبلغ ذلك معاذا فقال إنه منافق فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا وإن معاذا صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوزت فزعم أني منافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ أفتان أنت ثلاثا اقرأ والشمس وضحاها و سبح اسم ربك الأعلى ونحوها) متفق عليه .

41 ـ باب الانتساب الى الطوائف الغليظة عن علم بها يخرجه من مسمى نفاق غير الزندقة إليه فيعامل معاملة الكافر باعتبار

قال تعالى (**وقالت طائفة مـن أهـل الكتـاب آمنـوا بالـذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفـروا آخـره لعلهـم يرجعون)** قال تعـالى **(وإذا لقوا الـذين آمنـوا قـالوا آمنـا وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتـح اللـه عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) .**
ولحديث (لا يتوارث أهل ملتين) .
قال أبو عبدالله البخاري ما أبالي أصليت خلف الجهمي أو الرافضي أم صليت خلف اليهودي والنصراني ، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم .
وقال عبدالرحمن بن مهدي هما ملتان الجهمية والرافضة ، قال شيخ الإسلام وهذا الكلام الذي قاله الإمام عبدالرحمن بن مهدي قد قاله غيره وهو كلام عظيم فإن هاتين الفرقتين هما أعظم الفرق فسادا في الدين وأصلهما من الزنادقة المنافقين ، ليستا من ابتداع المتأولين مثل قول الخوارج والمرجئة والقدرية فإن هذه الآراء ابتدعها قوم مسلمون بجهلهم قصدوا بها طاعة الله فوقعوا في معصيته ، ولم يقصدوا بها مخالفة الرسول ولا محادته بخلاف الرفض والتجهم فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لما جاء به الرسول مبغضين له اهـ المقصود

42 ـ باب اسم من غلبت عليه شعب النفاق

قال ابن تيمية فـي الفتـاوى 7/352 فمـن كـان فيـه إيمـان ونفـاق يسمى مسلما اذ ليس هـو دون المنـافق المحـض واذا كـان نفـاقه

أغلب لم يستحق اسم الإيمان بل إسم المنافق أحق به فان ما فيـه بياض وسواد وسوداه أكثر من بياضه هـو بإسـم الأسـود أحـق منـه باسم الأبيض كما قال تعالى **(هم للكفر يومئـذ أقـرب منهـم للإيمان**) وأما اذا كان ايمانه أغلب ومعه نفاق يستحق بـه الوعيـد لم يكن أيضا من المؤمنين الموعودين بالجنة اهـ .

43 ـ باب موانع التنفيق الاكبر

أ ـ وعن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا من الأنصار فاجتمعوا فقال قائل منهم أين مالك بن الدخيشن أو بن الدخشن فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله قال الله ورسوله أعلم قال فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه .

ب ـ في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي أنه مر به أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي فقال مالك قال نافق حنظلة يا أبا بكر نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنهما رأي العين فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والصبية فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لكذلك فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (مالك يا حنظلة ؟ قال نافق حنظلة يا رسول الله وذكر له مثل ما قال لأبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافتحكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) وفي مسند البزار عن أنس قال قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره قال كيف أنتم ؟ قالوا الله ربنا في السر والعلانية قال ليس ذاكم من النفاق وروى من وجه آخر عن أنس قال غدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هلكنا قال وما ذاك ؟ قالوا النفاق قال (ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قالوا بلى قال فليس ذاك بالنفاق) ثم ذكر يعني حديث حنظلة كما تقدم اهـ .

4 ـ كتاب صفات المنافقين

44 ـ باب صفات وأحكام النفاق حسب السور

1 ـ من سورة البقرة :

أول آية في القرآن فيها ذكر المنافقين قاله ابن حزم ، قال الله تعالى (**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما**

هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهآء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

2 ـ سورة آل عمران :

اول آية في احكام المنافقين قال الله تعالى (**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضآء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون هآأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط)**

قال تعالى (**وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .**

وقال تعالى (**وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) .**

وقال تعالى (**وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .**

3 ـ سورة النساء :

ثاني آية في الاحكام وهي الاول في القتل جوازا لا وجوبا باقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر ، وقال تعالى (**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بمآ أنزل إليك ومآ أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى مآ أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذآ أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآءوك يحلفون بالله إن أردنآ إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ومآ أرسلنا من رسول ألا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** .

ومن صفاتهم : وقال تعالى (**وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما**) .

ثالث آية في الاحكام ، وقال تعالى (**ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طآئفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)** .

رابع آية في الاحكام وهي الاول في منافقي غير دار الاسلام ، وقال تعالى (**فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سوآء فلا تتخذوا منهم أولياآء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جآءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلونكم أو يقاتلوا قومهم ولو شآء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم**

السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) .
عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين البخاري قال ابن حزم : في المحلى 11 / 202 وقد سمى الله تعالى أولئك منافقين .
قال ابن حزم : المحلى 11 / 203 ويشكل على الآية أنه ليس على سكان المدينة هجرة بل الهجرة كانت إلى دارهم فهي إذن في قوم كفار ادعوا أنهم آمنوا ولم يهاجروا فليست الآية في المنافقين المنصرفين عن أحد فقد قال تعالى (**فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم**) ولم يقتل النبي عليه السلام الراجعين عن أحد حيث وجدهم فلا يشك مسلم في أنه عليه السلام لم يقتل منهم أحدا ولا نبذ العهد إلى أحد منهم ، وفي قوله تعالى (**إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جآءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلونكم أو يقاتلوا قومهم ولو شآء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) بيان جلي بأن هؤلاء لم يكونوا قط من الأوس ولا من الخزرج لأنهم لم يكن لهم قوم محاربون للنبي عليه السلام ولا نسبوا قط إلى قوم معاهدين النبي عليه السلام بميثاق معقود هذا مع قوله تعالى إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جآءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلونكم أو يقاتلوا قومهم ولو شآء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا النساء فإن هذا بيان جلي على أنهم الأنصار المنافقين لكن من الكفار المجاهرين بالكفر
خامس آية في احكام المنافقين قال الله تعالى (**بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياآء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة**

ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يرآءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياآء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) وفي آخرها دعوة للتوبة وبيان كيفية توبة المنافق .

4 ـ سورة المائدة :

من صفات المنافقين ، قال الله تعالى (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياآء بعضهم أولياآء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على مآ أسروا في أنفسهم نادمين)** قال ابن حزم رحمه الله فأخبر الله تعالى عن قوم يسارعون في الذين كفروا حذرا أن تصيبهم دائرة وأخبر تعالى عن الذين آمنوا أنهم يقولون للكافرين أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لمعكم يعنون الذين يسارعون فيهم ، قال الله تعالى (**حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين**) فأظهروا الميل إلى الكفار فكانوا منهم كفارا خائبي الأعمال .

5 ـ سورة الانفال :

من طرق مواجهة المنافقين : وقال تعالى(**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**) .

6 ـ سورة التوبة :

من احكام المنافقين : وقال تعالى (**لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا**

بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جآء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

من صفات المنافقين : قال ابن حزم رحمه الله المحلى 11 / 205 وقوله تعالى (**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون)** قال : قد قيل إن هذه الآية نزلت في الحر بن قيس وهذا لا ينسند ألبتة وإنما هو منقطع من أخبار المغازي ... وأما الذي أخبر الله تعالى بأنه إن أصابت رسوله عليه السلام سيئته ومصيبته تولوا وهم فرحون أو أنه إن أصابته حسنة ساءتهم فهؤلاء كفار بلا شك اهـ المقصود .

من صفات المنافقين : قال المحلى 11 / 206 وقال تعالى (**قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون**) أما هؤلاء فكفار بلا شك مظهرون للإسلام ... فأمر تعالى في الآية أن لا تعجبه أموالهم ولا أولادهم عموما لأن الله تعالى يريد أن يعذب المنافقين منهم بتلك الأموال ويموتوا كفارا ولا بد وبالله تعالى التوفيق .

من صفاتهم : وقال تعالى (**ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا مآ آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنآ إلى الله راغبون)** قال ابن حزم : رحمه الله وهذا لا يدل ألبتة لا بنص ولا بدليل على كفر من فعل هذا ولكنها معصية بلا شك .

من صفاتهم : وقال تعالى (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن**

للذين آمنوا ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم)

من صفاتهم : وقال تعالى (**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون)**

وقال تعالى (**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طآئفة منكم نعذب طآئفة بأنهم كانوا مجرمين)** قال ابن حزم : هذه بلا شك في قوم معروفين كفروا بعد إيمانهم ولكن التوبة مبسوطة لهم بقوله تعالى إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين التوبة فصح أنهم أظهروا التوبة والندامة واعترفوا بذنبهم فمنهم من قبل الله تعالى توبته في الباطن عنده لعلمه تعالى بصحتها ومنهم من لم تصح توبته في الباطن فهم المعذبون في الآخرة وأما في الظاهر فقد تاب جميعهم بنص الآية وبالله تعالى التوفيق .(وفيه ان خبر الواحد في من قال كلمة نفاق اكبر خفية او في مجلس خاص ، ثم احتسب عليه احد ثم ذكر القائل انه قصد الكلمة والفعل لكن لم يقصد الكفر انه لا يقبل قوله لانه اجتمع قول واحد معه اقرار عليه فلا يقبل ، والقتل يجوز تركه ، لكن يعزر هذا المنافق بالتشهير وشدة الاعراض ، والاعلان عليه بانه كافر فلا عذر ، اما ان قالها على وجه الردة فالقتل حتما)

من صفاتهم : وقال تعالى (**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم)**

من الاحكام : وقال تعالى (**ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)** التوبة قال فهذه آية أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار والمنافقين والجهاد قد يكون باللسان والموعظة والحجة كما نا عبد الله بن ربيع نا محمد بن إسحاق نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا موسى بن إسماعيل نا حماد هو ابن سلمة عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاهدوا

المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم قال أبو محمد وهذه الآية تدل على أن هؤلاء كانوا معروفين بأعيانهم وأنهم قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ولكن لما قال الله تعالى فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما التوبة صح أن الله تعالى بدل لهم التوبة وقبلها ممن أحاطها منهم وكلهم بلا شك أظهر التوبة وبرهان ذلك حلفهم وإنكارهم فلا متعلق لهم في هذه الآية وبالله تعالى التوفيق .(يمكن يقال باب توبة المنافق او الانكار من خير الواحد توبة ظاهرة ونحوه)

من العقوبات القدرية : قال ابن حزم المحلى 11 / 208 وقال تعالى (**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلمآ آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بمآ أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**) على أنه قد روينا أثرا لا يصح وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب وهذا باطل لأن ثعلبة بدري معروف وهذا أثر وفي رواته معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني وكلهم ضعفاء ومسكين بن بكير ليس بالقوي .

من صفاتهم : وقال تعالى (**الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم)** . قال ابن حزم هذه الآيات فيها أنهم يلمزون المطوعين من المؤمنين ويسخرون منهم وهذا ليس كفرا بلا خلاف من أحد من أهل السنة ،

من الاحكام : وقال تعالى **(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)** وأما قوله تعالى (**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين)** وقوله تعالى (**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)**

قال ابن حزم 11 / 209 بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه فقام إليه فلما وقف إليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره

فقلت يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا يوم كذا والقائل كذا في يوم كذا أعدد أيامه حتى إذا أكثرت عليه قال يا عمر أخر عني إني قد خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان (**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق حتى قبضه الله تعالى ، وبسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت ثم قلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت فلو علمت أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فما مكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة المذكورتان قال عمر فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم

قال ابن حزم المحلى 11 / 210 وبسنده عن عكرمة قال لما حضر عبد الله بن أبي الموت قال ابن عباس فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرى بينهما كلام فقال له عبد الله بن أبي قد أفقه ما تقول ولكن من علي اليوم وكفني بقميصك هذا وصل علي قال ابن عباس فكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقميصه وصلى عليه والله أعلم أي صلاة كانت وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخدع إنسانا أنه قال يوم الحديبية كلمة حسنة قال الحكم فسألت عكرمة ما هذه الكلمة قال قالت قريش يا أبا حباب إنا قد منعنا محمدا طواف هذا البيت ولكنا نأذن لك فقال لا لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وبسنده عن عمرو بن دينار وسمع جابرا يقول أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبر عبد الله بن أبي وقد وضع في حفرته فوقف فأمر به فأخرج من حفرته فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه ونفث عليه من ريقه والله أعلم

قال ابن حزم المحلى 11 / 210 ان الله تعالى قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن الاستغفار جملة للمشركين بقوله تعالى (**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**) الى ان قال فصح أن النهي عن الاستغفار للمشركين نزل بمكة بلا شك فصح يقينا أنه عليه السلام لم يوقن أن عبد الله بن أبي مشرك ولو أيقن أنه مشرك لما صلى عليه أصلا ولا استغفر له .

من الاحكام الدعاء عليهم ومنه انه هل يجتمع الكفر والنفاق في شخص ؟ وقال تعالى (**الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود مآ أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دآئرة السوء والله سميع عليم**)

من العقوبات القدرية : وقال تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم)**

من الاحكام : وقال تعالى (**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم**)

من الصفات والاحكام : وقال تعالى (**وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون او لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وإذا مآ أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون**) .

7 ـ ومن سورة النور :

وفيها قصة الافك ، قال تعالى (**ان الذين جاءو بالافك عصبة منكم**) الآية .
من صفاتهم : وقال تعالى (**ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفآئزون واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل طاعة معروفة)**
8 ـ ومن سورة العنكبوت :
قال تعالى (**ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)**
9 ـ من سورة الاحزاب :
ومن احكامهم : قال الله تعالى (**يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)** .
من صفاتهم ومن الاحكام وطريقة الوعظ : وقال تعالى (**إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ، الآيات)**
من صفاتهم : وقال تعالى (**قد يعلم الله المعوقين منكم والقآئلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جآء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا**

فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) وقال تعالى (**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**) قال ابن حزم في المحلى : لا يختلف مسلمان في أنه ليس على ترك قتال الكافرين وإصغارهم ودعائهم إلى الإسلام ولكن فيما عدا ذلك .
من الاحكام : وقال تعالى (**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا**) لأن الله تعالى قطع بأنه ان لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ليغرين بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يجاورونه فيها إلا قليلا فأخبر تعالى أنهم يكونون إن لم ينتهوا ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا واعراب ملعونين أنه حال لمجارتهم معناه لا يجاورونه إلا قليلا ملعونين ، ولو أراد الله هذا لقال ملعونون على خبر ابتداء مضمر ثم أكد تعالى بأن هذا هو سنته تعالى التي لا تتبدل ، ثم قال ابن حزم انهم رجعوا وانتهوا ، ثم شنع على من قال لم ينتهوا .
10 ـ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم :
وفيها العقوبات القدرية : قال تعالى (**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوآءهم)** .وفيها (**رايت الذين في قلوبهم مرض** ، الآية)
ومن اسمائهم وصفاتهم : وقال تعالى (**إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ثم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم)**
قال تعالى (**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشآء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم**)
11 ـ من سورة الحديد :
قال تعالى (**يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم**) الآية .
12 ـ من سورة المجادلة :
من صفاتهم : وقال تعالى (**ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم سآء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل**

الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) الآية .

13 ـ من سورة الحشر :

من صفاتهم : وقال تعالى **(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون)**

14 ـ من سورة المنافقين :

من صفاتهم واحكامهم : وقال تعالى **(إذا جآءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم سآء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سوآء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزآئن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنآ إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** .

45ـ باب جامع صفاتهم

قال ابن القيم في طريق الهجرتين لما ذكر ــ الطبقة الخامسة عشرة ـ وهي طبقة المنافقين ذكر صفاتها ومنها :

وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون في الأرض المخادعون المستهزئون المغبونون في اشترائهم الضلالة بالهدى وأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وأنهم مرضى القلوب وأن الله يزيدهم مرضا إلى مرضهم فلم يدع

ذما ولا عيبا إلا ذمهم به وهـذا يـدل علـى شـدة مقتـه سـبحانه لهـم وبغضه اياهم وعداوته لهم وأنهم أبغض أعدائه إليه فظهرت حكمته الباهرة في تخصيص هذه الطبقة بالـدرك الأسـفل مـن النـار نعـوذ بالله من مثل حالهم ونسأله معافاته ورحمته ومن تأمـل مـا وصـف قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات والشكوك ووصفهم بالإفسـاد في الأرض وبالاستهزاء بدينه وبعباده وبالطغيـان واشـتراء الضـلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته والزنا وقلة ذكـره والحلـف باسـمه تعـالى كـذبا وبـاطلا وبالكـذب وبغايـة الجبن وبعدم الفقه في الدين وبعدم العلم وبالبخل وبعـدم الإيمـان بالله وباليوم الآخر وبالرب وبأنهم مضرة على المؤمنين ولا يحصـل لهم بنصيحتهم إلا الشر من الخبال و الإسـراع بينهـم بالشـر وإلقـاء الفتنة وكراهتهم لظهور أمر اللـه ومحـو الحـق وأنهـم يحزنـون بمـا يحصل للمؤمنين من الخير والنصر ويفرحون بمـا يحصـل لهـم مـن المحنـة والابتلاء وأنهـم يتربصـون الـدوائر بالمسـلمين وبكراهتهـم الإنفاق في مرضاة الله وسبيله وبعيب المؤمنين ورميهم بمـا ليـس فيهم فيلمزون المتصدقين ويعيبون مجهدهم ويرمون بالريـاء إرادة الثناء في الناس مكثرهم وأنهم عبيـد الـدنيا إن أعطـوا منهـا رضـوا وإن منعوا سخطوا وبأنهم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسبونه إلى ما برأه الله منه ويعيبونه بما هـو مـن كمـاله وفضـله وأنهم يقصدون إرضاء المخلوقين ولا يطلبون إرضـاء رب العـالمين وأنهم يسخرون من المؤمنين وأنهم يفرحون إذا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويكرهون الجهاد في سبيل الله وأنهم يتحيلون على تعطيل فرائض الله ليهـم ، أنواع الحيـل وأنهـم يرضـون ، التخلف عـن طاعـة اللـه ورسوله وأنهم مطبوع على قلوبهم وأنهم يـتركون مـا أوجـب اللـه عليهم مع قدرتهم عليه وأنهم أحلف الناس بالله قد اتخذوا أيمـانهم جنة تقيهم من إنكار المسلمين عليهم وهـذا شـأن المنـافق أحلـف النـاس بـالله كاذبـا قـد اتخـذ يمنـه جنـة ووقايـة يتقـي بهـا إنكـار المسلمين عليه ووصفهم بأنهم رجس والرجـس مـن جنـس أخبثـه وأقذره فهـم أخبـث بنـي آدم وأقـذرهم وأرذلهـم وبـأنهم فاسـقون وبأنهم مضرة على أهل الإيمـان يقصـدون التفريـق بينهـم ويـؤوون من حاربهم وحارب الله ورسوله وأنهم يتشبهون بهـم ويضـاهئونهم في أعمالهم ليتوصلوا منها إلى الإضرار بهم وتفريق كلمتهـم وهـذا شأن المنافقين أبدا وبأنهم فتنـوا أنفسـهم بكفرهـم بـالله ورسـوله وتربصوا بالمسلين دوائر السوء .

وهذه عادتهم في كـل زمـان وارتـابوا فـي الـدين فلـم يصـدقوا بـه وغرتهم الأمـاني الباطلـة وغرهـم الشـيطان وأنهـم أحسـن النـاس

أجساما تعجب الرائي أجسامهم والسامع منطقهم فإذا جاوزت أجسامهم وقولهم رأيت خشبا مسندة ولا إيمان ولا فقه ولا علم ولا صدق بل خشب قد كسيت كسوة تروق الناظر وليسوا وراء ذلك شيئا وإذا عرض عليهم التوبة والاستغفار أبوها شدة أنهم لا حاجة لهم إليها إما لأن ما عندهم من الزندقة والجهل المركب مغن عنها وعن الطاعات جملة كحال كثير من الزنادقة وإما احتقارا وازدراء بمن يدعوهم إلى ذلك ووصفهم سبحانه بالاستهزاء به وبآياته وبرسوله وبأنهم مجرمون وبأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم عن الإنفاق في مرضاته ونسيان ذكره وبأنهم يتولون الكفار ويدعون المؤمنين وبأن الشيطان قد ترأس عليهم وغلب عليهم حتى أنساهم ذكر الله فلا يذكرونه الا قليلا وأنهم حزب الشيطان وأنهم يوادون من حاد الله ورسوله وبأنهم يتمنون ما يعنت المؤمنين ويشق عليهم وأن البغضاء تبدو لهم من أفواههم وعلى فلتات ألسنتهم وبأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

ومن صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب في الحديث والخيانة في الأمانة والغدر عند العهد والفجور عند الخصام والخلف عند الوعد وتأخير الصلاة إلى آخر وقتها ونقرها عجلة وإسراعا وترك حضورها جماعة وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها الشح على المؤمنين بالخير والجبن عند الخوف فإذا ذهب الخوف وجاء الأمن سلقوا المؤمنين بألسنة حداد فهم أحد الناس ألسنة عليهم كما قيل

جهلا علينا وجبنا من عدوكم * لبئست الخلتان الجهل والجبن

وأنهم عند المخاوف تظهر كمائن صدورهم ومخبآتها وأما عند الأمن فيجب ستره فإذا لحق المسلمين خوف دبت عقارب قلوبهم وظهرت المخبآت وبدت الأسرار .

ومن صفاتهم أنهم أعذب الناس ألسنة وأمرهم قلوبا وأعظم الناس خلفا بين أعمالهم وأقوالهم ومن صفاتهم أنهم لا يجتمع فيهم حسن صمت وفقه في دين أبدا ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذب أقوالهم وباطنهم يكذب ظاهرهم وسرائرهم تناقض علانيتهم ومن صفاتهم أن المؤمن لا يثق بهم في شيء فإنهم قد أعدوا لكل أمر مخرجا منه بحق أو بباطل بصدق أو بكذب ولهذا سمي منافقا أخذا من نافقاء اليربوع وهو بيت يحفره ويجعل له أسرابا مختلفة فكلما طلب من سرب خرج من سرب آخر فلا يتمكن طالبه من حصره في سرب واحد .

قال الشاعر

ويستخرج اليربوع من نافقائه * ومن جحره بالشيخه اليتقصع

فأنت منه كقابض على الماء ليس معك منه شيء .

ومن صفاتهم كثرة التلون وسرعة التقلب وعدم الثبات على حال واحد بينما تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو صدق إذا انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره فهو أشد الناس تلونا وتقلبا وتنقلا جيفة بالليل قطرب بالنهار .

ومن صفاتهم أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم قال تعالى **(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل يريدون أن يتحاكموا إلىالطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصبتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) .**

ومن صفاتهم معارضة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعقول الرجال وآرائهم ثم تقديمها على ما جاء به فهم معرضون عنه معارضون له زاعمون أن الهدى في آراء الرجال وعقولهم دون ما جاء به فلو أعرضوا عنه وتعوضوا بغيره لكانوا منافقين فكيف إذا جمعوا مع ذلك شدة معارضته وأنه لا يستفاد منه هدى

ومن صفاتهم كتمان الحق والتلبيس على أهله ورميهم له بأدوائهم فيرمونهم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ودعوا إلى الله ورسوله بأنهم أهل فتن مفسدون في الأرض وقد علم الله ورسوله والمؤمنون بأنهم أهل الفتن المفسدون في الأرض وإذا دعاهم ورثة الرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله خالصة غير مشوبة رموهم بالبدع والضلال وإذا رأوهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة متمسكين بطاعة الله ورسوله رموهم بالزوكرةوالتلبيس والمحال وإذا رأوا معهم حقا ألبسوه لباس الباطل وأخرجوه لضعفاء العقول في قالب شنيع لينفروهم عنه وإذا كان معهم باطل ألسوه لباس الحق وأخرجوه في قالبه ليقبل منهم وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ويعرف حاله الناقد البصير من الناس وقليل ما هم وليس على الأديان أضر من هذا الضرب من الناس وإنما تفسد

الأديـان مـن قبلهـم ولهـذا جلا اللـه أمرهـم فـي القـرآن وأوضـح أوصافهم وبين أحوالهم وكرر ذكرهم لشدة المؤنة على الأمـة بهـم وعظم البلية عليهم بوجـودهم بيـن أظهرهـم وفـرط حـاجتهم إلـى معرفتهم والتحرز من مشابهتهم والإصغاء إليهم فكم قطعـوا علـى السالكين إلى الله طرق الهدى وسلكوا بهم سبيل الردى وعـدوهم ومنوهم ولكن وعدوهم الغرور ومنوهم الويل والثبور فكم من قتيل ولكن في سبيل الشيطان وسليب ولكـن للبـاس التقـوى والإيمـان وأسير لا يرجى له الخلاص وفار من الله لا إليه وهيهـات ولات حيـن مناص صحبتهم توجب العار والشنار ومـودتهم تحـل غضـب الجبـار وتوجب دخول النار من علقت بـه كلاليـب كلبهـم ومخـاليب رأيهـم مزقت منه ثياب الدين والإيمـان وقطعـت لـه مقطعـات مـن البلاء والخذلان فهو يسحب من الحرمان والشقاوة أذيـالا ويمشـي علـى عقبيه القهقرى إدبارا منه وهو يحسب ذلك إقبالا فهم واللـه قطـاع السلام فيا أيها الركب المسافرون إلى منازل السعداء حذار منهـم حذار إذ هم الجزارون ألسنتهم شفار البلايا ففرارا منهم أيهـا الغنـم فرارا ومن البلية إنهم الأعـداء حقـا وليـس لنـا بـد مـن مصـاحبتهم وخلطتهم أعظم الداء وليـس بـد فـي مخـالطتهم قـد جعلـوا علـى أبواب جهنم دعاة إليها فبعدا للمستجيبين ونصبوا شـباكهم حواليهـا على ما حفـت بـه مـن الشـهوات فويـل للمغـترين نصـبوا الشـباك ومدوا الأشراك وأذن مؤذنهم يا شياه الأنعام حي علـى الهلاك حـي عن التباب فاسـتبقوا يهرعـون إليهـم فـأوردوهم حيـاض العـذاب لا الموارد العذاب وساموهم من الخسف والبلاء أعظم خطـة وقـالوا ادخلوا بـاب الهـوان صـاغرين ولا تقولـوا حطـة فليـس بيـوم حطـة فواعجبا لمن نجا من شراكهم لا مـن علـق وأنـى ينجـو مـن غلبـت عليه شقاوته ولها خلق فحقيق بأهل هذه الطبقة أن يحلوا بالمحـل الذي أحلهم الله مـن دار الهـوان وأن ينزلـوا فـي أردأ منـازل أهـل العناد والكفران .

وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون مـن أهـل هـذه الطبقة ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسـابقوها علـى أنفسـهم أن يكونوا منهم فكان عمر بن الخطاب يقول يـا حذيفـة ناشـدتك اللـه سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم فيقـول لا ، ولا أزكي بعد أحدا يعني لا هذا الباب في تزكية الناس وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك وقال ابن أبـي مليكـة أدركـت ثلاثيـن مـن أصحاب رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم كلهـم يخـاف النفـاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل اهـ .

قال في المدارج 1/347 فصل :

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر وذكر طوائف العالم الثلاثة فى أول سورة البقرة : المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكفار آيتين وفي المنافقين ثلاث عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد .

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه ! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه ! وكم من علم له قد طمسوه ! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه ! وكم ضربوا بمعاول الشبه فى أصول غراسه ليقلعوها ! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها ! فلا يزال الإسلام وأهله منهم فى محنة وبلية ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون أنهم بذلك مصلحون (**ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون(** اتفقوا على مفارقة الوحي فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون (**وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون**) (**يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**) ولأجل ذلك (**اتخذوا هذا القرآن مهجورا**) درست معالم الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها وأفلت كواكبه النيرة من قلوبهم فليسوا يحيونها وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله ولم يرفعوا به رأسا ولم يروا الأحزاب عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسا خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام فقايلوها بغير ما ينبغي لها من القبول والإكرام وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع فى الصدور منها والأعجاز وقالوا : ما لك عندنا من عبور وإن كان لا بد فعلى سبيل الاجتياز أعدوا لدفعها أصناف العدد وضروب القوانين وقالوا لما حلت بساحتهم : مالنا ولظواهر لفظية لا تفيدنا شيئا من اليقين وعوامهم قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه خلفنا من المتأخرين فإنهم أعلم بها من السلف الماضين وأقوم بطرائق الحجج والبراهين وأولئك غلبت عليهم السذاجة وسلامة الصدور ولم يتفرغوا لتمهيد قواعد النظر ولكن صرفوا هممهم إلى فعل المأمور وترك المحظور

فطريقة المتأخرين : أعلم وأحكم وطريقة السلف الماضين : أجهل لكنها أسلم أنزلوا نصوص السنة والقرآن منزلة الخليفة في هذا الزمان اسمه على السكة وفي الخطبة فوق المنابر مرفوع والحكم النافذ لغيره فحكمه غير مقبول ولا مسموع لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران فالظواهر ظواهر الأنصار والبواطن قد تحيزت إلى الكفار فألسنتهم ألسنة المسالمين وقلوبهم قلوب المحاربين ويقولون **(آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)** رأس مالهم الخديعة والمكر وبضاعتهم الكذب والختر وعندهم العقل المعيشي أن الفريقين عنهم راضون وهم بينهم آمنون (**يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون)** قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها وغلبت القصود السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك فعجز عنه الأطباء العارفون (**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)** من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق ومن دخلت شبهات تلبيسهم في مسامعه حال بين قلبه وبين التصديق ففسادهم في الأرض كثير وأكثر الناس عنه غافلون **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر مبخوس حظه من المعقول والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفارا فهمه في حمل المنقول وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة وم ا هوعندهم بمقبول وأهل الاتباع عندهم سفهاء فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون (**وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**) لكل منهم وجهان وجه يلقى به المؤمنين ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين وله لسانان : أحدهما يقبله بظاهره المسلمون والآخر يترجم به عن سره المكنون (**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون**) قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاء بأهلهما واستحقارا وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحا بما عندهم من العلم الذى لا ينفع الاستكثار منه أشرا واستكبارا فتراهم أبدا بالمتمسكين بصريح الوحى يستهزئون (**الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون (** خرجوا في طلب التجارة البائرة في بحار الظلمات فركبوا مراكب الشبه والشكوك

تجري بهم في موج الخيالات فلعبت بسفنهم الريح العاصف فألقتها بين سفن الهالكين (**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**) أضاءت لهم نار الإيمان فأبصروا في ضوئها مواقع الهدى والضلال ثم طفىء ذلك النور وبقيت نارا تأجج ذات لهب واشتعال فهم بتلك النار معذبون وفي تلك الظلمات يعمهون) **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله : ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** (أسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر فهي لا تسمع منادي الإيمان وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى فهي لا تبصر حقائق القرآن وألسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون) **صم بكم عمي فهم لا يرجعون)** صاب عليهم صيب الوحي وفيه حياة القلوب والأرواح فلم يسمعوا منه إلا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وظعت عليهم في المساء والصباح فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وجدوا فى الهرب والطلب فى آثارهم والصياح فنودى عليهم على رءوس الأشهاد وكشفت حالهم للمستبصرين وضرب لهم مثلان بحسب حال الطائفتين منهم : المناظرين والمقلدين فقيل (**أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** (ضعفت أبصار بصائرهم عن احتمال ما في الصيب من بروق أنواره وضياء معانيه وعجزت أسماعهم عن تلقى وعوده وعيده وأوامره ونواهيه فقاموا عند ذلك حيارى في أودية التيه لا ينتفع بسمعه السامع ولا يهتدي ببصره البصير) **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (** لهم علامات يعرفون بها مبينة في السنة والقرآن بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان قام بهم والله الرياء وهو أقبح مقام قامه الإنسان وقعد بهم الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلا) **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا** (أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين تيعر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ولا تستقر مع إحدى الفئتين فهم واقفون بين الجمعين ينظرون أيهم أقوى وأعز قبيلا(**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا)** يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن فإن كان لهم فتح من الله قالوا : إلم تكن معكم واقسموا على ذلك بالله جهد ايمانهم وان كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب قالوا : ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا

محكم وان النسب بيننا قريب فيا من يريد معرفتهم ! خذ صفتهم من كلام رب العالمين فلا تحتاج بعده التسليم) **الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين بيلا)** يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه ويشهد الله على ما في قلبه من كذبه ومينه فتراه عند الحق نائما وفي الباطل على الأقدام فخذ وصفهم من قول القدوس السلام (**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام** (أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد وأحدهم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد (**وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** (فهم جنس بعضه يشبه بعضا يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه كم ذكرهم الله بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليتجنبوه فاسمعوا أيها المؤمنون (**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)** إن حاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رأيتهم عنه معرضين فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمدا بعيدا ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضا شديدا) **وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا** (فكيف لهم بالفلاح والهدى بعد ما أصيبوا في عقولهم وأديانهم وأنى لهم التخلص من الضلال والردى ! وقد اشترا الكفر بإيمانهم فما أخسر تجارتهم البائرة ! وقد استبدلوا بالرحيق المختوم حريقا (**فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله : إن أردنا لا إحسانا وتوفيقا)** نشب زقوم الشبه والشكوك فى قلوبهم فلا يجدون له مسيغا (**أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا** (تبا لهم ما أبعدهم عن حقيقة الإيمان ! وما أكذب دعواهم للتحقيق والعرفان فالقوم فى شأن وأتباع الرسول في شأن لقد أقسم الله جل جلاله في كتابه بنفسه

المقدسة قسما عظيما يعرف مضمونه أولو البصائر فقلوبهم منه على حذر إجلالاله وتعظيما فقال تعالى تحذيرا لأوليائه وتنبيها على حال هؤلاء وتفهيما (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) تسبق يمين أحدهم كلامه من غير أن يعترض عليه لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به وكشف ما لديه وكذلك أهل الريبة يكذبون ويحلفون ليحسب السامع أنهم صادقون (**اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون**) تبا لهم برزوا إلى البيداء مع ركب الإيمان فلما رأوا طول السلام وبعد الشقة نكصوا على أعقابهم ورجعوا وظنوا أنهم يتمتعون بطيب العيش ولذة المنام في ديارهم فما متعوا به ولا بتلك الهجعة انتفعوا فما هو إلا أن صاح بهم الصائح فقاموا عن موائد أطعمتهم والقوم جياع ما شبعوا فكيف حالهم عند اللقاء وقد عرفوا ثم أنكروا وعموا بعد ما عاينوا الحق وأبصروا) **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (** أحسن الناس أجساما وأخلبهم لسانا وألطفهم بيانا وأخبثهم قلوبا وأضعفهم جنانا فهم كالخشب المسندة التى لا ثمر لها قد قلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها لئلا يطأها السالكون (**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ! قاتلهم الله أنى يؤفكون)** يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شرق الموتى فالصبح عند طلوع الشمس والعصر عند الغروب وينقرونها نقر الغراب إذ هي صلاة الأبدان لا صلاة القلوب ويلتفتون فيها التفات الثعلب إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب ولا يشهدون الجماعة بل إن صلى أحدهم ففي البيت أو الدكان وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر وإذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان هذه معاملتهم للخلق وتلك معاملتهم للخالق فخذ وصفهم من أول المطففين وآخر والسماء والطارق ، فلا ينبئك عن أوصافهم مثل خبير (**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**) فما أكثرهم ! وهم الأقلون وما أجبرهم ! وهم الأذلون وما أجهلهم ! وهم المتعالمون وما أغرهم بالله ! إذ هم بعظمته جاهلون (**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون**) إن أصاب أهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور ساءهم ذلك وغمهم وإن أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرهم وهذا يحقق إرثهم وإرث من

عداهم ولا يستوي من موروثه الرسول ومن موروثهم المنافقون **(إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**) وقال تعالى فى شأن السلفين المختلفين والحق لا يندفع بمكابرة أهل الزيغ والتخليط (**إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**) كره الله طاعاتهم لخبث قلوبهم وفساد نياتهم فثبطهم عنها وأقعدهم وأبغض قربهم منه وجواره لميلهم إلى أعدائه فطردهم عنه وأبعدهم وأعرضوا عن وحيه فأعرض عنهم وأشقاهم وما أسعدهم وحكم عليهم بحكم عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده إلا أن يكونوا من التائبين فقال تعالى **(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين**) ثم ذكر حكمته في تثبيطهم وإقعادهم وطردهم عن بابه وإبعادهم وأن ذلك من لطفه بأوليائه وإسعادهم فقال وهو أحكم الحاكمين (**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)** ثقلت عليهم النصوص فكرهوها وأعياهم حملها فألقوها عن أكتافهم ووضعوها وتفلتت منهم السنن أن يحفظوها فأهملوها وصالت عليهم نصوص الكتاب والسنة فوضعوا لها قوانين ردوها بها ودفعوها ولقد هتك الله أستارهم وكشف أسرارهم وضرب لعباده أمثالهم واعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم فذكر أوصافهم لأوليائه ليكونوا منها على حذر وبينها لهم فقال (**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)** هذا شأن من ثقلت عليه النصوص فرآها حائلة بينه وبين بدعته وهواه فهي في وجهه كالبنيان المرصوص فباعها بمحصل من الكلام الباطل واستبدل منها بالفصوص فأعقبهم ذلك أن أفسد عليهم إعلانهم وإسرارهم) **ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم** (أسروا سرائر النفاق فأظهرها الله على صفحات الوجوه منهم وفلتات اللسان ووسمهم لأجلها بسيماء لا يخفون بها على أهل البصائر والإيمان وظنوا أنهم إذ كتموا كفرهم وأظهروا إيمانهم راجوا على الصيارف والنقاد كيف والناقد البصير قد كشفها لكم (**أم حسب الذين في قلوبهم**

مرض أن لن يخـرج اللـه أضـغانهم ولـو نشـاء لأريـنـاكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحـن القـول واللـه يعلم أعمالكم) فكيف إذا جمعـوا ليـوم التلاق وتجلـى اللـه جـل جلالــه للعبــاد وقــد كشــف عــن ســاق ودعــوا إلــى الســجود فلا يسـتطيعون (**خاشـعة أبصـارهم ترهقهـم ذلـة وقـد كـانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**) أم كيف بهـم إذا حشـروا إلى جسر جهنم وهو أدق من الشعرة وأحد من الحسام وهو دحض مزلـة مظلـم لا يقطعـه أحـد إلا بنـور يبصـر بـه مـواطيء الأقـدام فقسمت بين النـاس الأنـوار وهـم علـى قـدر تفاوتهـا فـي المـرور والذهاب وأعطوا نورا ظاهرا مع أهل الإسلام كما كـانوا بينهـم فـي هذه الدار يـأتون بالصـلاة والزكـاة والحـج والصـيام فلمـا توسـطوا الجسر عصفت على أنوارهم أهوية النفاق فأطفأت ما بأيديهم مـن المصابيح فوقفوا حيارى لا يستطيعون المرور فضـرب بينهـم وبيـن أهل الإيمان بسور له باب ولكن قد حيل بين القـوم وبيـن المفاتيـح باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة وما يليهم من قبلهم العـذاب والنقمة ينادون من تقدمهم من وفد الإيمان ومشاعل الركب تلـوح على بعد كالنجوم تبدو لنـاظر الإنسـان (**انظرونا نقتبـس مـن نوركم**) لنتمكن في هذا المضيق من العبـور فقـد طفئـت أنوارنـا ولا جـواز اليـوم إلا بمصـباح مـن النـور(**قيـل ارجعـوا وراءكـم فالتمسوا نورا**) حيث قسمت الأنوار فهيهات الوقوف لأحد فــي مثل هذا المضمار كيف نلتمس الوقوف في هذا المضيق فهل يلوي اليوم أحد على أحد في هذا السلام وهـل يلتفـت اليـوم رفيـق إلـى رفيق فذكروهم باجتماعهم معهم وصحبتهم لهم في هذه الدار كمـا يذكر الغريب صاحب الوطن بصحبته له فـي الأسـفار **(ألـم نكـن معكم**) نصوم كما تصومون ونصلي كما تصلون ونقرأ كما تقرؤون ونتصدق كما تصدقون ونحج كما تحجون فما الذي فرق بيننـا اليـوم حتى انفردتم دوننا بالمرور (**قالوا بلى**) ولكنكم كانت ظواهركم معنا وبواطنكم مع كل ملحد وكل ظلـوم كفـور (**ولكنكم فتنتـم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخـذ منكـم فديـة ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير**) لا تستطل أوصاف القوم فالمتروك والله أكـثر مـن المـذكور كـاد القرآن أن يكون كله في شـأنهم لكـثرتهم علـى ظهـر الأرض وفـي أجواف القبور فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنــون في الطرقات وتتعطل بهم أسـباب المعـايش وتخطفهـم الوحـوش والسباع في الفلوات سمع حذيفة رضي الله عنه رجلا يقـول اللهـم أهلك المنافقين فقال (يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشـتم

في طرقاتكم من قلة السالك تالله لقد قطع خـوف النفـاق قلـوب السـابقين الأوليـن لعلمهـم بدقـة وجلـه وتفاصـيله وجملـه سـاءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملـة المنـافقين قـال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما (يا حذيفة نشدتك بـالله الشياطين سماني لك رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم منهـم) قال لا ولا أزكي بعدك أحدا وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثيـن مـن أصحاب محمد صلى الله عليـه وسـلم كلهـم يخـاف النفـاق علـى نفسه ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريـل وميكائيـل ذكـره البخاري وذكر عن الحسن البصري ما أمنه إلا منـافق ومـا خـافه إلا مؤمن ولقد ذكر عن بعض الصحابة أنه كان يقول فـي دعـائه اللهـم إني أعوذ بك من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال أن يرى البدن خاشعا والقلب ليس بخاشـع تـالله لقـد ملئـت قلـوب القـوم إيمانا ويقينا وخوفهم من النفاق شديد وهمهم لذلك ثقيل وســواهم كـثير منهـم لا يجـاوز إيمـانهم حنـاجرهم وهـم يـدعون أن إيمـانهم كإيمان جبريل وميكائيـل زرع النفـاق ينبـت علـى سـاقيتين سـاقية الكذب وساقية الرياء ومخرجهما من عينيـن عيـن ضـعف البصـيرة وعين ضعف العزيمة فإذا تمت هذه الأركـان الأربـع اسـتحكم نبـات النفاق وبنيانه ولكنه بمـدارج السـيول علـى شـفا جـرف هـار فـإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر وكشف المستور وبعث ما في القبور وحصل ما في الصدور تـبين حينئـذ لمـن كـانت بضـاعته النفاق أن حواصله التي حصلها كانت كالسراب يحسـبه الظمـآن ماء حتى إذا جاءه لم يجـده شـيئا ووجـد اللـه عنـده فوفـاه حسـابه والله سريع الحساب قلوبهم عن الخيـرات لاهيـة وأجسـادهم إليهـا ساعية والفاحشـة فـي فجـاجهم فاشـية وإذا سـمعوا الحـق كـانت قلـوبهم عـن سـماعه قاسـية وإذا حضـروا الباطـل وشـهدوا الـزور انفتحت أبصار قلـوبهم وكـانت أذانهـم واعيـة فهـذه واللـه أمـارات النفاق فاحذرها أيها الرجل قيل أن تنزل بك القاضية إذا عاهدوا لـم يفوا وإن وعدوا أخلفوا وإن قالوا لم ينصفوا وإن دعوا إلى الطاعــة وقفوا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلـى الرسـول صـدفوا وإذا دعتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصـرفوا فـذرهم ومـا اختـاروا لأنفسـهم مـن الهـوان والخـزي والخسـران فلا تثـق بعهودهم ولا تطمئـن إلـى وعـودهم فـإنهم فيهـا كـاذبون وهـم لمـا سواها مخالفون (**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضــله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلمـا آتـاهم مـن فضـله بخلـوا بـه وتولـوا وهـم معرضـون فـأعقبهم نفاقـا فـي قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفـوا اللـه مـا وعـدوه بمـا كانوا يكذبون**) اهـ

46ـ باب النفاق يزيد وينقص ويتغلّظ ويتبعض وله شعب

قال ابن تيمية في الفتاوى 19 / 188 والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالى (**انما النسيء زيادة فى الكفر)** وقال (**واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون**) وقال (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا)** وقال (**وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا)** اهـ .

47 ـ باب الالقاء بالمودة من شعب النفاق وهي غير التولي

قال تعالى (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) .**

قال ابن تيمية في الفتاوى 7 /ـ 522 الأصل الثاني أن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف فإذا قوي ما فى القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله أوجب بغض أعداء الله كما قال تعالى **(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما إتخذوهم أولياء)** وقال **(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)** وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرا كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبى وأنزل الله فيه **(ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)** وكما حصل لسعد بن عبادة لما إنتصر لابن أبي فى قصة الافك فقال لسعد بن معاذ كذبت والله لا تقتله ولا تقدر على قتله قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية .

الى ان قال : وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم منافق وإن كان قال ذلك لما رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين اهـ .

5 ـ كتاب أنواع النفاق

48 ـ تمهيد

والنفاق اسم جنس تحته أقسام وأنواع .
قال ابن منده في كتـابه الإيمـان 2 /ـ 603 ذكـر مـا يـدل علـى أن النفاق على ضروب نفاق كفـر ونفـاق قلـب ولسـان وأفعـال وهـي دون ذلك .
قال الترمذي في سننه 5 / 19 روي عن الحسن البصري شيئا من هذا أنه قال النفاق نفاقان نفاق العمل ونفاق التكذيب .
قال ابن حزم في المحلى 11 / 201 : ان المنافقين قسمان : قسم لم يعرفهم قط عليه السلام ، وقسم آخر افتضحوا فعرفهم فلاذوا بالتوبة ولم يعرفهم عليه السلام أنهم كاذبون أو صادقون في توبتهم فقط اهـ المقصود .
قال ابن حزم : المحلى 11 / 204 إن النفاق قسمان قسم لمن يظهر الكفر ويبطن الإيمان ، وقسم لمن يظهر غير ما يصر فيما سوى الدين ولا يكون بذلك كافرا وقد قيل لابن عمر إنا ندخل على الإمام فيقضي بالقضاء فنراه جورا فنمسك فقال إنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نعد هذا نفاقا فلا ندري ما تعدونه أنتم وقد ذكرنا قبل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا وإن صلى وإن صام وقال إني مسلم .
قال ابن حزم في المحلى 11 / 202 بعد حديث ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا فقال : صح أن ههنا نفاقا لا يكون صاحبه كافرا ونفاقا يكون صاحبه كافرا
وقال ابن القيم في الصلاة 1/78 وكذا النفاق نفاقان نفاق اعتقاد ونفاق عمل اهـ
قال ابن القيم في المدارج 1/348 وأما النفاق : فالداء العضال الباطن الذى يكون الرجل ممتلئا منه وهو لا يشعر فإنه أمر خفي على الناس وكثيرا ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد وهو نوعان : أكبر وأصغر .
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون :
في حديث (أربع من كن فيه) وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين : النفاق الأكبر والنفاق الأصغر ثم ذكرهما ويأتي إن شاء الله .
ومما سبق يتضح أن النفاق ليس أمرا واحدا بل ينقسم الى قسمين رئيسيين هما :
أولا : النفاق الأكبر .
ثانيا : النفاق الأصغر .

وكل قسم من هذه الأقسام يأتي قولا أو عملا أو اعتقادا .

فصل في النفاق الأصغر

في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان) رواه البخاري ومسلم .

وعنه صلى الله عليه وسلم (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وإذا ائتمن خان) رواه البخاري ومسلم .

وهو كل ما جاء في النصوص تسميته نفاقا وهو من أعمال المنافقين ولم يبلغ حد الكفر الأكبر ـ أي ليس في أصل الدين ــ ، سواء أكان قولا أوعملا أواعتقادا .

وضابط النفاق الأصغراختلاف السريرة والعلانية ، قال ابن رجب في جامع العلوم ص 406: وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قال الحسن وليس اختلاف الدين .

وقال وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ... مثل إظهار مودة شخص وهو يضمر له العداوة .وقال في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون في حديث (أربع من كن فيه)

النفاق الأصغر : وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك ، وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث وهي خمس ثم ذكرها .

وقال ابن القيم في الصلاة 1/78 ونفاق العمل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان) رواه البخاري ومسلم وفي الصحيح ايضا (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وإذا ائتمن خان) رواه البخاري ومسلم فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع اصل الايمان ، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فإن الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لايكون إلا منافقا خالصا اهـ .

وقال ابن القيم في الصلاة 1/147 ومن استقرأ علامات النفاق في السنة وجدها إما ترك فريضة أو فعل محرم .

وهو أنواع :

أ ـ نفاق شخصي فردي في الأفراد والأشخاص .

ب ـ نفاق في الفروع ، وفي الواجبات والمستحبات والتطوعات .
فالأول:
روى الترمذي في سننه 5 /ـ 19 عن عبد الله بن عمرو عن النبي قال أربع من كن فيه كان منافقا وإن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر قال هذا حديث حسن صحيح حدثنا الحسن بن علي الخلال حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عبد الله بن مرة بهذا الإسناد نحوه ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل ، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله ، هكذا روي عن الحسن البصري شيئا من هذا أنه قال النفاق نفاقان نفاق العمل ونفاق التكذيب .
وفي أصول السنة 1 /ـ 56 ثلاث من كن فيه فهو منافق على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نقيسها .
قال الفريابي حدثنا أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي حدثنا أسد بن موسى أبو سعيد حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ثلاث إذا كن في عبد فلا تتحرج أن تشهد عليه أنه منافق ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ، ومن كان إذا حدث صدق وإذا وعد أنجز وإذا ائتمن أدى فلا تتحرج أن تشهد عليه أنه مؤمن اهـ .
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون :
في حديث (أربع من كن فيه) والثاني النفاق الأصغر : وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك ، وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث وهي خمس :
أحدها : أن يحدث بحديث لم يصدق به وهو كاذب له وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت به كاذب) قال الحسن كان يقال النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج ، وكان يقال أس النفاق الذي بني عليه الكذب .
والثاني : إذا وعد أخلف وهو على نوعين أحدهما : أن يعد ومن نيته أن لا يوفي بوعده وهذا أشر الخلق ، ولو قال أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته أن لا يفعل كان كذبا وخلفا قاله الأوزاعي ،
الثاني : أن يعد ومن نيته أن يفي ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف ، وخرج أبو داود والترمذى من حديث زيد بن أرقم عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا وعد الرجل ونوي أن يفي به فلم يف فلا جناح عليه) وقال الترمذي ليس إسناده بالقوي ، وخرج الإسماعيلي وغيره من حديث سلمان أن عليا لقي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال مالي أراكما ثقلين قالا حديث سمعناه من النبي صلى الله عليه وسلم ذكر خلال المنافق (إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا ائتمن خان فأينا ينجو من هذه الخصال) فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال (قد حدثتهما ولم أضعه على الوضع الذي تضعونه ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث نفسه أن يكذب وإذا وعد وهو يحدث نفسه أن يخلف وإذا اؤتمن وهو يحدث نفسه أن يخون) .
وقال أبو حاتم الرازي في هذا الحديث من رواية سلمان وزيد بن أرقم الحديثان مضطربان والإسنادان مجهولان ، وقال الدراقطني الحديث مضطرب غير ثابت والله أعلم وخرجه الطبراني والإسماعيلي من حديث علي مرفوعا (العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف قالها ثلاثا) وفي إسناده جهالة ويروى من حديث ابن مسعود قال : لا يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدة عطية) وفي إسناده نظر وأوله صحيح عن ابن مسعود من قوله وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (العدة هبة) وفي سنن أبي داود عن مولي لعبد الله بن عامر بن ربيعة عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي فخرجت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى أعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أردت أن تعطيه قلت أردت أن أعطيه تمرا فقال إن لم تفعلي كتبت عليك كذبة) وفي إسناده من لا يعرف وذكر الزهري عن أبي هريرة قال (من قال لصبي تعالى هاك تمرا ثم لا يعطيه شيئا فهي كذبة) .
وقد اختلف العلماء في وجوب الوفاء بالوعد فمنهم من أوجبه مطلقا وذكر البخاري في صحيحه أن ابن أشوع قضي بالوعد وهو قول طائفة من أهل الظاهر وغيرهم ومنهم من أوجب الوفاء به إذا اقتضى نفعا للموعود وهو المحكي عن مالك وكثير من الفقهاء لا يوجبونه مطلقا .
والثالث : إذا خاصم فجر ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا والباطل حقا وهذا مما يدعو إليه الكذب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) وقال صلى الله عليه وسلم (إنكم لتختصمون إلى ولعل

بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي على نحو مما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) وقال صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا على أن ينتصر للباطل ويخيل للسامع أنه حق ويوهن الحق ويخرجه في صورة الباطل كان ذلك من أقبح المحرمات وأخبث خصال النفاق .

وفي سنن أبي داود عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع) وفي رواية له أيضا (ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله) .

الرابع : إذا عاهد غدر ولم يف بالعهد وقد أمر الله بالوفاء بالعهد فقال (**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**) وقال (**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**) وقال **(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**) وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به) وفي رواية (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال ألا هذه غدرة فلان) وخرجاه أيضا من حديث أنس بمعناه وخرج مسلم من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لكل غادر لواء) الحديث .

والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المعاهد كافرا ولهذا في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم (من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) خرجه البخاري وقد أمر الله تعالى في كتابه الوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئا وأما عهود المسلمين فيما بينهم بالوفاء بها أشد ونقضها أعظم إثما ومن أعظمها نقض عهد الإمام على من تابعه ورضي به وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) فذكر منهم (ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه ما يريد وفي له وإلا لم يف له) ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها ويحرم الغدر جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة

التي يجب الوفاء بها و كذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربه عليه من نذرا لتبرر ونحوه .
الخامس : الخيانة في الأمانة فإذا اؤتمن الرجل أمانة فالواجب عليه أن يردها كما قال تعالى **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (أد الأمانة إلى من ائتمنك) وقال في خطبته في حجة الوداع (من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها) قال الله عز وجل **(يا آيها الذين أمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)** فالخيانة في الأمانة من خصال النفاق وفي حديث ابن مسعود من قوله وروى مرفوعا (القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الأمانة يؤتي بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول من أين يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقول اذهبوا به إلى الهاوية فيهوي حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عنقه فيصعد بها في نار جهنم حتى إذا رأي أنه قد خرج منها زلت فهوي فيهوي هو في أثرها أبد الآبدين) قال والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث وأشد من ذلك الودائع .
وقد روى عن محمد بن كعب القرظي أنه استنبط ما في هذا الحديث أعني حديث (آية المنافق ثلاث) من القرآن وقال مصداق ذلك في كتاب الله تعالى **(إذا جاءك المنافقون** ـ إلى قوله ـ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**) وقال تعالى **(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن** ـ إلى قوله ـ **فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**) وقال (**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال** ـ إلى قوله ـ **ليعذب الله المنافقين**) وروى عن ابن مسعود نحو هذا الكلام ثم تلا قوله **(فأعقبهم نفاقا في قلوبهم**) الآية .
وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن وقال الحسن أيضا من النفاق اختلاف القلب واللسان واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج وقال طائفة من السلف خشوع النفاق أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع وقد روى معنى ذلك عن عمر وروى عنه أنه قال على المنبر (إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم قالوا كيف يكون المنافق عليما ؟ قال يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور أو قال المنكر) وسئل حذيفة عن المنافق فقال (الذي يصف الإيمان ولا يعمل به) وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أنه قيل له إنا ندخل على سلطاننا فنقول له بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده

؟ قال (كنا نعد هذا نفاقا) وفي المسند عن حذيفة قال (إنكم لتكلمون كلاما إن كنا لنعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفاق) وفي رواية قال (إن الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا وأني لأسمعها من أحدكم في اليوم أو في المجلس عشر مرات) قال بلال بن سعد (المنافق يقول ما يعرف ويعمل ما ينكر) .
ومن هنا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم وكان عمر يسأل حذيفة عن نفسه وسئل أبو رجاء العطاردي هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشون النفاق ؟ فقال نعم إني أدركت منهم بحمد الله صدرا حسنا نعم شديدا نعم شديدا وقال البخاري في صحيحه وقال ابن أبي مليكة (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه) ويذكر عن الحسن قال (ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق) انتهى وروى الحسن أنه حلف ما مضي مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق غير آمن ، وما مضي منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن ، وكان يقول (من لم يخف النفاق فهو منافق) وسمع رجل أبا الدرداء يتعوذ من النفاق في صلاته فلما سلم قال له ما شأنك وشأن النفاق فقال (اللهم اغفر لي ثلاثا لا تأمن البلاء والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه) والآثار عن السلف في هذا كثيرة جدا قال سفيان الثوري (خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث فذكر منها قال نحن نقول نفاق وهم يقولون لا نفاق) وقال الأوزاعي : قد خاف عمر النفاق على نفسه قيل لهم إنهم يقولون إن عمر لم يخف أن يكون يومئذ منافقا حتى سأل حذيفة ولكن خاف أن يبتلي بذلك قبل أن يموت قال هذا قول أهل البدع يشير إلى أن عمر كان يخاف على النفاق على نفسه في الحال الظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف نفسه في الحال من النفاق الأصغر والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر كما أن المعاصي بريد الكفر وكما يخشي على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت كذلك يخشي على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا .
وسئل الإمام أحمد ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق قال ومن يأمن على نفسه النفاق وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقا وروى نحوه عن حذيفة وقال الشعبي من كذب فهو منافق وحكي محمد بن نصر المروزي هذا القول عن فرقة من أهل الحديث .
وقد سبق في أوائل الكتاب ذكر الاختلاف عن الإمام أحمد وغيره في مرتكب الكبائر هل يسمي كافرا كفرا لا ينقل عن الملة أم لا ؟

واسم الكفر أعظم من اسم النفاق ولعل هذا هو الذي أنكره عطاء على الحسن إن صح ذلك عنه . (وقد ذكره في الحديث الثاني فقال ابن رجب : ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفى الإسلام عمن ترك شيئا من واجباته كما ينفي الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أيضا وقد اختلف العلماء هل يسمى مرتكب الكبائر كافرا صغيرا أو منافقا النفاق الأصغر ولا أعلم أن أحدا منهم أجاز إطلاق نفى اسم الإسلام عنه اهـ)

و من أعظم خصال النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملا ويظهر أنه قصد به الخير وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيئ فيتم له ذلك ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره ويتوصل به إلى غرضه السيئ الذي أبطنه وهذا قد حكاه الله في القرآن عن المنافقين واليهود فحكي عن المنافقين أنهم (**اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسني والله يشهد إنهم لكاذبون**) وأنزل في اليهود **(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**) وهذه الآية نزلت في اليهود سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم وما سئلوا عنه قال ذلك ابن عباس وحديثه مخرج في الصحيحين وفيهما أيضا عن أبي سعيد أنها نزلت في رجال من المنافقين كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو وتخلفوا عنه فرحوا بمقعدهم خلافه فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من غشنا فليس منا) والمكر والخديعة في النار وقد وصف الله المنافقين بالمخادعة ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله ليس الدنيا إلا بدين وليس الدين إلا مكارم الأخلاق إنما المكر والخديعة في النا ر وهما من خصال أهل النفاق .

ولما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقا كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي أنه مر به أبو بكر رضي الله عنه

وهو يبكي فقال مالك قال نافق حنظلة يا أبا بكر نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنهما رأي العين فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والصبية فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لكذلك فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (مالك يا حنظلة ؟ قال نافق حنظلة يا رسول الله وذكر له مثل ما قال لأبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافتحكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) وفي مسند البزار عن أنس قال قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره قال كيف أنتم ؟ قالوا الله ربنا في السر والعلانية قال ليس ذاكم من النفاق وروى من وجه آخر عن أنس قال غدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هلكنا قال وما ذاك ؟ قالوا النفاق قال (ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قالوا بلى قال فليس ذاك بالنفاق) ثم ذكر يعني حديث حنظلة كما تقدم اهـ .

قال الصنعاني في سبل السلام 4 /ـ 187 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ، متفق عليه ، ولهما من حديث عبد الله بن عمرو وإذا خاصم فجر ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية المنافق ـ أي علامة نفاقه ـ ثلاث إذ حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان متفق عليه ، وقد ثبت عند الشيخين من حديث عبد الله بن عمر رابعة وهي وإذا خاصم فجر .

والمنافق من يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، وفي الحديث دليل على أن من كانت فيه خصلة من هذه كانت فيه خصلة من النفاق فإن كانت في هذه كلها فهو منافق وإن كان موقنا مصدقا بشرائع الإسلام ، وقد استشكل الحديث بأن هذه الخصال قد توجد في المؤمن بشرائع الدين ولما كان كذلك اختلف العلماء في معناه قال النووي قال المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن هذه الخصال هي خصال المنافقين فإذا اتصف بها أحد من المصدقين أشبه المنافق فيطلق عليه اسم النفاق مجازا فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهو موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وأتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام وهو يبطن الكفر وقيل إن هذا كان في حق المنافقين الذين كانوا في أيامه صلى الله عليه وسلم تحدثوا بإيمانهم فكذبوا وأتمنوا على رسلهم فخانوا ووعدوا في الدين بالنصر فغدروا وأخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن

جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن بعد أن كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر ورواياه عـن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم قال القاضي عياض وإليه مال كثير من الفقهاء .
وقال الخطابي عن بعضهم إنه ورد الحديث في رجـل معيـن وكـان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يواجههم بصـريح القـول فيقـول فلان منافق وإنما يشير إشـارة ، وحكـى الخطـابي معنـاه التحـذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه منهـا أن تفضـي بـه إلى حقيقة النفاق وأيد هذا القول بقصة ثعلبة الذي قال فيـه تعـالى (**فاعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله وما وعدوه وبما كانوا يكذبون)** فإنه آل بـه خلـف الوعـد والكـذب إلـى الكفـر فيكـون الحـديث للتحـذير مـن التخلـق بهـذه الأخلاق التي تؤول بصاحبها إلى النفاق الحقيقي الكامل اهـ .

فصل

النفاق الأصغر فوق الكبائر وفوق البدعة الصغرى

قال ابن القيم في اعلام الموقعين 4/407 وقال فيه عن ابن مسعود انه قال ولقد رأيتنا وما يتخلف عن الجماعة إلا منافق معلوم النفاق وهذا فوق الكبيرة اهـ . وقال في الجواب الكافي 1/53 والبعد من الله مراتب بعضها أشد من بعض فالغفلة تبعد العبد عن الله وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله .

فصل

هل يُسمى من أتى بالنفاق الأصغر منافقا ؟ أم يقال فيه نفاق في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي أنه مر به أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي فقال مالك قال نافق حنظلة يا أبا بكر نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنهما رأي العين فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والصبية فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لكذلك فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (مالك يا حنظلة ؟ قال نافق حنظلة يا رسول الله وذكر له مثل ما قال لأبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافتحكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) وفي مسند البزار عن أنس قال قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره قال كيف أنتم ؟ قالوا الله ربنا في السر والعلانية قال ليس ذاكم من النفاق وروى من وجه آخر عن أنس قال غدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هلكنا قال وما ذاك ؟ قالوا النفاق قال (ألستم تشهدون أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله قالوا بلى قال فليس ذاك بالنفاق) ثم ذكر يعني حديث حنظلة كما تقدم اهـ .
وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أنه قيل له إنا ندخل على سلطاننا فنقول له بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده ؟ قال (كنا نعد هذا نفاقا)
وفي المسند عن حذيفة قال (إنكم لتكلمون كلاما إن كنا لنعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفاق) وفي رواية قال (إن الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا وأني لأسمعها من أحدكم في اليوم أو في المجلس عشر مرات)
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون :
وقال الأوزاعي : قد خاف عمر النفاق على نفسه
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون :
في حديث (أربع من كن فيه) وسئل الإمام أحمد ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق قال ومن يأمن على نفسه النفاق وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقا وروى نحوه عن حذيفة وقال الشعبي من كذب فهو منافق وحكي محمد بن نصر المروزي هذا القول عن فرقة من أهل الحديث .
وقد سبق في أوائل الكتاب ذكر الاختلاف عن الإمام أحمد وغيره في مرتكب الكبائر هل يسمي كافرا كفرا لا ينقل عن الملة أم لا ؟ واسم الكفر أعظم من اسم النفاق ولعل هذا هو الذي أنكره عطاء على الحسن إن صح ذلك عنه . (وقد ذكره في الحديث الثاني فقال ابن رجب : ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفى الإسلام عمن ترك شيئا من واجباته كما ينفي الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أيضا وقد اختلف العلماء هل يسمى مرتكب الكبائر كافرا صغيرا أو منافقا النفاق الأصغر ولا أعلم أن أحدا منهم أجاز إطلاق نفى اسم الإسلام عنه اهـ)

فصل

ومن النفاق الأصغر ما بُني على اعتقاد
في مسالة خفية أو جهل

(وهو ما ورد في النصوص تسمية نفاقا وهي من مسائل الاعتقاد الخفية وهو يظن أنه على الحق)[4] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح آية النفاق بغض الأنصار .

---

[4] ـ راجع كلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية 4 / 299

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية 4 / 299 فإن كل من أبغض ما يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويواليه وأنه كان يحـب النبي صلى الله عليه وسلم ويـ واليه كـان بغضـه شـعبة مـن شـعب النفاق اهـ

فصل في النفاق الأكبر

وهو كل ما جاء في النصوص تسمية فاعلها منافقا مع إخراجـه مـن الملة وتكفيره بذلك سواء أكان قولا أوعملا أواعتقادا .

وقال ابن القيم في الصلاة 1/78 فنفاق الاعتقاد هو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن واوجب لهم الدرك الأسفل من النار .

و قال ابن القيم في المدارج 1/348 فالأكبر : يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به لا يؤمن بأن الله أنزله على بشر جعله رسولا للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر وذكر طوائف العالم الثلاثة فى أول سورة البقرة : المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكفار آيتين وفي المنافقين ثلاث عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث : الثامن والأربعون :

في حديث (أربع من كن فيه) النفاق الأكبر : وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار .

وهو بشكل عام على نوعين إما :

1ـ المنافق الملي أي على ملـة أخـرى ومـذهب آخـر وديـن آخـر أو عقائد أخرى يخفيها مثل نفاق ابن سبأ والجهم بن صـفوان وأتبـاعه العـالمين بـذلك والرافضـي والبـاطني والقرمطـي والعبيـدي ... وأمثال ذلك ، قال ابن القيم فـي الصـواعق المرسـلة 4 / 1404 وقال عبدالرحمن بن مهدي هما ملتان الجهمية والرافضة قال شيخ الإسلام وهذا الكلام الذي قاله الإمام عبدالرحمن بن مهدي قد قاله غيره وهو كلام عظيم فإن هاتين الفرقتين هما أعظم الفرق فسادا

فـي الـدين وأصـلهما مـن الزنادقـة المنـافقين ، ليسـتا مـن ابتـداع المتأولين مثل قول الخـوارج والمرجئـة والقدريـة فـإن هـذه الآراء ابتدعها قوم مسلمون بجهلهم قصدوا بهـا طاعـة اللـه فوقعـوا فـي معصـيته ، ولـم يقصـدوا بهـا مخالفـة الرسـول ولا محـادته بخلاف الرفض والتجهم فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لما جاء بـه الرسول مبغضين له اهـ .

وهذا النوع من النفاق ليس له أقسام بل هو قسم واحـد وهـو أشـد في الغلظة والكفر من النوع الذي بعـده ، وضـابطه أن يـدخل فـي الإسلام غير مريد له ولا يرى وجوب شئ منه ولا يـرى الطاعـة للـه ورسوله في شئ من الأشياء ولكـن متسـترا ، وفـي نفـس الـوقت يعمل على هدمه وتغييره ، قال تعالى (**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل علـى الـذين آمنـوا وجـه النهـار واكفـروا آخـره لعلهـم يرجعـون)** وقـال تعـالى (**وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بمـا فتـح اللـه عليكـم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون**) **.**

قال ابن قدامة عن ابن عقيـل فـي كتـابه تحريـم النظـر فـي كتـب الكلام 1 / 35

فهذه الفضيحة من جملة ما تاب منـه إلـى اللـه تعـالى وأقـر بـأنه ضلال وبدعة وأنه متى وجد بخطه وجبت مقابلته عليه وينتقـم اللـه منه ، فكيف يحتج بقول هذا محتج أو يغتر به مغتر أو يقول به قائـل أو يتعلق به متعلق مع شهادة قائله عليه بالضـلال وإجمـاع العلمـاء من أهل بلدته على استتابته منه وإهدار دمه بـه وبأمثـاله وهـذا أدل شيء على خطئه وضلاله وإن كانت هذه المقالة صـدرت منـه بعـد توبته فهذا دليل على زنـدقته وإصـراره علـى بـدعته ورجـوعه إلـى ضلالته ، فإن معنى الزندقة إظهار الحق واعتقاد خلافه وهو النفـاق الذي كان علـى عهـد رسـول اللـه ويسـمى اليـوم الزندقـة ، وهـذا الرجل قد صنف في نفي تأويل الصفات والرد علـى متأولهـا جـزءا مفردا وصـنف فـي الحـرف والصـوت جـزءا مفـردا وصـنف كتـاب الانتصار للسنة وغيرها من الكتـب وملأهـا مـن السـنة والـرد علـى المبتدعة ، فإن كان يظهـر ذلـك ويبطـن هـذا ويعتقـده فهـو زنـديق فكيف يجوز أن يحتج محتج بمقالته أو يرضى لنفسه بمثـل حـاله أو يضل بضلالته ونعوذ بالله تعالى ولا يظن به هـذا ولكـن لمـا علمـت منه حالتان حالة بدعة وحالة توبة نسبنا كل ما وجد مـن كلامـه مـن البدع إلى حالة البدعة لا غير اهـ المقصود

2 ـ المنافق غير الملي ، وهو من فعل نفاقا يكفر به من غير إبطان ملة أخرى ، وهو نوعان :

أ ـ نفاق محض ، وهو نفاق ابن سلول ، قال ابن تيمية فـي الفتـاوى 7 / 639 فأما النفاق المحض الذي لا ريب فى كفر صاحبه فان لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر بـه ولا وجـوب طـاعته فيمـا أمر به وإن إعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علما وعملا وأنه يجوز تصديقه وطاعته لكنه يقول أنه لا يضر اختلاف الملـل اذا كـان المعبود واحدا اهـ .
قال ابن تيميـة فـي الفتـاوى 7 /ـ 522 ولهـذا لـم يكـن المتهمـون بالنفاق نوعا واحدا بل فيهم المنافق المحض ...
ب ـ نفاق مشوب مخلوط ويسمى المنافق المخلط ، وهو من خلط إيمان صوري[5] مع نفاق أكبر ، وهو مثل نفاق مـن قـال اللـه فيهـم (**ولئن سألتهم ليقـولن إنمـا كنـا نخـوض ونلعـب الآيـة)** . وقال تعالى (**يا أيهـا الرسـول لا يحزنـك الـذين يسـارعون في الكفر مـن الـذين قـالوا آمنـا بـأفواههم ولـم تـؤمن قلوبهم**) وقوله تعالى (**وليعلم الـذين نـافقوا وقيـل لهـم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهـم الإيمـان يقولـون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون)** .
قال ابن تيميـة فـي الفتـاوى 7 /ـ 522 ولهـذا لـم يكـن المتهمـون بالنفاق نوعا واحدا .... بل فيهم من فيه إيمـان ونفـاق . وقـال فـي الفتاوى 9 / 8 ويحصل له أيضا منها نفاق فيكون فيه إيمان ونفاق في حال مؤمنا وفى حال منافقا ويكون مرتدا إما عـن أصـل الـدين أو عن بعض شرائعه إما ردة نفاق وإما ردة كفر ، وهذا كثير غـالب لاسيما فى الأعصـار والأمصـار الـتى تغلـب فيهـا الجاهليـة والكفـر والنفاق فلهؤلاء من عجائب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال مالايتسع لذكره المقام اهـ
و المنافق غير الملي أنواع :
أ ـ نفاق دين وهو أما في أصله .
ب ـ أو في شرائعه التي هي المبـاني الـتي يكفـر بتركهـا لكـن عـن هوى أو دنيا . قال ابـن تيميـة فـي الفتـاوى 11/ـ 143 وعلـى هـذا فالنفـاق اسـم جنـس تحتـه نوعـان نفـاق فـي أصـل ، أونفـاق فـي الشرائع اهـ
في أصله أي من ناحية التكذيب المنافي للتصديق والشك المنـافي لليقين أو الريب المنافي للاطمئنان في العلـم أو العمـل القلـبي أو البغض وعدم المحبة لأصله أو الترك غير الظاهر المنافي للقبول أو

---

[5] ـ ومعنى صوري أي ما قام به من إيمان يحبه ويرغب فيه ، وفي الجملة يحب الاسلام إلاّ ما نافق فيه نفاقا اكبر .

الرد غير الظاهر المنافي للانقياد ، وقوله أونفاق في الشرائع أي تركها وعدم الإنقياد لفعلها أو الاستكبار عن فعلها .
ج ـ ونفاق عدم نية للشرائع ويأتي إن شاء الله باب مستقل لهذه المسألة ـ وهو غير نفاق الرياء وعدم الاخلاص ـ .
وقال ابن تيمية في الفتاوى 7/ 639 والكفر هو عدم الايمان سواء كان معه تكذيب أو إستكبار أو إباء أو إعراض فمن لم يحصل فى قلبه التصديق والانقياد فهو كافر اهـ وقال ابن تيمية في الفتاوى 7/278 والريب يكون فى علم القلب وفى عمل القلب بخلاف الشك فإنه لا يكون الا فى العلم ، ولهذا لا يوصف باليقين الا من اطمأن قلبه علما وعملا والا فإذا كان عالما بالحق ولكن المصيبة أو الخوف أورثه جزعا عظيما لم يكن صاحب يقين اهـ ، قال في معارج القبول 2 / 594 وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك ، قال الله تعالى (**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين** ـ إلى قوله ـ **ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير) اهـ .** وقال الفريابي رحمه الله حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا وكيع عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال (المنافق الذي إذا صلى راءى بصلاته وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله) .
د ـ نفاق في الرسول صلى الله عليه وسلم من بغضه أو سبه وعيبه ، ونحو ذلك
قال تعالى (**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون**) (**ويقولون هو أذن**) وقال تعالى (**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) .**
قال ابن تيمية في الفتاوى 7/ 639 فالنفاق يقع كثيرا فى حق الرسول وهو أكثر ما ذكره الله فى القرآن من نفاق المنافقين فى حياته .
هـ ـ نفاق في أهل الدين وهم المسلمون من حيث بغضهم والإعانة عليهم وعلى هزيمتهم ، وتفريقهم ، وتضليلهم والاستهزاء بهم ، والسعي في إفسادهم ، وعداوتهم أو طائفة منهم كالصحابة أو لعلماء أو المجاهدين أو الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ونحوهم .

فصل

وقد يكون النفاق الأكبر في الشرك ، وضابطه أن يفعل فعلا ظاهره السلامة لكن قصده الشرك الأكبر كالرياء الأكبر وعدم

الإخلاص ومثل الذبح عند المريض وهو يقصد الذبح للجن كما قال سعد بن عتيق في رسالته حجة التحريض على النهي عن الذبح عند المريض وذكر أنه شرك أكبر ونفاق يفعله المنافقون .
قال في أصول السنة 1 /55 والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ
وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم : فلو ذبح لغير الله متقربا إليه يحرم ، وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة .. اهـ
وقال أيضا في الفتاوى 35/164 فيمن يعبد شيخه أو يدعوه ويسجد له أنه كافر إن أظهر ذلك ومنافق إن لم يظهره ، قال هذا ضمن كلام .
قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب : أما استدلالك بترك النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم فقد عرفه الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يظهرون كملة واحدة أو فعلا واحدا من عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يقتلون أشر قتله اهـ . مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب 1 / 218 .
وقال في آخر كشف الشبهات : لا خلاف ان التوحيد لا بد ان يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان من عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر مرتد ... فان عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه او لا يعتقد بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص اهـ

فصل هل النفاق غير الشرك الظاهر؟

قال ابن حزم المحلى 11 / 210 ان الله تعالى قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن الاستغفار جملة للمشركين بقوله تعالى (**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**) الى ان قال فصح أن النهي عن الاستغفار للمشركين نزل بمكة بلا شك فصح يقينا أنه عليه السلام لم يوقن أن عبد الله بن أبي مشرك ولو أيقن أنه مشرك لما صلى عليه أصلا ولا استغفر له .
وعن أبي هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث فيجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من يعبد القمر القمر ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقي هذه الأمة منافقوها وذكر الحديث رواه مسلم.

فصل

وهو باعتبار الأشخاص أنواع :

أ ـ نفاق لأهل العلم والكلام .

ب ـ ونفاق لأهل العمل والعبادة .

قال ابن تيمية في الفتاوى 7 / 639 ثم هنا نفاقان نفاق لأهل العلم والكلام ونفاق لأهل العمل والعبادة اهـ

ج ـ نفاق الذمي .

د ـ نفاق المعاهد والمستأمن ، قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 759 والنفاق قسمان نفاق المسلم استبطان الكفر ونفاق الذمي استبطان المحاربة وتكلم المسلم بالكفر كتكلم الذمي بالمحاربة ، فمن عاهدنا على أن لايؤذي الله ورسوله ثم نافق بأذى الله ورسوله فهو من منافقي المعاهدين ، فمن لم ينته من هؤلاء المنافقين أغرى الله نبيه بهم فلا يجاورونه الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا .

فصل

في تنوعه باعتبار التغليظ

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أهون أهل النار عذابا أبو طالب)

فالنفاق الأكبر بعضه أغلظ من بعض ، وهو في الغلظة دركات :

1 ـ منافقي أهل الوحدة والاتحاد والدهريين وأهل الملل الأخرى ، ومثل منافقي الشيوعيين .

2 ـ المنافق المعاند

3 ـ المنافق المحارب والصاد عن الدين .

4 ـ المنافقون الأتباع .

قال ابن القيم في الطبقة السادسة عشرة من كتابه طريق الهجرتين : فصل وغلظ الكفر الموجب للعذاب يكون من ثلاثة أوجه :

أحدها من حيث العقيدة الكافرة في نفسها كمن جحد رب العالمين بالكلية وعطل العالم عن الرب الخالق المدبر له فلم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر ولهذا لا يقر أرباب هذا الكفر بالجزية عند كثيرمن العلماء ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم اتفاقا لتغلظ كفرهم وهؤلاء هم المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة وأهل الوحدة القائلين بأنه لا وجود للرب سبحانه وتعالى غير وجود هذا العالم .

الجهة الثانية تغلظه بالعناد والضلال عمدا على بصيرة ككفر من شهد قلبه أن الرسول حق لما رآه من آيات صدقه وكفر عنادا وبغيا

كقوم ثمود وقوم فرعون واليهود الذين عرفوا الرسول كما عرفوا أبناءهم وكفر أبي مجهل وأمية بن أبي الصلت وأمثال هؤلاء .
الجهة الثالثة السعي في إطفاء نور الله وصد عباده عن دينه بما تصل إليه قدرتهم فهؤلاء أشد الكفار عذابا بحسب تغلظ كفرهم ومنهم من يجتمع في حقه الجهات الثلاث ومنهم من يكون فيه جهتان منها أو واحدة فليس عذاب هؤلاء كعذاب من هو دونهم في الكفر ممن هو ملبوس عليه لجهله والمؤمنون من أذاه في سلامة لا ينالهم منه أذى ولم يتغلظ كفره كتغلظ هؤلاء بل هو مقر بالله ووحدانيته وملائكته وجنس الكتب والرسل واليوم الآخر وإن شارك أولئك في كفرهم بالرسول فقد زادوا عليه أنواعا من الكفر وهل يستوي في النار عذاب أبي طالب وأبي لهب وأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وأضرابهم) وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أهون أهل النار عذابا أبو طالب ومعلوم أن كفر أبي طالب لم يكن مثل كفر أبي جهل وأمثاله اهـ

فصل

في تنوعه باعتبار التابع والمتبوع

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش 1/31 والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم فأولئك زنادقة مستبصرون وهؤلاء زنادقة مقلدون فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان ولا يجاوز هذه السنة اللهم إلا من أظهر الكفر وأبطن الايمان كحال المستضعف بين الكفارالذي تبين له الاسلام ولم يمكنه المهاجرة بخلاف قومه ولم يزل هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه.....
وعلى هذا فالناس إما مؤمن ظاهرا وباطنا وإما كافرا ظاهرا وباطنا أو مؤمن ظاهرا كافر باطنا أو كافر ظاهرا مؤمن باطنا والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود وقد بين القرآن أحكامها فالأقسام الثلاثة الأول ظاهرة وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة ، ثم قال : فصل في القسم الرابع من هؤلاء أيضا وأما القسم الرابع ففي قوله تعالى (فلولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لهم تعلموهم أن تطؤهم) فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره ومن هؤلاء مؤمن آل وال فرعون كان يكتم إيمانه ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان ملك النصارى بالحبشة وكان في الباطن مؤمنا وقد قيل إنه وأمثاله الذين عناهم الله عز وجل بقوله (**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل**

اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا)
وقوله تعالى (**من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**) .

فصل

في تنوعه باعتبار البلاد

قال تعالى (**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**) .

49 ـ باب ومن أنواع النفاق عدم النية وهو مَنْ عَمِل الأركان والمباني لأنها عادة اجتماعية وتقاليد فقط

قال تعالى **(و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الـدين**)
وقال تعالى (**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثــه و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب**) .

قال ابن تيمية في الفتاوى 26 / 32 وأيضا فغالب الناس إسلامهم حكمي و إنما يدخل فى قلوبهم فـى أثنـاء الأمـر إن دخـل فـإن لـم توجب عليهم هذه النية لم يقصدوها فتخلو قلـوبهم منهـا فيصـيرون منافقين إنما يعملون الأعمال عادة و متابعة كما هو الواقع فى كثير من الناس .

وقال أيضا الفتاوى 26 /30 فـإذا قـام يصـلي لئلا يضـرب أو يؤخـذ ماله أو أدى الزكاة لئلا يضـرب كـان قـد فسـخ تلـك النيـة الإيمانيـة فلهذا كان الصحيح عندنا و عند أكثر العلماء أن هذه العبادة فاسـدة لا يسقط الفرض بهـذه النيـة و قلنـا إن عبـادات المرائيـن الواجبـة

باطلة و أن السلطان اذا أخذ الزكاة من الممتنع من أدائها لم يجزه فى الباطن على أصح الـوجهين ، لكـن لمـا كـان غـالب المسـلمين يولد بين أبوين مسلمين يصيرون مسلمين إسلاما حكميـا مـن غيـر أن يوجد منهم إيمان بالفعل ثم إذا بلغوا فمنهم مـن يـرزق الإيمـان الفعلي فيؤدي الفرائض ومنهم مـن يفعـل مـا يفعلـه بحكـم العـادة المحضة و المتابعة لأقاربه و أهل بلـده و نحـو ذلـك مثـل أن يـؤدي الزكاة لأن العادة أن السلطان يأخذ الكلف و لم يستشـعر و جوبهـا عليه لا جملة و لا تفصيلا فلا فرق عنده بين الكلف المبتدعـة و بيـن الزكاة المشروعة أو من يخرج من أهل مكة كل سنة الـى عرفـات لأن العادة جارية بذلك من غير استشعار أن هذا عبادة للـه لا جملـة و لا تفصيلا أو يقاتل الكفار لأن قومه قاتلوهم فقاتـل تبعـا لقـومه و نحو ذلك فهؤلاء لا تصح عبادتهم بلا تردد بل نصوص الكتاب و السنة و إجماع الأمة قاضية بأن هذه الأعمال لا تسـقط الفـرض فلا يظـن ظان أن قول من قال من الفقهاء أن نية الإضافة ليست واجبة أراد مثل هؤلاء و إنما اكتفى فيها بالنية الحكمية كما قدمناه ففـرق بيـن من لم يرد الله بعمله لا جملة و لا تفصيلا و بيـن مـن أراده جملـة و ذهل عن إرادته بالعمل المعين تفصيلا فإن أحدا من الأمـة لا يقـول إن الأول عابد لله و لا مؤد لما أمر به أصلا و هذا ظاهر اهـ .
وقال الشيخ محمد بن عبد الوهـاب فـي آخـر كشـف الشـبهات : لا خلاف ان التوحيد لا بـد ان يكـون بـالقلب واللسـان والعمـل ، فـإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان من عـرف التوحيـد ولم يعمل به فهو كافر مرتد ... فان عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه او لا يعتقد بقلبه فهو منافق وهو شر مـن الكـافر الخـالص اهـ

50 ـ باب ومن أنواع النفاق ترك المباني الأربع كسلا وخفية ومن تركها إمتناعا فهو مرتد

قال عبد الله بن أحمد حدَّثنا سويد بن سـعيد الهـرويّ قـال : سـألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء . فقال : يقولون الإيمان قولٌ وعملٌ ، والمرجئة أوجبوا الجنَّة لمـن شـهد أنَّ لا إلـه إلا اللـه مصـرَّاً بقلبـه علـى تـرك الفرائـض وسـمُّوا تـرك الفرائـض ذنبـاً بمنزلـة ركـوب المحـارم ، وليـس بسـواء لأنَّ ركـوب المحـارم مـن غيـر اسـتحلالٍ معصية، وترك الفرائض متعمِّداً من غير جهل ولا عذر هو كفر .اهـ السنَّة لعبد الله بن أحمد (1/347-348) .
وقال الحميديّ في أصول السُّنَّة : (وأن لا نقول كما قالت الخوارج : من أصاب كبيرةً فقد كفر. ولا تكفيـر بشـيء مـن الـذُّنوب ، إنَّمـا الكفر في ترك الخمس التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: بُنِيَ الإسلام على خمس: شـهادة أن لا إلـه إلاَّ اللـه، وأنَّ محمَّـداً رسول الله، وإقـام الصَّـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـوم رمضـان، وحـجُّ البيت
وفي السنَّة للخلاَّل قال الحميـديّ : أُخْبِـرْتُ أَنَّ قومـاً يقولـون : إِنَّ من أقرَّ بالصَّلاة ، والزَّكاة ، والصَّوم ، والحجِّ ، ولـم يفعـل مـن ذلـك شيئاً حتى يموتَ أو يصلِّي مسندٌ ظهرَه مستدبر القبلة حتى يمـوت فهو مؤمنٌ ما لم يكن جاحداً إذا علم أَنَّ تركـه ذلـك فـي إيمـانه إذا كـان يقـرُّ الفـروض واسـتقبال القبلـة ؛ فقلـت : هـذا الكفـر بـالله الصُّراح وخلاف كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم فعل المسلمين . قال حنبل : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : من قـال هذا فقد كفر بالله ، وردَّ على الله أمرَه وعلى الرَّسـول مـا جـاء بـه اهـ .
قال ابن تيمية في الفتاوى 7 /302 وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر ، وأما الأعمـال الأربعـة فـاختلفوا فى تكفير تاركها ، قال الحكم بن عتيبة من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ، ومن ترك الزكاة متعمدا فقد كفر ، ومـن تـرك الحـج متعمـدا فقد كفر ، ومن ترك صوم رمضان متعمدا فقد كفـر . وقـال سـعيد بن جبير من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر بالله ، ومـن تـرك الزكـاة متعمدا فقد كفر بالله ، ومن ترك صوم رمضـان متعمـدا فقـد كفـر بالله . وقال الضحاك لا ترفع الصلاة إلا بالزكاة . وقال عبـدالله بـن مسعود من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة لـه رواهـن أسـد بن موسى اهـ
وقال أيضا في الفتاوى ج: 7 ص: 610 وأما مـع الإقـرار بـالوجوب إذا ترك شيئا من هذه الأركان الأربعة ففي التكفيـر أقـوال للعلمـاء هي روايات عن أحمد ، أحدها أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حـتى الحج وإن كان فى جواز تأخيره نزاع بين العلماء فمـتى عـزم علـى تركه بالكلية كفـر ، وهـذا قـول طائفـة مـن السـلف ، وهـي إحـدى الروايات عن أحمد إختارها أبو بكر .
والثاني أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الاقـرار بـالوجوب وهـذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصـحاب ابـي حنيفـة ومالـك والشافعى وهو احدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطة وغيره .
والثالث لا يكفـر إلا بـترك الصـلاة وهـى الروايـة الثالثـة عـن أحمـد وقـول كـثير مـن السـلف وطائفـة مـن أصـحاب مالـك والشـافعى وطائفة من أصحاب أحمد .
والرابع يكفر بتركها وترك الزكاة فقط .
والخـامس بتركهـا وتـرك الزكـاة إذا قاتـل الإمـام عليهـا دون تـرك الصيام والحج .

وهذه المسألة لهـا طرفـان أحـدهما : فـى إثبـات الكفـر الظـاهر ، والثانى : فى إثبات الكفر الباطن ، فأما الطرف الثـاني فهـو مبنـى على مسألة كون الإيمـان قـولا وعملا كمـا تقـدم ومـن الممتنـع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا فى قلبه بأن الله فرض عليـه الصـلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي للـه زكـاة ولا يحـج الـى بيتـه فهـذا ممتنـع ولا يصدر هذا إلا مع نفـاق فـى القلـب وزندقـة لا مـع إيمـان صـحيح ، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله **(يوم يكشف عن ساق ويـدعون الـى السـجود فلا يسـتطيعون خاشعة أبصـارهم ترهقهـم ذلـة وقـد كـانوا يـدعون الـى السـجود وهـم سـالمون)** .. الـى أن قـال : وقـد ثبـت فـى الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما فى الحديث الطويـل حـديث التجلـي أنـه إذا تجلـى تعـالى لعبـاده يـوم القيامة سجد له المؤمنون وبقي ظهر مـن كـان يسـجد فـى الـدنيا رياء وسمعة مثل الطبق لا يستطيع السجود فإذا كان هذا حال مـن سجد رياء فكيف حال من لم يسجد قط وثبت أيضا فى الصحيح أن النار تأكل من إبن آدم كل شيء الا موضع السجود فـان اللـه حـرم على النار أن تأكله فعلم أن من لم يكن يسجد لله تأكله النار كلـه ، وكذلك ثبت فـى الصـحيح أن النـبى يعـرف أمتـه يـوم القيامـة غـرا محجلين من آثار الوضوء فدل على أن من لم يكـن غـرا محجلا لـم يعرفه النـبى فلا يكـون مـن أمتـه وقـوله تعـالى **(كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكـذبين وإذا قيـل لهـم إركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين**) وقوله تعالى **(فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القـرآن لا يسـجدون بـل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون)** وكـذلك قـوله تعالى **(فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى**) وكذلك قوله تعالى **(ما سلككم في سقر قـالوا لـم نـك مـن المصـلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مـع الخائضـين وكنـا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقيـن**) فوصـفه بـترك الصـلاة كما وصفه بترك التصديق ووصفه بالتكذيب والتولي و المتـولي هـو العاصي الممتنع من الطاعة كمـا تعـالى **(ستدعون الـى قـوم أولـى بـأس شـديد تقـاتلونهم أو يسـلمون فـان تطيعـوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولـوا كمـا تـوليتم مـن قبـل يعذبكم عذابا أليما)** وكذلك وصف أهـل سـقر بـأنهم لـم يكونـوا من المصلين وكـذلك قـرن التكـذيب بـالتولي فـى قـوله **(أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيـت ان كـان علـى الهـدى أو أمر بالتقوى أرايت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى**

كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) و أيضا فى القرآن علق الأخوة فى الدين على نفس إقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما علق ذلك على التوبة من الكفر فإذا انتفي ذلك انتفت الأخوة ، و أيضا فقد ثبت عن النبى أنه قال (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) وفى المسند (من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة) و أيضا فإن شعار المسلمين الصلاة ولهذا يعبر عنهم بها فيقال اختلف أهل الصلاة واختلف أهل القبلة ، والمصنفون لمقالات المسلمين يقولون مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، وفى الصحيح (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما لنا وعليه ما علينا) وأمثال هذه النصوص كثيرة فى الكتاب والسنة ، وأما الذين لم يكفروا بترك الصلاة ونحوها فليست لهم حجة إلا وهي متناولة للجاحد كتناولها للتارك فما كان جوابهم عن الجاحد كان جوابا لهم عن التارك مع أن النصوص علقت الكفر بالتولى كما تقدم وهذا مثل استدلالهم بالعمومات التى يحتج بها المرجئة كقوله (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه أدخله الله الجنة) ونحو ذلك من النصوص ، وأجود ما إعتمدوا عليه قوله (خمس صلوات كتبهن الله على العباد فى اليوم والليلة فمن حافظ عليهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله االجنة) قالوا فقد جعل غير المحافظ تحت المشيئة والكافر لا يكون تحت المشيئة ، ولا دلالة فى هذا فإن الوعد بالمحافظة عليها والمحافظة فعلها فى أوقاتها كما أمر كما قال تعالى (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**) وعدم المحافظة يكون مع فعلها بعد الوقت كما آخر النبى صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق فأنزل الله آية الأمر بالمحافظة عليها وعلى غيرها من الصلوات وقد قال تعالى (**فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا**) فقيل لابن مسعود وغيره ما إضاعتها فقال تأخيرها عن وقتها ، فقالوا ما كنا نظن ذلك إلا تركها فقال لو تركوها لكانوا كفارا ، وكذلك قوله (**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**) ذمهم مع أنهم يصلون لأنهم سهوا عن حقوقها الواجبة من فعلها فى الوقت وإتمام أفعالها المفروضة ، كما ثبت فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا) فجعل هذه صلاة المنافقين لكونه آخرها عن

الوقت ونقرها ، وقد ثبت فى الصحيح عـن النـبى صـلى اللـه عليـه وسلم أنه ذكر الأمراء بعده الذين يفعلون ما ينكر وقالوا يـا رسـول الله أفلا نقاتلهم قال (لا ما صلوا) وثبـت عنـه أنـه قـال (سـيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصـلوا الصـلاة لوقتهـا ثـم اجعلـوا صلاتكم معهم نافلة) فنهى عـن قتـالهم إذا صـلوا وكـان فـى ذلـك دلالة على أنهم إذا لم يصلوا قوتلوا وبين أنهم يؤخرون الصـلاة عـن وقتها وذلك ترك المحافظة عليهـا لا تركهـا وإذا عـرف الفـرق بيـن الأمرين فالنبى صلى الله عليه وسلم إنما أدخل تحت المشيئة مـن لم يحافظ عليها لا من ترك ، ونفس المحافظة يقتضي أنهـم صـلوا ولم يحافظوا عليها ولا يتناول من لـم يحـافظ فـإنه لـو تنـاول ذلـك قتلوا كفارا مرتدين بلا ريب .

ولا يتصور فـى العـادة أن رجلا يكـون مؤمنـا بقلبـه مقـرا بـأن اللـه أوجب عليه الصلاة ملتزما لشريعة النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به يأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع حتى يقتل ، ويكون مع ذلـك مؤمنا فى الباطن قط لا يكون إلا كافرا ولـو قـال أنـا مقـر بوجوبهـا غير أنى لا أفعلها كان هذا القول مع هذه الحال كذبا منه كما لو أخذ يلقي المصحف فـى الحـش ويقـول أشـهد أن مـا فيـه كلام اللـه أو جعل يقتل نبيا من الأنبياء ويقول أشهد أنه رسـول اللـه ونحـو ذلـك من الأفعال التى تنافى إيمان القلب ، فإذا قال أنا مؤمن بقلبى مـع هذه الحال كان كاذبا فيما أظهره من القول .

فهذا الموضع ينبغي تـدبره فمـن عـرف ارتبـاط الظـاهر بالبـاطن زالت عنه الشبهة فى هذا الباب وعلم أن من قال من الفقهـاء أنـه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل أو يقتل مع إسـلامه فـإنه دخلت عليه الشـبهة الـتى دخلـت علـى المرجئـة والجهميـة والـتى دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكـون بهـا شيء من الفعل ، ولهذا كان الممتنعون من قتـل هـذا مـن الفقهـاء بنـوه علـى قـولهم فـى مسـألة الإيمـان وأن الأعمـال ليسـت مـن الإيمان وقد تقدم أن جنس الأعمال من لـوازم إيمـان القلـب ، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظـاهرة ممتنـع سـواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزء من الإيمان كما تقدم بيـانه ، وبهذا تزول الشبهة فى هذا الباب فإن كثيرا من الناس بـل أكـثرهم فى كثير من الأمصار لا يكونون محافظين على الصـلوات الخمـس ولا هم تاركيها بالجملة بل يصلون أحيانا ويدعون أحيانا فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق وتجري عليم أحكام الاسـلام الظـاهرة فـى المـواريث ونحوهـا مـن الأحكـام فـإن هـذه الاحكـام إذا جـرت علـى المنـافق المحض كإبن أبي وأمثاله مـن المنـافقين فلأن تجـري علـى هـؤلاء أولى وأحري ، وبيان هذا الموضع مما يزيل الشبهة فـإن كـثيرا مـن

الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة فلا يرث ولا يورث ولا يناكح حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل من أهل البدع ، وليس الأمر كذلك فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر ، وكان فى المنافقين م ن يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون فى نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه كإبن أبى وأمثاله ، ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون وكان إذا مات لهم ميت آتوهم ميراثه وكانت تعصم دماؤهم حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته ، ولما خرجت الحرورية على علي بن ابي طالب رضي الله عنه واعتزلوا جماعة المسلمين قال لهم إن لكم علينا أن لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم نصيبكم من الفئ فلما استحلوا قتل المسلمين وأخذ أموالهم قاتلهم بأمر النبى صلى الله عليه اهـ .

وقال ابن حزم في الفصل في الملل 3 /128 إلا أن بين السلف منهم والخلف اختلافا في تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها ، وتارك الصوم لو مضى كذلك وتارك الزكاة وتارك الحج كذلك ، وفي قاتل المسلم عمدا وفي شارب الخمر وفيمن سب نبيا من الأنبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثا قد صح عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعن ابن المبارك وأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أن من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد ، وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره ، وروينا عن عمر رضي الله عنه مثل ذلك في تارك الحج ، وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك في تارك الزكاة والصيام وفي قاتل المسلم عمدا وعن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمرو بن العاص في شارب الخمر وعن إسحق بن راهويه أن من رد صحيحا عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر .

قال ابن القيم في الصلاة /175 فهذه ست صفات في الصلاة من علامات النفاق الكسل عند القيام إليها ومراءاة الناس في فعلها وتأخيرها ونقرها وقلة ذكر الله فيها والتخلف عن جماعتها .

51 ـ باب ومن الأنوع من فيه إيمان ونفاق

قال تعالى **(هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان)** .

قال ابن تيمية فـي الفتـاوى 7/352 فمـن كـان فيـه إيمـان ونفـاق يسمى مسلما اذ ليس هو دون المنافق المحـض ، واذا كـان نفـاقه أغلب لم يستحق اسم الإيمان بل إسم المنافق أحق به فان ما فيـه بياض وسواد وسوداه أكثر من بياضه هـو بإسـم الأسـود أحـق منـه باسم الأبيض كما قال تعالى **(هم للكفر يومئـذ أقـرب منهـم للإيمان**) وأما اذا كان ايمانه أغلب ومعه نفاق يستحق بـه الوعيـد لم يكن أيضا من المؤمنين الموعودين بالجنة اهـ .

52ـ باب ومن الأنواع رمى العلماء والمجاهدين ونحوهم
يريد بذلك ضعف الاسلام والصحوة

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 / 99 متولي كبره فقط وقال هنا ولهم عذاب عظيم فعلم انه الذي رمى امهات المؤمنين يعيب بذلك رسول الله وتولى كبر الافك وهذه صفة المنافق ابن ابي واعلم انه على هذا القول تكون هذه الاية حجة ايضا موافقة لتلك الاية لانه لما كان رمي امهات المؤمنين اذى للنبي لعن صاحبه في الدنيا والاخرة ولهذا قال ابن عباس ليس فيها توبة لان مؤذي النبي لا تقبل توبته او يريد اذا تاب من القذف حتى يسلم اسلاما جديدا وعلى هذا فرميهن نفاق مبيح للدم اذا قصد به اذى النبي او اوذين بعد العلم بانهن ازواجه في الاخرة فانه ما بغت امراة نبي قط ومما يدل على أن قذفهن اذى للنبي ما خرجاه في الصحيحين في حديث الافك عن عائشة قالت فقام رسول الله فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول قالت فقال رسول وهو على المنبر (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خير وما كان يدخل على اهلي الا معي) فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت فقوله من يعذرني اي من ينصفني ويقيم عذري اذا انتصفت منه لما بلغني من اذاه في اهل بيتي وأذيته لهم فثبت انه قد تاذى بذلك تاذيا استعذر منه وقال المؤمنون الذين لم تاخذهم حمية مرنا نضرب اعناقهم فانا نعذرك اذا امرتنا بضرب

اعناقهم ولم ينكر النبي على سعد استئماره في ضرب اعناقهم وقوله انك معذور اذا فعلت ذلك يبقى ان يقال فقد كان من اهل الافك مسطح وحسان وحمنه ولم يرموا بنفاق ولم يقتل النبي احدا بذلك السبب بل قد اختلف في جلدهم وجوابه ان هؤلاء لم يقصدوا اذى النبي ولم يظهر منهم دليل على اذاه بخلاف ابن ابي الذي انما كان قصده أذاه ولم يكن اذ ذاك قد ثبت عندهم ان ازواجه في الدنيا هن ازواجا له في الاخرة وكان وقوع ذلك من ازواجه ممكنا في العقل ولذلك توقف النبي في القصة حتى استشار علي وزيدا وحتى سال بريرة فلم يحكم بنفاق من لم يقصد اذى النبي لامكان ان يطلق المراة المقذوفة فاما بعد ان ثبت انهن ازواجه في الاخرة وانهن امهات المؤمنين فقذفهن اذى له بكل حال ولا يجوز مع ذلك ان يقع منهن فاحشه لان في ذلك جواز ان يقيم الرسول مع امراة بغي وان تكون ام المؤمنين موسومه بذلك وهذا باطل ولهذا قال سبحانه (**يعظكم الله وان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين)** وسنذكر ان شاء الله تعالى في اخر الكتاب كلام الفقهاء فيمن قذف نساءه وانه معدود من اذاه .

53ـ باب ومن الأنواع من ترك الجهاد او خذّل عنه او ثبط او تخلف عنه يريد ضعف الاسلام وهزيمة المسلمين فهذا نفاق
لا من فعله خوفا او جبنا او حبا للدنيا

قال تعالى (**هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**)

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 / 336 وايضا فان الرجل انما قصد بالكذب نيل شهوته ومثل هذا قد يصدر من الفساق كما يصدر من الكفار اهـ .

54 ـ باب الاعتراض والمراجعات
هل هي من أنواع النفاق ؟

قال ابن تيمية في في الصارم المسلول 2 / 370 واما قول بعض قريش والانصار في الذهيبة التي بعث بها علي من اليمن ايعطي صناديد اهل نجد ويدعنا فمن هذا الباب ايضا انما سالوا على هذا الوجه وهنا جوابان آخران :

احدهما ان بعض اولئك القائلين قد كان منافقا يجوز قتله مثل الذي سمعه ابن مسعود يقول في غنائم حنين ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وكان في ضمن قريش والانصار منافقون كثيرون فما ذكر من كلمة لا مخرج لها فانما خرجت من منافق والرجل الذي

ذكر عنه ابو سعيد انه قال كنا احق بهذا من هؤلاء ولم يسمه منافقا والله اعلم .
الجواب الثاني ان الاعتراض قد يكون ذنبا ومعصية يخاف على صاحبه النفاق وان لم يكن نفاقا مثل قوله تعالى (**يجادلونك في الحق بعد ما تبين**) ومثل مراجعتهم له في فسخ الحج الى العمرة وابطائهم عن الحل وكذلك كراهتهم للحل عام الحديبية وكراهتهم للصلح ومراجعة من راجع منهم فان من فعل ذلك فقد اذنب ذنبا كان عليه ان يستغفر الله منه كما ان الذين رفعوا اصواتهم فوق صوته اذنبوا ذنبا تابوا منه وقد قال تعالى (**واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثيرمن الامر لعنتم**) .
وقال سهل بن حنيف اتهموا الراي على الدين فلقد رايتني يوم ابي جندل ولو استطيع ان ارد امر رسول الله لفعلت فهذه امور صدرت عن شهوة وعجلة لا عن شك في الدين كما صدر عن حاطب التجسس لقريش مع انها ذنوب ومعاصي يجب على صاحبها ان يتوب وهي بمنزلة عصيان امر النبي ومما يدخل في هذا حديث ابي هريرة في فتح مكة قال فقال رسول الله من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن القى السلاح فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن فقالت الانصار اما الرجل فقد ادركته رغبة في قرابته ورافة في عشيرته قال ابو هريرة وجاء الوحي وكان اذا جاء لا يخفى علينا فاذا جاء فليس احدا منا يرفع طرفه الى رسول الله حتى ينقضي الوحي فلما قضي الوحي قال رسول الله (يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله قال قلتم اما الرجل فادركته رغبة في قرابته ورافة بعشيرته قالوا قد كان ذلك قال كلا اني عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم المحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذي قلنا الا الظن بالله وبرسوله فقال رسول الله ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم) رواه مسلم وذلك ان الانصار لما راوا النبي قد امن اهل مكة واقرهم على اموالهم وديارهم مع دخوله عليهم عنوة وقهرا وتمكنه من قتلهم واخذ اموالهم لو شاء خافوا ان يكون النبي يريد ان يستوطن مكة ويستبطن قريشا لان البلد بلده والعشيرة عشيرته وان يكون نزاع النفس الى الوطن والاهل يوجب انصرافه عنهم فقال من قال منهم ذلك ولم يقله الفقهاء واولو الالباب الذين يعلمون انه لم يكن له سبيل الى استيطان مكة فقالوا ذلك لا طعنا ولا عيبا ولكن ضنا بالله وبرسوله والله ورسوله قد صدقاهم انما حملهم على ذلك الضن بالله ورسوله وعذراهم فيما قالول لما راوا وسمعوا ولان مفارقة الرسول شديد على مثل اولئك

المؤمنين الذين هم شعار وغيرهم دثار والكلمة التي تخرج عن محبة وتعظيم وتشريف وتكريم يغتفر لصاحبها بل يحمد عليها وان كان مثلها لو صدر بدون ذلك استحق صاحبها النكال وكذلك الفعل الا ترى ان النبي لما قال لابي بكر حين اراد ان يتاخر عن موقعه في الصلاة لما احس بالنبي (مكانك) فتاخر ابو بكر فقال له النبي (ما منعك ان تثبت مكانك وقد امرتك فقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي النبي) وكذلك ابو ايوب الانصاري لما استأذن النبي في ان ينتقل الى سفل وان يصعد رسول الله الى العلو وشق عليه ان يسكن فوق النبي فامره النبي بالمكث في مكانه وذكر له ان سكناه اسفل ارفق به من اجل دخول الناس عليه فامتنع ابو ايوب من ذلك ادبا مع النبي وتوقيرا له فكلمة الانصار رضى الله عنهم من هذا الباب وبالجملة فالكلمات في هذا الباب ثلاثة اقسام :
احداهن ما هو كفر مثل قوله ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله . الثاني ما هو ذنب ومعصية يخاف على صاحبه ان يحبط عمله مثل رفع الصوت فوق صوته ومثل مراجعة من راجعه عام الحديبية بعد ثباته على الصلح ومجادلة من جادله يوم بدر بعد ما تبين له الحق وهذا كله يدخل في المخالفه عن امره . الثالث ما ليس من ذلك بل يحمد عليه صاحبه او لايحمد كقول عمر ما بالنا نقصر الصلاة وقد امنا وكقول عائشة الم يقل الله **(فاما من اوتي كتابه بيمينه**) وكقول حفصة : الم يقل الله وان منكم الا واردها وكمراجعة الحباب في منزل بدر ومراجعة سعد في صلح غطفان على نصف تمر المدينة ومثل مراجعتهم له لما امرهم بكسر الانية التي فيها لحوم الحمر فقالوا او لا نغسلها فقال (اغسلوها) وكذلك رد عمر لابي هريرة لما خرج مبشرا ومراجعته للنبي في ذلك وكذلك مراجعته له لما اذن له في نحر الظهر في بعض المغازي وطلبه منه ان يجمع الازواد ويدعو الله ففعل ما اشر به عمر ونحو ذلك مما فيه سؤال عن اشكال ليتبين لهم او عرض لمصلحة قد يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم) .

6 ـ كتاب توبة المنافق

55 ـ باب متى تقبل توبة المنافق ؟

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 646 وما بعدها : وايضا فإن سبه او شتمه ممن يظهر الاقرار بنبوته دليل على فساد اعتقاده وكفره به بل هو دليل على الاستهانة به والاستخفاف بحرمته فإن من وقر الايمان في قلبه والايمان موجب لاكرامه واجلاله لم يتصور منه ذمه وسبه والتنقص به وقد كان من اقبح المنافقين نفاقا من يستخف بشتم النبي كما روي عن ابن عباس

قال : كان رسول الله جالسا في ظل حجرة من حجر نسائه في نفر من المسلمين قد كان تقلص عنهم الظل فقال (سيأتيكم انسان ينظر بعين شيطان فلا تكلموه) فجاء رجل ازرق فدعاه النبي فقال (علام تشتمني انت وفلان وفلان ودعاهم بأسمائهم) فانطلق فجاء بهم فحلفوا له واعتذروا اليه فانزل الله تبارك وتعالى (**يحلفون لكم لترضوا عنهم**) الاية رواه ابو مسعود بن الفرات ورواه الحاكم في صحيحه وقال فأنزل الله تعالى (**يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له**) الاية واذا ثبت انه كافر مستهين به فإظهار الاقرار برسالته بعد ذلك لا يدل على زوال الكفر والاستهانة لان الظاهر انما يكون دليلا صحيحا معتمدا اذا لم يثبت ان الباطن بخلافه فاذا قام دليل على الباطن لم يلتفت الى ظاهر قد علم ان الباطن بخلافه .

ولهذا اتفق العلماء على انه لا يجوز للحاكم ان يحكم بخلاف علمه وان شهد عنده بذلك العدول ويجوز له ان يحكم بشهادتهم اذا لم يعلم خلافها وكذلك ايضا لو اقر اقرارا علم انه كاذب فيه مثل ان يقول لمن هو اكبر منه هذا ابني لم يثبت نسبه ولا ميراثه باتفاق العلماء وكذلك الادلة الشرعية مثل خبر العدل الواحد ومثل الامر والنهي والعموم والقياس يجب اتباعها الا ان يقوم دليل اقوى منها يدل على ان باطنها مخالف لظاهرها ونظائر هذا كثيرة فاذا علمت هذا ، فنقول هذا الرجل قد قام الدليل على فساد عقيدته وتكذيبه به واستهانته له فإظهاره الاقرار برسالته الان ليس فيه اكثر مما كان يظهره قبل هذا وهذا القدر بطلت دلالته فلا يجوز الاعتماد عليه وهذه نكتة من لايقبل توبة الزنديق وهو مذهب اهل المدينة ومالك واصحابه والليث بن سعد وهو المنصور من الروايتين عن ابي حنيفة وهو احدى الروايات عن احمد نصرها كثير من اصحابه وعنهما انه يستتاب وهو المشهور عن الشافعي وقال ابو يوسف آخرا اقتله من غير استتابة لكن ان تاب قبل ان اقتله قبلت توبته وهذا ايضا الرواية الثالة عن احمد وعلى هذا المأخذ فاذا كان الساب قد تكرر منه السب ونحوه مما يدل على الكفر اعتضد السبب بدلالات اخر من الاستخفاف بحرمات الله والاستهانة بفرائض الله ونحو ذلك من دلالات النفاق والزندقة كان ذلك ابلغ في ثبوت زندقته وكفره وفي ان لا يقبل منه مجرد ما يظهر من الاسلام مع ثبوت هذه الامور وما ينبغي ان يتوقف في قتل مثل هذا وفي ان لايسقط عنه القتل بما يظهر من الاسلام اذ توبة هذا بعد اخذه لم تجدد له حالا لم تكن قبل ذلك فكيف تعطل الحدود بغير موجب .

نعم لو انه قبل رفعه الى السلطان ظهر منه من الاقوال والاعمال ما يدل على حسن الاسلام وكف عن ذلك لم يقتل في هذه الحال وفيه خلاف بين اهل هذا القول سيأتي ان شاء الله تعالى ذكره و على مثل هذا ومن هو اخف منه ممن لم يظهر نفاقه قط تحمل ايات التوبة من النفاق وعلى الاول تحمل ايات اقامة الحد ثم من اسقط القتل عن الذمي اذا اسلم قال بهذا يظهر الفرق بينه وبين الكافر اذا اسلم فانه كان مظهرا لدين يبيح سبه او لا يمنعه من سبه فأظهر دين الاسلام الذي يوجب تعزيره وتوقيره فكان ذلك دليلا على صحة انتقاله ولم يعارضه ما يخالفه فوجب العمل به وهذه الطريقة مبنية على عدم قبول توبة الزنديق كما قررناه من ظهور دليل الكفر مع عدم ظهور دليل الاسلام وهو من القياس الجلي ويدل على جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة قوله سبحانه وتعالى (**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني** ـ الى قوله ـ **قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا)** قال اهل التفسير ـ او بأيدينا ـ بالقتل ان أظهرتم ما في قلبوكم قتلناكم وهو كما قالوا لان العذاب على ما يبطنونه من النفاق بأيدينا لايكون الا القتل لكفرهم ولو كان المنافق يجب قبول ما يظهره من التوبة بعد ما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكنا ان نتربص بهم ان يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده او بأيدينا لانا كلما اردنا ان نعذبهم على ما اظهروه اظهروا التوبة منه . الى ان قال : وقال قتادة وغيره في قوله تعالى (**وممن حولكم من الاعراب منافقون** ـ الى قوله ـ **سنعذبهم مرتين**) قالوا في الدنيا القتل وفي البرزخ عذاب القبر ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى (**يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه**) وقوله تعالى (**سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم** ـ الى قوله ـ **يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**) .

وكذلك قوله تعالى (**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم**) وقوله سبحانه (**اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون**) وقوله تعالى (**الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون** ـ الى قوله تعالى ـ **اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا**

عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ـ الى قوله ـ **يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون**) دلت هذه الايات كلها على ان المنافقين كانوا يرضون المؤمنين بالايمان الكاذبة وينكرون انهم كفروا ويحلفون انهم لم يتكلموا بكلمة الكفر ، وذلك دليل على انهم يقتلون اذا ثبت ذلك عليهم بالبينة لوجوه احدها : انهم لو كانوا اذا اظهروا التوبة قبل ذلك منهم لم يحتاجوا الى الحلف والانكار ولكانوا يقولون قلنا وقد تبنا فعلم انهم كانوا يخافون اذا ظهر ذلك عليهم انهم يعاقبون من غير استتابة .

الثاني : انه قال تعالى **(اتخذوا ايمانهم جنة)** واليمين انما تكون جنة اذا لم تات ببينة عادلة تكذبها فاذا كذبتها بينة عادلة انخرقت الجنة فجاز قتلهم ولايمكنه ان يجتن بعد ذلك الا بجنة من جنس الاولى وتلك جنة مخروقة .

الثالث : ان الايات دليل على ان المنافقين انما عصم دماءهم الكذب والانكار ومعلوم ان ذلك انما يعصم اذا لم تقم البينة بخلافه ، وسنذكر لم لم يقتلهم النبي ويدل على ذلك قوله سبحانه (**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر**) الاية وقوله تعالى في موضع اخر (**جاهد الكفار والمنافقين**) قال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وعن ابن عباس وابن جريج باللسان وتغليظ الكلام وترك الرفق ووجه الدليل ان الله امر رسوله بجهاد المنافقين كما امره بجهاد الكافرين ومعلوم ان جهادهم انما يمكن اذا ظهر منهم من القول او الفعل ما يوجب العقوبة فانه ما لم يظهر منه شيء البته لم يكن لنا سبيل عليه فاذا ظهر منه كلمة الكفر فجهاده القتل وذلك يقتضي ان لا يسقط عنه بتجديد الاسلام له ظاهرا لانا لو اسقطنا عنهم القتل بما اظهروه من الاسلام لكانوا بمنزلة الكفار وكان جهادهم من حيث هم كفار فقط لا من حيث هم منافقون والاية تقتضي جهادهم لانهم صنف غير الكفار لا سيما قوله تعالى (**جاهد الكفار والمنافقين**) يقتضي جهادهم من حيث هم منافقون لان تعليق الحكم باسم مشتق مناسب يدل على ان موضع الاشتقاق هو العلة فيجب ان يجاهد لاجل النفاق كما يجاهد الكافر لاجل الكفر.

ومعلوم ان الكافر اذا اظهر التوبة من الكفر كان تركا له في الظاهر ولا يعلم ما يخالفه اما المنافق فاذا اظهر الاسلام لم يكن تركا للنفاق لان ظهور هذه الحال منه لا ينافي النفاق ولان المنافق

اذا كان جهاده باقامة الحد عليه كجهاد الذي في قلبه مرض وهو الزاني اذا زنى لم يسقط عنه حده اذا اظهر التوبة بعد اخذه لاقامة الحد عليه كما عرفت ولانه لو قبلت علانيتهم دائما مع ثبوت ضدها عنهم لم يكن الى الجهاد على النفاق سبيل فإن المنافق اذا ثبت عنه انه اظهر الكفر فلو كان اظهار الاسلام حينئذ ينفعه لم يمكن جهاده ويدل على ذلك قوله **(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذو وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل**) دلت هذه الاية على ان المنافقين اذا لم ينتهوا فان الله يغري نبيه بهم وانهم لا يجاورونه بعد الاغراء بهم الا قليلا وان ذلك في حال كونهم ملعونين اينما وجدوا واصيبوا اسروا وقتلوا وانما يكون ذلك اذا اظهروا النفاق لانه ما دام مكتوما لا يمكن قتلهم وكذلك قال الحسن اراد المنافقون ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فاوعدهم الله في هذه الاية فكتموه واسروه وقال قتادة ذكر لنا ان المنافقين ارادوا ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فاوعدهم الله في هذه الاية فكتموه ولو كان اظهار التوبة بعد اظهار النفاق مقبولا لم يمكن اخذ المنافق ولاقتله لتمكنه من اظهار التوبة لا سيما اذا كان كلما شاء اظهر النفاق ثم اظهر التوبة وهي مقبولة منه يؤيد ذلك ان الله تبارك وتعالى جعل جزاءهم ان يقتلوا ولم يجعل جزاءهم ان يقاتلوا ولم يستثن حال التوبة كما استثناء من قتل المحاربين وقتل المشركين فانه قال (**فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)** وقال في المحاربين (**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا**) الى قوله تعالى (**الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم)** فعلم انهم يقتلون من غير استتابة وانه لا يقبل منهم ما يظهرونه من التوبة .

يوضح ذلك انه جعل انتهاءهم النافع قبل الاغراء بهم وقبل الاخذ والتقتيل وهناك جعل التوبة بعد ذكر الحصر والاخذ والقتل فعلم ان الانتهاء بعد الاغراء بهم لا ينفعهم كما لا تنفع المحارب التوبة بعد القدرة عليه وان نفعت المشرك من مرتد واصلي التوبة بعد القدرة عليه وقد اخبر سبحانه ان سنته فيمن لم يتب عن النفاق حتى قدر عليه ان يؤخذ ويقتل وان هذه السنة لا تبديل لها والانتهاء في الاية ان يعنى به الانتهاء عن النفاق بالتوبة الصحيحة او الانتهاء عن اظهاره عند شياطينه وعند بعض المؤمنين والمعنى الثاني

اظاهر فان من المنافقين من لم ينته عن اسرار النفاق حتى مات النبي وانتهوا عن اظهاره حتى كان في اخر الامر لا يكاد احد يجتريء على اظهار شيء من النفاق نعم الانتهاء يعم القسمين فمن انتهى عن اظهاره فقط او عن اسراره واعلانه خرج من وعيد هذه الاية ومن اظهره لحقه وعيدها ومما يشبه ذلك قوله تعالى (**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر** ـ الى قول الله تعالى **(فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة**) فانه دليل على ان المنافق اذا لم يتب عذبه الله في الدنيا والاخرة وكذلك قوله تعالى (**وممن حولكم من الاعراب منافقون** ـ الى قوله تعالى ـ **سنعذبهم مرتين**) واما قوله (**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة**) فقد قال ابو رزين هذا شيء واحد هم المنافقون وكذلك قال مجاهد كل هؤلاء منافقون فيكون من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى وجبريل وميكال وقال سلمة بن كهيل وعكرمة الذين في قلوبهم مرض اصحاب الفواحش والزناة ومعلوم ان من يظهر الفاحشة لم يكن بد من اقامة الحد عليه فكذلك من اظهر النفاق . ويدل على جواز قتل الزنديق المنافق من غير استتابة ما خرجاه في الصحيحين في قصة حاطب بن ابي بلتعة قال فقال عمر دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) فدل على ان ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع اذ لم ينكر النبي على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ولكن اجاب بان هذا ليس بمنافق ولكنه من اهل بدر المغفور لهم فاذا ظهر النفاق الذي لاريب انه نفاق فهو مبيح للدم . ثم ذكر احاديث وقصص في ذلك تدل على مشروعية قتل المنافق اذا اظهر اهـ

56ـ باب من تاب من النفاق قبل الاظهار الأكبر

قال تعالى (**لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين**) وقال تعالى (**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر** ـ الى ان قال ـ **فإن يتوبوا يكن خيرا لهم**) وقال تعالى (**وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) .**

واما قول بعض قريش والانصار في الذهيبة التي بعث بها علي من اليمن ايعطي صناديد اهل نجد ويدعنا فمن هذا الباب ايضا انما سالوا على هذا الوجه وهنا جوابان اخران :

احدهما ان بعض اولئك القائلين قد كان منافقا يجوز قتله مثل الذي سمعه ابن مسعود يقول في غنائم حنين ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وكان في ضمن قريش والانصار منافقون كثيرون فما ذكر من كلمة لا مخرج لها فانما خرجت من منافق والرجل الذي ذكر عنه ابو سعيد انه قال كنا احق بهذا من هؤلاء ولم يسمه منافقا والله اعلم .

57 ـ باب من أقام على نفاقه وامتنع عن التوبة

قال تعالى (**فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه**) وقال تعالى (**فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) .**
وحديث الدبيلة في مسلم .

7 ـ كتاب أحكام المنافقين

58 ـ باب فقه المسألة

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 673 وما بعدها : فان قيل فلم لم يقتلهم النبي مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم ؟ قلنا انما ذاك لوجهين : احدهما ان عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الاسلام ، ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن فينقلها الى النبي صلى الله عله وسلم فيحلفون بالله انهم ما قالوها او لايحلفون وتارة بما يظهر من تاخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهية منهم لكثير من احكام الله وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال تعالى **(ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)** فاخبر سبحانه انه لوشاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال (**ولتعرفنهم في لحن القول**) فاقسم على انه لابد ان يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول او يعمل العمل فينزل القران يخبر ان صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة ـ ومنهم ومنهم ـ وكان المسلمون ايضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والامارات ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى (**وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**) ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الاسلام ويحلفون انهم مسلمون ، وقد اتخذوا ايمانهم جنة واذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة او

اقرار الا ترى كيف اخبر عن المراة الملاعنه انها ان جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت على النعت المكروه فقال (لولا الايمان لكان لي ولها شان) وكان بالمدينة امراة تعلن الشر فقال لو كنت راجما احدا من غير بينة لرجمتها ، وقال للذين اختصموا اليه (انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي بنحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار) فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ويدل على هذا انه لم يستتبهم على التعيين ، ومن المعلوم ان احسن حال من ثبت نفاقه وزندقته ان يستتاب كالمرتد فان تاب والا قتل ولم يبلغنا انه استتاب واحد بعينه منهم فعلم ان الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتا يوجب ان يقتل كالمرتد ولهذا كان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله فاذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه ؟ ولهذا قال (اني لم اومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم) لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة ولما استؤذن ايضا في قتل رجل من المنافقين قال (اليس يشهد ان لا اله الا الله قيل بلى قال اليس يصلي قيل بلى قال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم) فاخبر انه نهي عن قتل من اظهر الاسلام من الشهادتين والصلاة وان رمي بالنفاق وظهرت عليه دلالته اذا لم يثبت بحجة شرعية انه اظهر الكفر ، وكذلك قوله في الحديث الاخر (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) معناه اني امرت ان اقبل منهم ظاهر الاسلام واكل بواطنه الى الله ، والزنديق والمنافق انما يقتل اذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة .

قال ابن القيم في الزاد 3/568 قال باب لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه فالجواب الصحيح إذن أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع كلمة الناس عليه وكان في قتلهم تنفير والإسلام بعد في غربة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أحرص شيء على تأليف الناس وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته

1ـ وهذا أمر كان يختص بحال حياته صلى الله عليه وسلم .

2ـ وكذلك من طعن عليه في حكمه بقوله في قصة الزبير وخصمه أن كان ابن عمتك .

3 ـ وفي قسمة بقوله إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله .
4ـ وقول الآخر له إنك لم تعدل فإن هذا محض حقه له أن يستوفيه وله أن يتركه وليس للأمة بعده ترك استيفاء حقه بل يتعين عليهم استيفاؤه ولا بد اهـ

59ـ باب هل قتله حكما جائزا لكن الإمام مخير ومع المفسدة الأولى تركه ؟

وعن عائشة رضي الله عنها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها منه فهلك من هلك .... وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا ... فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن الحضير فقال كذبت لعمر الله والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت رواه البخاري

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 /ـ 664 لما تكلم عن قول عمر لحاطب ما قال ، قال ابن تيمية : فدل على أن ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع إذ لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ، ولكن أجاب بأن هذا ليس بمنافق ، ولكنه من أهل بدر المغفور لهم فإذا ظهر النفاق الذي لاريب أنه نفاق فهو مبيح للدم .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها في حديث الإفك قالت فقام رسول الله من نومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله وهو على المنبر : من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وماكان يدخل على أهلي إلا معي فقالت فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل فقال يارسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقال سعد بن عبادة وهو سيد

الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت متفق عليه .
وفي قصة أخرى لما قال ابن سلول ما قال فمشى زيد بن أرقم بها الى رسول الله وذلك بعد فراغه من الغزوة وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال اذا ترعد له أنف كثيرة بيثرب فقال عمر فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتلوه فقال رسول الله فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله يرتحل فيها وأرسل رسول الله الى عبد الله بن أبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب بالحق ما قلت من هذا شيئا وإن زيدا لكاذب فقال من حضر من الأنصار يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال فعذره رسول الله وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذبوه قالوا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من فضلاء الصحابة ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله فقال يارسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال له رسول الله بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ـ وقال النبي لا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبته وذكروا القصة قالوا وفي ذلك نزلت سورة المنافقين .
ففي هذه القصة بيان أن قتل المنافق جائز من غير استتابة وإن أظهر إنكارذلك القول وتبرا منه وأظهر الإسلام وإنما منع النبي من قتله ما ذكره من تحدث الناس أنه يقتل أصحابه لأن النفاق لم يثبت عليه بالبينة وقد حلف أنه ما قال وإنما علم بالوحي وخبر زيد بن ارقم ، وأيضا لما خافه من ظهور فتنة بقتله وغضب أقوام يخاف افتتانهم بقتله ، وذكر بعض أهل التفسير أن النبي عد المنافقين الذين وقفوا له على العقبة في غزوة تبوك ليفتكوا به

فقال حذيفة ألا تبعث إليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة .
وذكر بعضهم أن رجلا من المنافقين خاصم رجلا من اليهود الى النبي فقضى رسول الله لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فأقبل الى عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر لهما رويداكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت فأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج اليهما فضرب به المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ، فنزل قوله (**الم تر الى الذين يزعمون...الاية**) وقال جبريل أن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد تقدمت هذه القصة مروية من وجهين .
قال ابن تيمية بعد ذلك : ففي هذه الأحاديث دلالة على أن قتل المنافق كان جائزا إذ لولا ذلك لأنكر النبي على من استأذنه في قتل المنافق ولأنكر على عمر إذ قتل من قتل من المنافقين والأخبر النبي أن الدم معصوم بالإسلام ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين لهم وأن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأن يقول القائل لما ظفر باصحابه أقبل يقتلهم لأن الدم إذا كان معصوما كان هذا الوصف عديم التأثير في عصمة دم المعصوم ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا أثر له ويترك تعليله بالوصف الذي هو مناط الحكم وكما أنه دليل على القتل فهو دليل على القتل من غير استتابة على ما لايخفى .
فإن قيل فلم لم يقتلهم النبي مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم ؟ قلنا إنما ذاك لوجهين :
أحدهما : أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الإسلام ، ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن فينقلها الى النبي فيحلفون بالله أنهم ما قالوها أو لايحلفون ، وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهية منهم لكثير من أحكام الله ، وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال تعالى (**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**) فأخبر سبحانه أنه لوشاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال (**ولتعرفنهم في لحن القول**) فأقسم على أنه لابد أن يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فينزل القرآن يخبر أن

صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة (ومنهم ومنهم) وكان المسلمون أيضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ، ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**) ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون ، وقد اتخذوا أيمانهم جنة وإذا كانت هذه حالهم فالنبي لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار ألا ترى كيف أخبر عن المرأة الملاعنة أنها إن جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي...

وقال أيضا في الصارم المسلول 3 / 676 فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ، وقال أيضا : ويدل على هذا أنه لم يستتبهم على التعيين ومن المعلوم أن أحسن حال من ثبت نفاقه وزندقته أن يستتاب كالمرتد فإن تاب وإلا قتل ولم يبلغنا أنه استتاب واحد بعينه منهم فعلم أن الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتا يوجب أن يقتل كالمرتد ، ولهذا كان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله ، فاذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه ، ولهذا قال أني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة ولما استؤذن أيضا في قتل رجل من المنافقين قال أليس يشهد أن لا إله الا الله قيل بلى قال أليس يصلي قيل بلى قال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم فأخبر أنه نهي عن قتل من أظهر الإسلام من الشهادتين والصلاة وإن زن بالنفاق ورمي به وظهرت عليه دلالته إذا لم يثبت بحجة شرعية أنه أظهر الكفر وكذلك قوله في الحديث الآخر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله معناه أني أمرت أن أقبل منهم ظاهر الإسلام وأكل بواطنه الى الله والزنديق والمنافق إنما يقتل إذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة .

الوجه الثاني : أنه كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حيث قال (لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) وقال إذا ترعد له أنف كثيرة يثرب فأنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال

أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهاره الإسلام كما قتل غيره ، وقد كان أيضا يغصب لقتل بعضهم قبيلته وناس آخرون ويكون ذلك سببا للفتنة ، واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن أبي لما عرض سعد بن معاذ بقتله خاصم له أناس صالحون وأخذتهم الحمية حتى سكتهم رسول الله وقد بين ذلك رسول الله لما استأذنه عمر في قتل ابن أبي قال أصحابنا ونحن الآن إذا خفنا مثل ذلك كففناعن القتل .

وقال أيضا فحاصله أن الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام أو لعدم امكان اقامته الا مع تنفير اقوام عن الدخول في الاسلام وارتداد اخرين عنه واظهار قوم من الحرب والفتنة ما يربى فساده على فساد ترك قتل منافق وهذان المعنيان حكمهما باق الى يومنا هذا إلا في شيء واحد وهو أنه ربما خاف أن يظن الظان أنه يقتل أصحابه لغرض آخر مثل أغراض الملوك فهذا منتف اليوم ، والذي يبين حقيقة الجواب الثاني أن النبي لما كان بمكة مستضعفا هو وأصحابه عاجزين عن الجهاد أمرهم الله بكف أيديهم والصبرعلى أذى المشركين فلما هاجروا الى المدينة وصار له دار عز ومنعة أمرهم بالجهاد وبالكف عمن سالمهم وكف يده عنهم لأنه لو أمرهم إذ ذاك بإقامة الحدود على كل كافر ومنافق لنفر عن الإسلام أكثر العرب إذ رأوا أن بعض من دخل فيه يقتل وفي مثل هذه الحال نزل قوله تعالى **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)** وهذه السورة نزلت بالمدينة بعد الخندق فأمره الله في تلك الحال أن يترك أذى الكافرين والمنافقين له فلا يكافئهم عليه لما يتولد في مكافأتهم من الفتنة ولم يزل الأمر كذلك حتى فتحت مكة ودخلت العرب في دين الله قاطبة ثم أخذ النبي في غزو الروم وأنزل الله تبارك وتعالى سورة براءة وكمل شرائع الدين من الجهاد والحج والأمر بالمعروف فكان كمال الدين حين نزل قوله تعالى **(اليوم أكملت لكم دينكم**) قبل الوفاة بأقل من ثلاثة أشهر ولما أنزل براءة أمره بنبذ العهود التي كانت للمشركين وقال فيها **(ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)** وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم)** وذلك أنه لم يبق حينئذ للمنافق من يعينه لو أقيم عليه الحد ولم يبق حول المدينة من الكفار من يتحدث بأن محمد يقتل أصحابه فامره الله بجهادهم والإغلاظ عليهم ، وقد ذكر أهل العلم أن آية الأحزاب منسوخة بهذه الآية ونحوها ، وقال في الأحزاب

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا) الآية فعلم أنهم كانوا يفعلون أشياء إذ ذاك إن لم ينتهوا عنها قتلوا عليها في المستقبل لما أعز الله دينه ونصر رسوله فحيث م ا كان للمنافق ظهور يخاف من أقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآية (دع أذاهم) كما أنه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح وحيث ما حصل القوة والعز خوطبنا بقوله جاهد الكفار والمنافقين فهذا يبين ان الامساك عن قتل من اظهر نفاقه بكتاب الله على عهد رسول الله اذ لا نسخ بعده ولم ندع ان الحكم تغير بعده لتغير المصلحة من غير وحي نزل فإن هذا تصرف في الشريعة وتحويل لها بالرأي ودعوى أن الحكم المطلق كان لمعنى وقد زال وهو غير جائز كما قد نسبوا ذلك الى من قال أن حكم المؤلفة انقطع ولم يأت على انقطاعه بكتاب ولا سنة سوى ادعاء تغير المصلحة . الى أن قال : ويدل على المسألة ما روى أبو إدريس قال أتى على رضي الله عنه بأناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام فسألهم فجحدوا فقامت عليهم البينة العدول قال فقتلهم ولم يستتبهم وقال وأتى برجل كان نصرانيا وأسلم ثم رجع عن الإسلام قال فسأله فأقر بما كان منه فاستتابه فتركه فقيل له كيف تستتيب هذا ولم تستتب أولئك قال ان هذا اقر بما كان منه وان اولئك لم يقروا وجحدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم استتبهم رواه الإمام أحمد وروى الأثرم عن أبي إدريس قال أتى على برجل قد تنصر فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله ، وأتى برهط يصلون القبلة وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول فجحدوا وقالوا ليس لنا دين إلا الإسلام فقتلهم ولم يستتبهم ، ثم قال أتدرون لم استتبت هذا النصراني ؟ استتبته لأنه أظهر دينه وأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة وجحدوني فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا وقامت عليهم البينة ، فهذا من أمير المؤمنين على رضي الله عنه بيان أن كل زنديق كتم زندقته وجحدها حتى قامت عليه البينة قتل ولم يستتب وأن النبي لم يقتل من جحد زندقته من المنافقين لعدم قيام البينة ، ويدل على ذلك قوله تعالى **(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة)** الى قوله (**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا**) فعلم أن من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين ولهذا الحديث قال الإمام أحمد في الرجل يشهد عليه بالبدعة فيجحد ليست له توبة إنما التوبة لمن اعترف فأما من جحدها فلا توبة له ، قال القاضي أبو يعلي وغيره وإذا اعترف بالزندقة ثم تاب قبلت

توبته لأنه باعترافه يخرج عـن حـد الزندقـة لأن الزنـديق هـو الـذي يستبطن الكفر وينكره ولا يظهره فإذا اعترف به ثم تاب خرج عــن حده ، فلهذا قبلنا توبته ولهذا لم يقبـل علـي رضـي اللـه عنـه توبـة الزنادقة لما جحـدوا ، وقـد يسـتدل علـى المسـألة بقـوله تعـالى (**وليست التوبة للذين يعملون السيئات**) الآية ، وروى الإمـام أحمد بإسناده عن أبي العالية في قوله تعالى (**إنما التوبة علـى الله للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون مـن قريـب)** قال هذه فـي أهـل الإيمـان (**وليست التوبـة للـذين يعملـون السيئات حتي إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبـت الآن)** قال هذه في أهل النفاق ولا الذين يموتون وهـم كفـار قـال هـذه في أهل الشرك هذا .

إلى أن قال : فلولا كـانت قريـة آمنـت فنفعهـا إيمانهـا الآيـة فـوجه الدلالة ان عقوبة الامم الخالية بمنزلة السيف للمنافقين ثـم اولئـك اذا تابوا بعد معاينة العذاب لم ينفعهـم فكـذلك المنـافق ومـن قـال هذا فرق بينه وبين الحربي بانا لانقاتله عقوبة على كفره بل نقـاتله ليسلم فاذا اسلم فقد اتى بالمقصود والمنافق إنما يقاتل عقوبــة لا ليسلم فانه لم يزل مسلما والعقوبات لا تسقط بالتوبـة بعـد مجـئ الباس وهذا كعقوبات سائر العصاة فهذه طريقة من يقتـل السـاب لكونه منافقـا ، وفيـه طريقـة أخـرى وهـي أن سـب النـبي بنفسـه موجب للقتل مع قطع النظر عن كونه مجـرد ردة فإنـا قـد بينـا أنـه موجب للقتل وبينا أنه جناية غير الكفر إذ لو كان ردة محضة وتبديلا للدين وتركا له لما جاز للنبي صلى الله عليه وسلم العفو عمن كان يؤذيه كما لا يجوز العفو عن المرتد ولضمَا قتل الـذين سـبوه ، وقـد عفا عمن قاتل وحارب .

الى أن قال : ولهذا لم نعلم خلافا يعتمد في أن السـارق أو الزانـي لو أظهر التوبة بعد ثبوت الحد عليه عند السلطان لم يسـقط الحـد عنه وقد رجم النبي ماعزا والغامدية وأخبر بحسن توبتهمـا وحسـن مصيرهما .

الى أن قال بخلاف الردة المجردة عـن المـدين فـإن سـقوط القتـل فيهـا بـالعود الـى الاسـلام لا يـوجب اجـتراء النـاس علـى الـردة اذ الانتقال عن الدين عسير لا يقع الا عن شبهة قادحـة فـي القلـب او شـهوة قامعـة للعقـل فلا يكـون قبـول التوبـة مـن المرتـد مجريـا للنفوس على الردة ويكون ما يتوقعه من خوف القتل زاجرا له عن الكفر فانه اذا اظهر ذلك لا يتم مقصوده لعلمه بانه يجبر على العود الى الاسلام وهنا من فيه استخفاف او اجتراء او سفاهة يتمكن من انتقاص النـبي وعيبـه والطعـن عليـه كلمـا شـاء ثـم يجـدد الاسـلام ويظهر التوبة وبهـذا يظهـر ان السـب والشـتم يشـبه الفسـاد فـي

الارض الذي يوجب الحد اللازم من الزنى وقطع الطريق والسـرقة وشرب الخمر فان مريد هـذه المعاصـي اذا علـم انـه تسـقط عنـه العقوبة اذا تاب فعلها كلما شاء كذلك مـن يـدعوه ضـعف عقلـه او ضعف دينه الى الانتقاص برسول الله اذا علم ان التوبـة تقبـل منـه اتى ذلك متى شاء ثم تاب منه وقد حصـل مقصـوده بمـا قـاله كمـا حصل مقصود اولئك بما فعلوه بخلاف مريد الردة فـان مقصـوده لا يحصل الا بالمقام عليهـا وذلـك لا يحصـل لـه اذا قتـل ان لـم يرجـع فيكون ذلك وازعا .

وقال فـي الصـارم المسـلول 3 /ـ 879 وفـي بعـض التفاسـير ان المحكي عنه هذه الكلمة الجلاس بن سويد اعترف بانه قالها وتـاب من ذلك من غير بينه قامت عليه فقبل رسول الله ذلـك منـه وهـذا كله دلالة واضحة على ان التوبة من مثل هذا مقبولة وهي توبة مـن لم يثبت عليه نفاق وهذا لا خلاف فيه اذا تاب فيمـا بينـه وبيـن اللـه سرا كما نافق سرا انه تقبل توبته ولو جاء مظهـرا لنفـاقه المتقـدم ولتوبته منه من غير ان تقوم عليـه بينـه بالنفـاق قبلـت تـوبته ايضـا على القول المختار كما تقبل توبة من جاء مظهرا للتوبـة مـن زنـى او سرقة لم يثبت عليه على الصحيح واولى من ذلك واما مـن ثبـت نفاقه بالبينه فليس فالاية ولا فيما ذكـر مـن سـبب نزولهـا مـا يـدل على قبول توبته بل ليس في نفس الاية ما يدل على ظهـور التوبـة بل يجوز ان يحمل على توبته فيما بينه وبيـن اللـه فـان ذلـك نـافعه وفاقا وان اقيم عليه الحد كما قال سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ...

لكن هل هناك فرق بين كونه حدا فلا بد من البينة على انه فعل كفر وبين كونه نفاقا ؟ ، ربما انه حد مثل حد القذف يجوز تركه ومثل القصاص في العمد ومثل الكافر مخير فيه الامام .

قال ابن تيمية : ويدل على جواز قتل الزنديق المنافق من غير استتابة ما خرجاه في الصحيحين في قصة حاطب بن ابي بلتعة قال فقال عمر دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) فدل على ان ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع اذ لم ينكر النبي على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ولكن اجاب بان هذا ليس بمنافق ولكنه من اهل بدر المغفور لهم فاذا ظهر النفاق الذي لاريب انه نفاق فهو مبيح للدم . ثم ذكر احاديث وقصص في ذلك تدل على مشروعية قتل المنافق اذا اظهر اهـ

قال ابن القيم في الطرق الحكمية 1/292 ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم ويتحقق ذلك ولا يحكم فيهم بعلمه اهـ .

60ـ باب ومن الأحكام أن المنافق كافر باعتبار

قال تعالى (**إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا**) وقوله تعالى عن المنـافقين (**فاليوم لا يؤخـذ منكـم فديـة ولا مـن الـذين كفـروا مـأواكم النـار هـى مـولاكم وبئس النصير**) وقـال تعـالى (**إن المنافقين فـي الـدرك الأسفل من النار**) وقال تعالى (**ولا تصل على أحـد منهـم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بـالله ورسـوله**) و قال تعالى (**قل أنفقوا طوعا أو كرهـا لـن يتقبـل منكـم إنكم كنتـم قومـا فاسـقين ومـا منعهـم أن تقبـل منهـم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصـلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون)** و قال تعالى (**ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلـوبهم فهـم لا يفقهـون**) وقـال تعـالى (**يـا أيهـا النـبى جاهـد الكفـار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قـالوا كلمـة الكفـر وكفـروا بعد إسلامهم**) .

قال في المحلى 11/204 وقال الله تعالى (**مذبذبين بين ذلـك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء**) قال أما هؤلاء فمنـافقون النفـاق الذي هـو الكفـر فلا شـك لنصـه تعـالي علـي أنهـم مـذنبون لا إلـى المؤمنين ولا إلى المجاهرين بالكفر .

61 ـ باب الا ما استثني

بقاء العصمة الزوجية ، الميراث ، الدفن في مقابر المسلمين ، التغسيل والتكفين ، يؤمر بالاوامر الشرعية ويؤمر بترك ما يخالف الشرع ... ونحوذلك .

62 ـ باب ومن الأحكام أن المنافق مسلم باعتبار

قال تعالى (**وما منعهم أن تقبل منهـم نفقـاتهم إلا أنهـم كفروا بالله وبرسوله ولا يـأتون الصـلاة إلاوهـم كسـالى ولا ينفقـون إلا وهـم كـارهون**) وقـال تعـالى (**وإذا لقـوا الذين آمنوا قالوا آمنا**) وقـال تعـالى عـن المنـافقين (**ومـن النـاس مـن يقـول آمنـا بـالله وبـاليوم الآخـر ومـا هـم بمؤمنين**) وقال تعالى (**يا أيهـا الرسـول لا يحزنـك الـذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولـم تؤمن قلوبهم**) وقال المنافقون للمـؤمنين (ألـم **نكن معكـم قالوا بلى**) .

قال ابن تيمية رحمه الله فـي الفتـاوى 7 /ـ 210 فـان المنـافقين الذين قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين هم فى الظاهر مؤمنــون يصــلون مــع النــاس ويصــومون ويحجــون ويغــزون ، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنـافقون علـى عهـد رسول الله ، ولم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم فـى المنـافقين بحكم الكفار المظهريـن للكفـر لا فـى منـاكحتهم ولا مـوارثتهم ولا نحو ذلك ، بل لما مات عبدالله بن أبى بـن سـلول وهـو مـن أشـهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبدالله وهو م ن خيـار المـؤمنين ، وكـذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون واذا مـات لأحـدهم وارث ورثـوه مـع المسـلمين ، وقـد تنـازع الفقهـاء فـى المنـافق الزنديق الذى يكتم زندقته هل يرث ويورث على قولين ، والصـحيح أنه يرث ويورث وإن علم فى الباطن أنه منافق كمـا كـان الصـحابة على عهد النبى صـلى اللـه عليـه وسـلم لأن الميـراث مبنـاه علـى الموالاة الظاهرة لا على المحبة التى فـى القلـوب ، فـإنه ل و علـق بذلك لم تمكن معرفته والحكمـة إذا كـانت خفيـة أو منتشـرة علـق الحكم بمظنتها وهو ما أظهره من موالاة المسلمين ، فقـول النـبى لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لم يدخل فيه المنــافقون وإن كانوا فى الآخرة فى الدرك الأسفل من النار بل كـانوا يورّثـون ويرثون ، وكذلك كانوا فى الحقوق والحدود كسائر المسلمين وقــد أخبر الله عنهم أنهم يصلون ويزكون ومع هذا لـم يقبـل ذلـك منهـم فقال (**وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بـالله وبرسـوله ولا يـأتون الصـلاة إلاوهـم كسـالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون)** ... الى أن قال : وفى غزوة تبـوك استنفرهم النبى كما إستنفر غيرهم فخـرج بعضـهم معـه وبعضـهم تخلفوا وكان فى الذين خرجوا معه من هم بقتله فى الطريق اهـ

63 ـ باب تجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر في الدنيا

قال ابن حجر رحمه الله : كلهم أجمعوا على أن أحكام الـدنيا علـى الظاهر والله يتولى السرائر ، الفتح 12/272 .

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش 1/35 كذلك المنافقون باظهار كلمة الايمان آمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف .

وقال ابن ابي العز رحمـه اللـه فـي شـرح الطحاويـة 1 /ـ 557 : والمنافقون يعاملون معاملة المسـلمين لإظهـارهم الإسـلام ، كمـا كـان يظهـره المنـافقون فـي حيـاة النـبي ويبطنـون الكفـر ، وهـو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم فلو أنـه ظهـر مـن أحـد

منهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد ولكن فـي قبـول توبته خلاف والصحيح عدم قبولها اهـ .
قال ابن القيم : ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاقب المنافقين على نفاقهم بل يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله .
قال ابن القيم فإن الله سبحانه أقر المنافقين وعصم أموالهم وأولادهم بالإسلام الظاهر وتولى سرائرهم فلو كان المراد ما ذكره هؤلاء لوقع مراده سبحانه : من غنيمة أموالهم وسبى أولادهم اهـ اغاثة اللهفان 1/34
قال ابن القيم في احكام اهل الذمة 1/430 وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عاد عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين اهـ .
ويعامل في الظاهر بأحكام المسلمين في باب النداء والخطاب والأمر والنهي وفي تكفينه وغسله ودفنه في مقابر المسلمين لا في الصلاة عليه والاستغفار والدعاء .

64 ـ باب إلا ما استثني

قال تعالى (**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره**) وقال تعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) .
وقال تعالى **(فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) الآيات** وقال تعالى (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلا**) .
وقال تعالى (**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وغلظ عليهم)** وقال تعالى **(فأعرض عنهم وتوكل على الله)**
وقال تعالى **(عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)** وقال تعالى **(لئن لم ينته المنافقون** ـ الى قوله ـ **لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا)**
وقال تعالى **(لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم)** وقال تعالى **(لا تقم فيه أبدا)** وقال تعالى **(ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين)** وقال تعالى **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله)**
وفي الحديث (لا تقولوا للمنافق سيدا) الحديث .

65 ـ باب جواز تحريض العلماء على قتل المنافق المظهر

قال ابن القيم في الصواعق 4/1403 قال البخاري وقال يزيد بن هارون لقد حرضت أهل بغداد على قتله جهدي (يقصد المريسي) ولقد أخبرت من كلامه بشيء وجدت وجعه في صلبي بعد ثلاث ،

وقال علي بن عبدالله : إنما كان غايته أن يدخل الناس في كفره ، .. وقال ابن ابي الاسود سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهميا بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئا ، وقال ابن مهدي : لو رايت رجلا على جسر وبيدي سيف يقول القرآن مخلوق لضربت عنقه اهـ
قال ابن القيم في الصواعق 4/1407 قال عبد الله بن داود : لو كان لي على مثنى الأنماطي سبيل لنزعت لسانه من قفاه وكان جهميا اهـ ورواه البخاري في كتابه خلق أفعال العباد .
وقال حمد بن عتيق : اذا لم يتيسر قتله

66 ـ باب حكم من أظهر النفاق الأصغر ثم حُذر وأنذر ثم أظهرتحتم قتله لإفساده

قال تعالى (**لئن لم ينته المنـافقون والـذين فـى قلـوبهم مـرض والمرجفـون فـى المدينـة لنغرينـك بهـم ثـم لا يجاورونـك فيهـا إلا قليلا ملعـونين أينمـا ثقفـوا أخـذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التى قد خلت مـن قبـل ولـن تجـد لسنة الله تبديلا**) .
والبينة حكما .

67 ـ باب عقوبة المنافق إذا أظهر

قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 / 76 وذلك لان الايمان والنفاق اصله في القلب وانما الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه فاذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه .

68 ـ باب عقوبة المنافق إذا لم يظهر

قال صلى الله عليه وسلم (ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام) .

69 ـ باب حكم المنافق إذا كان في الباطن يخفي ملة فحكمه حكم من أظهر تلك الملة

قال تعالى (**وقالت طائفة مـن أهـل الكتـاب آمنـوا بالـذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفـروا آخـره لعلهـم يرجعون**) وقال تعالى (**وإذا لقوا الـذين آمنـوا قـالوا آمنـا وإذا خلى بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم**) .
(بخلاف المنافق هوى أو دنيا من غير ملـة فهـو فـي الظـاهر حكـم المسلمين أمثال ابن سلول) .

قال ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة 4 / 1403 وقال ابن أبي الأسود سمعت ابن مهـدي يقـول ليحيـى بـن سـعيد لـو أن جهميا بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئا .
قال ابن القيم في الصواعق المرسلة 4 / 1404 قال أبو عبدالله البخاري ما أبالي أصليت خلف الجهمي أو الرافضي أم صليت خلف اليهودي والنصراني ، ولا يسلم عليهـم ولا يعـادون ولا ينـاكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم .
وقال عبدالرحمن بن مهدي همـا ملتـان الجهميـة والرافضـة ، قـال شيخ الإسلام وهذا الكلام الذي قاله الإمـام عبـدالرحمن بـن مهـدي قد قاله غيـره وهـو كلام عظيـم فـإن هـاتين الفرقـتين همـا أعظـم الفرق فسادا في الدين وأصلهما مـن الزنادقـة المنـافقين ، ليسـتا من ابتداع المتأولين مثـل قـول الخـوارج والمرجئـة والقدريـة فـإن هذه الآراء ابتدعها قوم مسـلمون بجهلهـم قصـدوا بهـا طاعـة اللـه فوقعوا في معصيته ، ولم يقصدوا بها مخالفة الرسـول ولا محـادته بخلاف الرفض والتجهم فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لمـا جاء به الرسول مبغضين له ، لكن ألتبس أمر كثير منهم علـى كـثير من المسلمين الذين ليسوا بمنافقين ولا زنادقة فدخلوا فـي أشـياء من الأقوال والأفعـال الـتي ابتـدعها الزنادقـة والمنـافقون ولبسـوا الحق بالباطل ، وفي المسلمين سماعون للمنافقين كما قـال اللـه تعالى (**وفيكم سماعون لهم**) أي قابلون مستجيبون لهم فإذا كان جيل القرآن كـان بينهـم منـافقون وفيهـم سـماعون لهـم فمـا الظن بمـن بعـدهم فلا يـزال المنـافقون فـي الأرض ولا يـزال فـي المؤمنين سماعون لهم لجهلهـم بحقيقـة أمرهـم وعـدم معرفتهـم بغور كلامهم .
وأما الرفض فإن الذي ابتدعه زنديق منافق وهـو عبـدالله بـن سـبأ الذي أظهر الإسلام وكان يبطـن الكفـر ، وقصـده فسـاد الإسـلام ، والتجهم مأخوذ في الأصل عن الصـابئين والمشـركين وهـم أعظـم من الرفض ، ولهذا تأخر دخوله في الأمة ، فهاتان الملتان يناقضـان أصلي الإسلام وهمـا شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه وشـهادة أن محمـدا رسول الله ، أمـا التجهـم فـإنه نقـض التوحيـد وإن سـمى أصـحابه أنفسهم موحدين ، ولهذا كان السلف يترجمون الرد علـى الجهميـة بالتوحيد والرد على الزنادقة والجهميـة ، كمـا ترجـم البخـاري آخـر كتاب الجامع بكتاب التوحيد والرد على الجهمية والزنادقة ، وكـذلك ابن خزيمة سمى كتابه التوحيد وهو في الرد علـى الجهميـة ، وأمـا الرافضة فقدحهم وطعنهم في الأصل الثاني وهو شهادة أن محمدا رسول الله ، وإن كانوا يظهرون موالاة أهل بيت الرسول ومحبتهـم اهـ .

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 7 / 210 وقد تنازع الفقهاء فى المنافق الزنـديق الـذى يكتـم زنـدقته هـل يـرث ويـورث علـى قولين ، والصحيح أنه يرث ويورث وإن علم فى الباطن أنـه منـافق كما كان الصـحابة علـى عهـد النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم ، لأن الميراث مبنـاه علـى المـوالاة الظـاهرة لا علـى المحبـة الـتى فـى القلوب .

واليوم كالعلماني المنافق .

70 ـ باب المبتدع إذا كان في الباطن لا يخفي ملة فما هو حكمه ؟

وقال عبدالرحمن بن مهدي همـا ملتـان الجهميـة والرافضـة ، قـال شيخ الإسلام وهذا الكلام الذي قاله الإمـام عبـدالرحمن بـن مهـدي قد قاله غيـره وهـو كلام عظيـم فـإن هـاتين الفرقـتين همـا أعظـم الفرق فسادا في الدين وأصلهما مـن الزنادقـة المنـافقين ، ليسـتا من ابتداع المتأولين مثـل قـول الخـوارج والمرجئـة والقدريـة فـإن هذه الآراء ابتدعها قوم مسـلمون بجهلهـم قصـدوا بهـا طاعـة اللـه فوقعوا في معصيته ، ولم يقصدوا بها مخالفة الرسـول ولا محـادته بخلاف الرفض والتجهم فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لمـا جاء به الرسول مبغضين له ، لكن ألتبس أمر كثير منهم علـى كـثير من المسلمين الذين ليسوا بمنافقين ولا زنادقة فدخلوا فـي أشـياء من الأقوال والأفعـال الـتي ابتـدعها الزنادقـة والمنـافقون ولبسـوا الحق بالباطل ، وفي المسلمين سماعون للمنافقين كما قـال اللـه تعالى (**وفيكم سماعون لهم**) أي قابلون مستجيبون لهم فإذا كان جيل القرآن كـان بينهـم منـافقون وفيهـم سـماعون لهـم فمـا الظن بمـن بعـدهم فلا يـزال المنـافقون فـي الأرض ولا يـزال فـي المؤمنين سماعون لهم لجهلهـم بحقيقـة أمرهـم وعـدم معرفتهـم بغور كلامهم .

وأما الرفض فإن الذي ابتدعه زنديق منافق وهـو عبـدالله بـن سـبأ الذي أظهر الإسلام وكان يبطـن الكفـر ، وقصـده فسـاد الإسـلام ، والتجهم مأخوذ في الأصل عن الصـابئين والمشـركين وهـم أعظـم من الرفض ، ولهذا تأخر دخوله في الأمة ، فهاتان الملتان يناقضـان أصلي الإسلام وهمـا شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه وشـهادة أن محمـدا رسول الله ، أمـا التجهـم فـإنه نقـض التوحيـد وإن سـمى أصـحابه أنفسهم موحدين ، ولهذا كان السلف يترجمون الرد علـى الجهميـة بالتوحيد والرد على الزنادقة والجهميـة ، كمـا ترجـم البخـاري آخـر كتاب الجامع بكتاب التوحيد والرد على الجهمية والزنادقة ، وكـذلك ابن خزيمة سمى كتابه التوحيد وهو في الرد علـى الجهميـة ، وأمـا الرافضة فقدحهم وطعنهم في الأصل الثاني وهو شهادة أن محمدا

رسول الله ، وإن كانوا يظهرون موالاة أهل بيت الرسول ومحبتهم اهـ .
قال ابن ابي العز رحمه الله في شارح الطحاوية 1 / 357 : قال في أقوال أهل البدع : ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا ، وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب وهم الذين لا يقرون بالشهادتين وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا ، والزنديق هو المنافق ، وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين ، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله (لا تلعنه فوالله ما علمت إلا إنه يحب الله ورسوله) وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون .
قال ابن القيم في احكام اهل الذمة 2/853 قال شيخنا وقد ثبت بالسنة المتواترة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجري الزنادقة المنافقين في الأحكام الظاهرة مجرى المسلمين فيرثون ويورثون وقد مات عبدالله بن أبي وغيره ممن شهد القرآن بنفاقهم ونهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه والاستغفار له وورثهم ورثتهم المؤمنون كما ورث عبدالله بن أبي ابنه ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من تركة أحد من المنافقين شيئا ولا جعل شيئا من ذلك فيئا بل أعطاه لورثتهم وهذا أمر معلوم بيقين فعلم أن الميراث مداره على النصرة الظاهرة لا

على إيمان القلوب والموالاة الباطنة والمنافقون في الظاهر ينصرون المسلمين على أعدائهم وإن كانوا من وجه آخر يفعلون خلاف ذلك فالميراث مبناه على الأمور الظاهرة لا على إيمان القلوب والموالاة الباطنة والمنافقون في الظاهر ينصرون المسلمين على أعدائهم وإن كانوا من وجه آخر يفعلون خلاف ذلك فالميراث مبناه على الأمور الظاهرة لا على ما في القلوب ....
وقال : فإذا كان المؤمن يرث المنافق لكونه مسالما له مناصرا له في الظاهر .
وقال في اعلام الموقعين 4/90 فكيف والمتأول مطيع لله مأجور إما أجرا واحدا أوأجرين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ خالدا في تأويله بني جذيمة بعد إسلامهم ولم يؤاخذ أسامة من قال لا إله إلا الله لأجل التأويل ولم يؤاخذ من أكل نهارا في الصوم عمدا لأجل التأويل ولم يؤاخذ اصحابه حين قتلوا من سلّم عليهم وأخذوا غنيمته لاجل التاويل ولم يؤاخذ المستحاضة بتركها الصوم والصلاه لاجل التأويل ولم يؤاخذ عمر رضى الله عنه حين ترك الصلاة لما اجنب في السفر ولم يجد ماء ولم يؤاخذ من تمعك في التراب كتمعك الدابة وصلى لأجل التأويل وهذا اكثر من ان يستقصى واجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل مال أودم اصيب بتاويل القران فهو هدر في قتالهم في الفتنه قال الزهري وقعت الفتنة واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم متوافرون فأجمعوا على ان كل مال أودم اصيب بتأويل القرآن فهو هدر انزلوهم منزلة الجاهلية ولم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين رمى حاطب بن ابي بلتعة المؤمن البدري بالنفاق لاجل التأويل ولم يؤاخذ أسيد بن حضير بقوله لسعد سيد الخزرج إنك منافق تجادل عن المنافقين لاجل التأويل ولم يؤاخذ من قال عن مالك بن الدخشم ذلك المنافق نرى وجهه وحديثه الى المنافقين لاجل التأويل ولم يؤاخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ضرب صدر ابي هريرة حتى وقع على الارض وقد ذهب للتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره فمنعه عمر وضربه وقال ارجع وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله ولم يؤاخذه لأجل التأويل .

71 ـ باب حكم ولي الأمر إذا كان منافقا فكيف اذا كان مرتدا ؟

وعن البخاري (إذا أسند الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة) .

قال الفريابي في كتابه صفة المنافق حدثنا صفوان بن صالح حدثنا ضمرة حدثنا ابن شوذب عن الحسن قال لا تقوم الساعة حتى يسود كل قوم منافقوها .

72 ـ باب حكم من لم يصرح بتكفير المنافق علنا أو في مواجهته مع أنه يعتقد بغضه ومعاداته وكفره

قال تعالى (**فمالكم في المنافقين فئتين**) .
والإجماع المنعقد على معاملة المنافق حسب الظاهر .
قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب : أما استدلالك بترك النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم فقد عرفه الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يظهرون كملة واحدة أو فعلا واحدا من عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يقتلون أشر قتله اهـ . مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب 1 / 218 .
وقال أيضا : فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين الرسول صلى الله عليه وسلم وتبرؤا من الشرك بالقول والفعل ولم يبق إلا أشياء خفيه تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان في السر وقد تابوا من دينهم الأول وقتلوا الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة فقل لي . مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب 1 / 218 .

73 ـ باب ومن الأحكام قتال المبتدعة

فتاوى ابن تيمية 28/469 وسئل شيخ الإسلام تقي الدين عمن يزعمون إنهم يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعتقدون أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو على بن أبى طالب وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على إمامته وإن الصحابة ظلموه ومنعوه حقه وإنهم كفروا بذلك فهل يجب قتالهم ويكفرون بهذا الاعتقاد أم لا ؟
فأجاب الحمد لله رب العالمين أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله فلو قالوا نصلى ولا نزكى أو نصلى الخمس ولا نصلى الجمعة ولا الجماعة أو نقوم بمباني الإسلام الخمس ولا نحرم دماء المسلمين وأموالهم أو لا نترك الربا ولا الخمر ولا الميسر أو نتبع القرآن ولا نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نعمل بالأحاديث الثابتة عنه أو نعتقد أن اليهود والنصارى خير من جمهور المسلمين وأن أهل القبلة قد كفروا بالله ورسوله ولم يبق منهم مؤمن إلا طائفة قليلة أو قالو إنا لا

نجاهد الكفار مع المسلمين أو غير ذلك من الأمور المخالفة لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وما عليه جماعة المسلمين فإنه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها كما جاهد المسلمون ما نعى الزكاة وجاهدوا الخوارج وأصنافهم وجاهدوا الخرمية والقرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الأهواء والبدع الخارجين عن شريعة الإسلام .
وذلك لأن الله تعالى يقول فى كتابه (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب قتالهم حتي يكون الدين كله لله وقال تعالى (**فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**) فلم يأمر بتخلية سبيلهم الا بعد التوبة من جميع انواع الكفر وبعد اقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى (**ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**) فقد اخبر تعالى ان الطائفة الممتنعة اذا لم تنته عن الربا فقد حاربت الله ورسوله والربا آخر ما حرم الله فى القرآن فما حرمه قبله اوكد وقال تعالى (**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا اوتقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض)** .
وأنه حرق غالية الرافضة الذين إعتقدوا فى الإلهية وروى عنه بأسانيد جيدة أنه قال لا أوتى بأحد يفضلنى على ابى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى وعنه أنه طلب عبد الله بن سبأ لما بلغه أنه سب أبا بكر وعمر ليقتله فهرب منه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر برجل فضله على أبى بكر أن يجلد لذلك وقال عمر رضى الله عنه لصبيغ بن عسل لما ظن أنه من الخوارج لو وجدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك فهذه سنة أمير المؤمنين على وغيره قد أمر بعقوبة الشيعة الأصناف الثلاثة وأخفهم المفضلة فأمر هو وعمر بجلدهم والغالية يقتلون بإتفاق المسلمين وهم الذين يعتقدون الإلهية والنبوة فى على وغيره مثل النصيرية والإسماعيلية الذين يقال لهم بيت صاد وبيت سين ومن دخل فيهم من المعطلة الذين ينكرون وجود الصانع أو ينكرون القيامة أو ينكرون ظواهر الشريعة مثل الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت الحرام ويتأولون ذلك على معرفة أسرارهم وكتمان أسرارهم وزيارة شيوخهم ويرون أن الخمر حلال لهم ونكاح ذوات المحارم حلال لهم فإن جميع هؤلاء الكفار اكفر من اليهود والنصارى اهـ .

8 ـ كتاب جهاد المنافق

74 ـ تمهيد

قال تعالى (**ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) .**

وقال ابن تيمية في الفتاوى 28 / 231 ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة او العبادات المخالفة للكتاب والسنة فان بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لاحمد بن حنبل الرجل يصوم ويصلى ويعتكف أحب اليك أو يتكلم فى أهل البدع فقال اذا قام وصلى واعتكف فانما هو لنفسه واذا تكلم فى أهل البدع فانما هو للمسلمين هذا أفضل فبين أن نفع هذا عام للمسلمين فى دينهم من جنس الجهاد فى سبيل الله اذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغى هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب فان هؤلاء اذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين الا تبعا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء .. الى ان قال : ولهذا أول ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد ...

الى ان قال : وأعداء الدين نوعان الكفار والمنافقون وقد أمرالله نبيه بجهاد الطائفتين فى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فى آيتين من القرآن فاذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة الى بدع المنافقين كما قال تعالى (**لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم**) فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فان فيهم ايمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وانها خير وانها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية يغلط فى الرأى والفتيا ومن يغلط فى الزهد والعبادة وان كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده فبيان القول والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة

واجب وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز ان يذكر على وجه الذم والتاثيم له فان الله غفر له خطأه بل يجب لما فيه من الايمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك وان علم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله مثل عبد الله بن أبى وذويه وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضه عبد الله بن سبأ وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكر بالنفاق وان اعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقا أو مؤمنا مخطئا ذكر بما يعلم منه فلا يحل للرجل ان يقفو ما ليس له به علم ولا يحل له ان يتكلم فى هذا الباب الا قاصدا بذلك وجه الله تعالى وان تكون كلمة الله هى العليا وان يكون الدين كله لله فمن تكلم فى ذلك بغير علم او بما يعلم خلافه كان آثما ، وكذلك القاضى والشاهد والمفتى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل علم الحق فقضى بخلاف ذلك فهو فى النار وقد قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهدى ان تعدلوا وان تالووا وتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا)** و اللى هو الكذب و الاعراض كتمان الحق ومثله ما فى الصحيحين عن النبى انه قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما ثم القائل فى ذلك بعلم لابد له من حسن النية فلو تكلم بحق لقصد العلو فى الارض او الفساد كان بمنزلة الذى يقاتل حمية ورياء ان تكلم لأجل الله تعالى مخلصا له الدين كان من المجاهدين فى سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل وليس هذا الباب مخالفا لقوله الغيبة ذكرك اخاك بما يكره فان الأخ هو المؤمن والأخ المؤمن إن كان صادقا فى ايمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذى يحبه الله ورسوله وان كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه بل عليه أن يقوم بالقسط ويكون شاهدا لله ولو على نفسه او والديه او اقربيه ومتى كره هذا الحق كان ناقصا فى ايمانه ينقص من اخوته بقدر ما نقص من ايمانه فلم يعتبر كراهته من الجهه التى نقص منها ايمانه اذ كراهته لما لا يحبه الله ورسوله توجب تقديم محبة الله ورسوله كما قال تعالى **(والله ورسوله احق ان يرضوه)** ثم قد يقال هذا لم يدخل فى حديث الغيبة لفظا ومعنى وقد يقال دخل فى ذلك الذين خص منه كما يخص

العموم اللفظى والعموم المعنوى وسواء زال الحكم لزوال سببه او لوجود ما نعه فالحكم واحد والنزاع فى ذلك يؤول الى اللفظ اذ العلة قد يعنى بها التامة وقد يعنى بها المقتصية والله اعلم واحكم وصلى على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ

75 ـ باب كيفية جهاد المنافقين

قال تعالى (**ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)** وقوله تعالى في المنافقين **(فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا**) **.** وقال تعالى **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله)** قال تعالى (**ولا تصلي على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره**) وقال تعالى (**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم لن يغفر الله لهم**) .
وقال تعالى **(فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) الآيات** وقال تعالى (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلا**) .
وقال تعالى **(فأعرض عنهم وتوكل على الله)** وقال تعالى **(عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)** وقال تعالى **(لئن لم ينته المنافقون** ـ الى قوله ـ **لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا)**
وقال تعالى **(لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم)** وقال تعالى **(لا تقم فيه أبدا)** وقال تعالى **(ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين)**
وفي الحديث (لا تقولوا للمنافق سيدا) الحديث .
وفي الحديث : فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق اهـ
قال في التيسير في شرح كتاب التوحيد 1 / 558 فيه المبادرة في الإنكار والشدة على المنافقين وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا قال أو فعل ما يدل عليه .
قال ابن القيم في الهدي 2/81 : أن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في جهاد المنافقين بالحجة واللسان ، وأمره أن يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم وأن يبلغ القول البليغ الى نفوسهم ونهى عن أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم فهذه سيرته مع المنافقين اهـ

قال ابن القيم في الزاد 3/11 وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان .
قال ابن تيمية في الفتاوى 7 / 620 : فإن قيل فالله قد أمر بجهاد الكفار والمنافقين فى آيتين من القرآن فإذا كان المنافق تجري عليه أحكام الإسلام فى الظاهر فكيف يمكن مجاهدته ؟ قيل ما يستقر فى القلب من إيمان ونفاق لابد أن يظهر موجبه فى القول والعمل كما قال بعض السلف : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، وقد قال تعالى فى حق المنافقين (**ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفهم فى لحن القول**) فإذا أظهر المنافق من ترك الواجبات وفعل المحرمات ما يستحق عليه العقوبة عوقب على الظاهر ، ولا يعاقب على ما يعلم من باطنه بلا حجة ظاهرة ، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم من المنافقين من عرفه الله بهم وكانوا يحلفون له وهم كاذبون ، وكان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله ، واساس النفاق الذي بنى عليه وأن المنافق لابد أن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق قال تعالى ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وأمثال هذا كثير .
وقال شارح قصيدة ابن القيم 1 / 26 والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد انذارا وتعذيرا فقال تعالى (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**) وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير فقال تعالى(**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)** فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق و من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق اهـ .
وفي شرح كتاب التوحيد ج: 1 ص: 496
وقـوله تعـالى (**فـأعرض عنهـم وعظهـم وقـل لهـم فـي أنفسهم قولا بليغا**) قال ابن القيم : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيهم بثلاثة أشياء :
أحـدهما الإعـراض عنهـم إهانـة لهـم وتحقيـرا لشـأنهم وتصـغيرا لأمرهم لا إعراض متاركة وإهمال وبهذا يعلم أنها غير منسوخة .

الثاني قوله (وعظهم) وهو تخويفهم عقوبة الله وبأسه ونقمته إن أصروا على التحاكم الى غير رسوله صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه .
الثالث قوله (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) أي يبلغ تأثيره إلى قلوبهم ليس قولا لينا لا يتأثر به المقول له وهذه المادة تدل على بلوغ المراد بالقول فهو قول يبلغ به مراد قائله من الزجر والتخويف ويبلغ تأثيره إلى نفس المقول له ليس هو كالقول الذي يمر على الأذن صفحا وهذا القول البليغ يتضمن ثلاثة أمور :
أحدها عظم معناه وتأثير النفوس به .
الثاني فخامة الفاظه وجزالتها .
الثالث كيفية القائل في إلقائه إلى المخاطب فإن القول كالسهم والقلب كالقوس الذي يدفعه وكالسيف والقلب كالساعد الذي يضرب به وفي متعلق قوله (في أنفسهم) قولان :
أحدهما بقوله بليغا أي قولا بليغا في أنفسهم وهذا حسن من جهة المعنى ضعيف من جهة الإعراب لأن صفة الموصوف لا تعمل فيما قبلها .
والقول الثاني أنه متعلق بقل وفي المعنى على هذا قولان :
أحدهما قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم بل مسرا لهم النصيحة والثاني أن معناه قل لهم في معنى أنفسهم كما يقال قل لفلان في كيت وكيت أي في ذلك المعنى قلت وهذا القول أحسن اهـ.
وقال العدني في كتابه الإيمان : والجهاد على أربع شعب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشنان الفاسقين والصدق في المواطن فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن غضب لله غضب الله عز وجل له .
قال ابن حزم في المحلى 11 / 218 قال تعالى (**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**) أما من يعلم أنه منافق وكافر فإنه عليه السلام يجاهده بعينه بلسانه والإغلاظ عليه حتى يتوب ، ومن لم يعلمه بعينه جاهده جملة بالصفة وذم النفاق والدعاء إلى التوبة .
قال ابن حزم في قال تعالى **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم)** ليس دع على اطلاقه فلا يدخل ترك القتال والدعوة الى الاسلام وجهاد المنافقين يختلف نوعه بحسب القوة والضعف فكان في أول الإسلام الدفع بكل مشروع سوى القتل)
قال ابن القيم : الزاد 3/6 ـ وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام قال تعالى **(يا أيها النبي**

جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومـأواهم جهنـم وبئس المصير) فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفـار ، وهـو جهاد خواص الأمة وورثة الرسـل والقـائمون بـه أفـراد فـي العـالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددا فهـم الأعظمون عند الله قدرا ، ولما كان من أفضل الجهـاد قـول الحـق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند مـن تخـاف سـطوته وأذاه كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الأوفر وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك أكمل الجهاد وأتمه اهـ
قال ابن تيمية في الصارم المسلول 2 / 441 واذا كان من شريعته ان يتألف الناس على الاسلام بالاموال العظيمة ليقوم دين الله وتعلو كلمته فلان يتألفهم بالعفو اولى واحرى فلما انزل الله براءة ونهاه عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم وامره ان يجاهد الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم نسخ جميع ما كان المنافقون يعاملون به من العفو كما نسخ ما كان الكفار يعاملون به من الكف عمن سالم ولم يبقى الا اقامة الحدود واعلاء كلمة الله في حق الانسان .
قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 659 ...ولان المنافق اذا كان جهاده باقامة الحد عليه كجهاد الذي في قلبه مرض وهو الزاني اذا زنى لم يسقط عنه حده اذا اظهر التوبة بعد اخذه لاقامة الحد عليه كما عرفت ولانه لو قبلت علانيتهم دائما مع ثبوت ضدها عنهم لم يكن الى الجهاد على النفاق سبيل اهـ المقصود

76 ـ باب في عقوباته

قال تعالى (**لئن لم ينته المنـافقون والـذين فـى قلـوبهم مـرض والمرجفـون فـى المدينـة لنغرينـك بهـم ثـم لا يجاورونـك فيهـا إلا قليلا ملعـونين أينمـا ثقفـوا أخـذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التى قد خلت مـن قبـل ولـن تجـد لسنة الله تبديلا**) .
قال ابن تيمية في الفتـاوى 13 / 21 وبهـذا يجيـب مـن لـم يقتـل الزنادقـة ويقـول إذا أخفـوا زنـدقتهم لـم يمكـن قتلهـم ، ولكـن إذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله (**ملعونين أينما ثقفـوا أخـذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجـد لسنة اللـه تبـديلا)** قـال قتـادة : ذكـر لنـا أن المنـافقين كـانوا يظهرون ما فى أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهـذه الآيـة فلمـا أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتمـوه (**سنة اللـه فـى الـذين خلوا من قبل**) يقول هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق .
وقال فـي الصـارم المسـلول 3 / 879 وفـي بعـض التفاسـير ان المحكي عنه هذه الكلمة الجلاس بن سويد اعترف بانه قالها وتـاب

من ذلك من غير بينه قامت عليه فقبل رسول الله ذلـك منـه وهـذا كله دلالة واضحة على ان التوبة من مثل هذا مقبولة وهي توبة مـن لم يثبت عليه نفاق وهذا لا خلاف فيه اذا تاب فيمـا بينـه وبيـن اللـه سرا كما نافق سرا انه تقبل توبته ولو جاء مظهـرا لنفـاقه المتقـدم ولتوبته منه من غير ان تقوم عليـه بينـه بالنفـاق قبلـت تـوبته ايضـا على القول المختار كما تقبل توبة من جاء مظهرا للتوبـة مـن زنـى او سرقة لم يثبت عليه على الصحيح واولى من ذلك واما مـن ثبـت نفاقه بالبينه فليس فالاية ولا فيما ذكـر مـن سـبب نزولهـا مـا يـدل على قبول توبته بل ليس في نفس الاية ما يدل على ظهـور التوبـة بل يجوز ان يحمل على توبته فيما بينه وبيـن اللـه فـان ذلـك نـافعه وفاقا وان اقيم عليه الحد كما قال سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ...

77 ـ باب العقوبات الشرعية والقدرية

قال تعالى (**فأعقبهم نفاقا في قلوبهم**) وقال تعالى (**فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)**

قال تعالى (**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوآءهم)** .وفيها (**رايت الذين في قلوبهم مرض** ، الآية)

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت هذه الريح لموت منافق فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات (قلت اظنه عقوبة مات بها) رواه مسلم

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية 5 /ـ 236 : لكن بكل حـال المسلمون المظهرون للإسلام قسـمان : إمـا مـؤمن وإمـا منـافق فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والإستغفار له ، ومن لـم يعلـم ذلك منه صلى عليه ، وإذا علم شخص نفاق شخص لـم يصـل هـو عليه وصلى عليه من لم يعلم نفاقه ، وكان عمر رضـي اللـه عنـه لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة لأنه كان فـي غـزوة تبـوك قـد عرف المنافقين الذين عزموا على الفتك برسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم .

قال ابن حزم في الفصل في الملل 3 /ـ 131 هل يلعن من عمـل النفاق الاصغر ؟ وأما الدعاء باللعنة والرحمة معا فلسـنا ننكـره بـل هو معنى صحيح وما جاء عن الله تعـالى قـط ولا عـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم نهى أن يلعن العاصي على معصـيته ويـترحم

عليه لإحسانه ولو أن أمرأ زنى أو سـرق وحـال الحـول علـى مـاله وجاهد لوجب أن يحد للزنا والسرقة ولو لعن لأحسن لاعنه ويعطي نصيبه من المغنم ونقبض زكاة ماله ونصلي عليه **اهـ**
قال ابن القيم في اعلام الموقعين 2/181 فإنه أخفى عن الناس ما أظهر لله خلافه فأظهر الله من عيوبه للناس ما أخفاه عنهـم جـزءا له من جنس عمله .

78 ـ باب هل للنفاق حد أم عقوبة ؟

وفي الحديث (من بدل دينه فقتلوه) رواه البخاري .
وقال ابن تيمية في الصارم المسلول وقال تعالى **(لئن لـم ينتـه المنافقون والذين في قلوبهم مـرض والمرجفـون فـي المدينـة لنغرينـك بهـم ثـم لا يجاورنـك فيهـا الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا)** الآيـة فعلـم أنهـم كـانوا يفعلـون أشياء إذ ذاك إن لم ينتهوا عنها قتلوا عليها في المسـتقبل لمـا أعـز الله دينه ونصر رسوله فحيث مـا كـان للمنـافق ظهـور يخـاف مـن أقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآيـة (**دع أذاهم**) كمـا أنه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنـا بآيـة الكـف عنهـم والصـفح وحيث ما حصل القوة والعز خوطبنا بقوله جاهد الكفار والمنـافقين فهذا يبين ان الامساك عن قتل من اظهر نفـاقه بكتـاب اللـه علـى عهد رسول الله اذ لا نسخ بعده ولم ندع أن الحكم تغير بعده لتغيـر المصلحة من غير وحي نزل فإن هذا تصرف في الشـريعة وتحويـل لها بالرأي ودعوى أن الحكم المطلق كان لمعنى وقد زال وهو غيـر جائز.... الخ .
قال ابن تيمية في الصارم المسلول 3 / 691: والمنافق إنما يقاتل عقوبة لا ليسلم فانه لم يزل مسـلما والعقوبـات لا تسـقط بالتوبـة بعد مجئ الباس وهذا كعقوبـات سـائر العصـاة فهـذه طريقـة مـن يقتل الساب لكونه منافقا وفيه طريقة اخرى وهي ان سب النـبي بنفسه موجب للقتل مع قطع النظر عن ككونه مجـرد ردة فانـا قـد بينا انه مـوجب للقتـل وبينـا انـه جنايـة غيـر الكفـر اذا لـو كـان ردة محضة وتبديلا للدين وتركا له لما جاز اهـ

79 ـ باب علة ترك قتل للنفاق
وهل هو علة في غيره من الحدود والعقوبات ؟

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية 6 / 269 وقد عرف نفاق جماعة من الأوس والخزرج كعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله ، ومع هذا كان المؤمنون يتعصبون لهم أحيانا كما تعصب سعد بن عبادة لابن أبي بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لسعد بن معاذ والله لا تقتله ولا تقدر على قتله وهذا وإن كان ذنبا

من سعد لم يخرجه ذلك عن الإيمان بل سعد من أهل الجنة ومن السابقين الأولين من الأنصار .

القسم السياسي

9 ـ كتاب دول الزنادقة والمنافقين

80 ـ أثر البدع والإلحاد على الدول

فتاوى ابن تيمية 13/177 وقد قيل أن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسرى وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم إني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين م ا فعله كالحسن البصرى وغيره وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدى آخر خلفاء بنى أمية وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة فانه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم .

ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون إنكار الصانع إنكار عبادته وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض فكان خيارهم وأقربهم الى الإسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والإلحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بنى حمدان الغالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بنى بويه في المشرق وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم ، قال : وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمى حينئذ بأمير المؤمنين الأموي الذي كان بالأندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول لا يكون للمسلمين خليفتان فلما ولى المقتدر قال هذا صبى لا تصح ولايته فسمى بهذا الاسم .

وكان بنوا عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم بخلاف الأموي والعباسى فان كلاهما نسبه صحيح وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء فخرجت الروم النصارى الى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس فى أواخر المائة الرابعة وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة الى أن تولى نور الدين

الشهيد وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهـاد لأعـدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنوا عبيد على النصارى فانجدهم وجـرت فصول كثيرة الى أن أخذت مصر من بنى عبيد أخذها صـلاح الـدين يوسف بن سادى وخطب بها لبنى العباس فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنـافقين المرتـدين عـن ديـن الإسـلام مائة سنة فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة مـا جـاء بـه سـبب لشـر الدنيا والآخرة .

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبـدع سـلط عليهـم الكفـار ولمـا أقـاموا مـا أقـاموه مـن الإسـلام وقهـر الملحـدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله (**ياأيها الـذين آمنـوا هـل أدلكـم علـى تجـارة تنجيكـم مـن عـذاب أليـم تؤمنــون بــالله ورســوله وتجاهــدون فــي ســبيل اللــه بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون يغفـر لكـم ذنـوبكم ويـدخلكم جنـات تجـرى مـن تحتهـا الأنهـار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونهـا نصـر مـن اللـه وفتـح قريـب وبشـر المـؤمنين**) وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الـترك والهنـد والصـين وغيرهـم فلمـا ظهـر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهـم الكفـار قـال تعالى (**وقضينا الى بنى إسـرائيل فـي الكتـاب لتفسـدن فـى الأرض مرتيـن ولتعلـن علـوا كـبيرا فـإذا جـاء وعـد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بـأس شـديد فجاسـوا خلال الـديار وكـان وعـدا مفعـولا ثـم رددنـا لكـم الكـرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيـرا ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجـوهكم وليـدخلوا المسـجد كمـا دخلـوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكــم وان عدتم عـدنا وجعلنـا جهنـم للكـافرين حصـيرا)** وكـان بعض المشايخ يقول هولاكو ملك الـترك التتـار الـذى قهـر الخليفـة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهـم ألـف ألـف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كـان بعـض الشـيوخ يقـول هـو للمسلمين بمنزلـة بخـت نصـر لبنـى اسـرائيل وكـان مـن أسـباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الالحاد والنفاق والبدع حـتى أنـه صنف الرازى كتابا فـى عبـادة الكـواكب والأصـنام وعمـل السـحر سماه السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم ويقال أنه صنفه لام السلطان علاء الدين محمد بن لكـش بـن جلال الـدين خـوارزم

شاه وكان من أعظم ملوك الأرض وكان للـرازى بـه اتصـال قـوى حتى انه وصـى اليـه علـى أولاده وصـنف لـه كتابـا سـماه الرسـالة العلائية فى الاختيارات السـماوية وهـذه الاختيـارات لأهـل الضـلال بدل الاستخارة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم المسـلمين كما قال جابر فى الحديث الصحيح الذي رواه البخارى وغيره .

81 ـ باب الظهور الفكري لأهل البدع والإلحاد يسبق ظهور دولهم

الى ان قال ابن تيمية في الفتاوى 28/483 ... والبـدع بالضـد كـل ما بعد عنه كان شرا مما قرب منه وأقربها من زمنـه (خلافـة أميـر المؤمنين على رضى الله عنه) الخوارج فإن التكلم ببـدعتهم ظهـر فى زمانه ولكن لم يجتمعوا وتصـير لهـم قـوة إلا فـى خلافـة أميـر المؤمنين على رضـى اللـه عنـه ثـم ظهـر فـى زمـن علـى التكلـم بالرفض لكن لم يجتمعوا ويصير لهـم قـوة إلا بعـد مقتـل الحسـين رضى الله عنه بل لم يظهر إسـم الرفـض إلا حيـن خـروج زيـد بـن على بن الحسين بعد المائة الأولى لما أظهر الترحم على أبى بكـر وعمر رضى الله عنهما رفضته الرافضة فسـموا رافضـة وإعتقـدوا أن أبا جعفر هوالإمام المعصوم واتبعه آخرون فسموا زيديـة نسـبة إليه ثم فى أواخر عصر الصحابة نبغ التكلم ببدعة القدرية والمرجئة فردها بقايا الصحابة كإبن عمر وإبن عباس وجابر بن عبد الله وأبى سعيد وواثلة بن الأسقع وغيرهم ولـم يصـر لهـم سـلطان وإجتمـاع حتى كـثرت المعتزلـة و المرجئـة بعـد ذلـك ثـم فـى أواخـر عصـر التابعين ظهر التكلم ببدعة الجهمية نفـاة الصـفات ولـم يكـن لهـم إجتمـاع وسـلطان إلا بعـد المائـة الثانيـة فـى إمـارة أبـى العبـاس الملقب بالمأمون فإنه أظهر التجهم وإمتحن النـاس عليـه وعـرب كتب .

الى ان قال في الفتـاوى ابـن تيميـة 28/490 الأعـاجم مـن الـروم واليونـانيين وغيرهـم وفـى زمنـه ظهـرت الخرميـة وهـم زنادقـة منـافقون يظهـرون الإسـلام وتفرعـوا بعـد ذلـك إلـى القرامطـة والباطنية والإسماعيلية وأكثر هؤلاء ينتحلـون الرفـض فـي الظـاهر وصارت الرافضة الإمامية في زمـن بنـى بـويه بعـد المائـة الثالثـة فيهم عامة هـذه الأهـواء المضـلة فيهـم الخـروج والرفـض والقـدر والتجهم وإذا تأمل العالم ما ناقضوه مـن نصـوص الكتـاب والسـنة لم يجد أحدا يحصيه إلا الله فهذا كله يبين أن فيهم ما فى الخـوارج الحرورية وزيادات وأيضـا فـإن الخـوارج الحروريـة كـانوا ينتحلـون إتباع القرآن بآرائهم ويدعون إتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن والرافضة تنتحل إتباع أهل البيت وتزعم أن فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطئ لا عمدا ولا سـهوا ولا

رشدا وإتباع القرآن واجب على الأمة بل هـو أصـل الإيمـان وهـدى الله الذي بعث به رسوله ل وكذلك أهل بيت رسول الله صلى اللـه عليه وسلم تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهـم وهـذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فـروى مسـلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم قـال خطبنـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة فقال (يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين وفى رواية أحدهما أعظم من الآخـر كتـاب الله فيه الهدى .

82 ـ باب القرامطة

قال ابـن تيميـة فـي الفتـاوى 17 / 447 لمـا تكلـم عـن الجهميـة المحضة ثم قال : وشر منه نفاة الأسماء و الصفات وهم الملاحـدة من الفلاسـفة والقرامطـة ، ولهـذا كـان هـؤلاء عنـد الأئمـة قاطبـة ملاحدة منافقين ، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو أعظم من كفـر اليهود و النصارى ، وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من الثنـتين و سـبعين فرقة وإذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منـافقين كالمنـافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليـه و سـلم ، وأولئـك كانوا أقرب الى الإسـلام مـن هـؤلاء فـإنهم كـانوا يلـتزمون شـرائع الإسلام الظاهرة ، وهؤلاء قد يقولون برفعها فلا صوم ولا صـلاة ولا حج ولا زكاة لكن قد يقال إن أولئك كانوا قـد قـامت عليهـم الحجـة بالرسالة أكثر من هؤلاء اهـ المقصود

قـال ابـن تيميـة فـي الفتـاوى : وامـا هـؤلاء القرامطـه فـانهم فـى الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل يخفون ذلـك ويكتمـونه عـن غير من يثقون به لا يظهرونه كما يظهر اهل الكتاب دينهم لأنهم لـو اظهروه لنفر عنهم جماهير اهل الأرض من المسلمين وغيرهم ...

الى ان قال : فهؤلاء القرامطة هم فى الباطن والحقيقة أكفـر مـن اليهود والنصارى وأمـا فـى الظـاهر فيـدعون الاسـلام بـل وإيصـال النسب الى العترة النبويه وعلم الباطن الـذى لا يوجـد عنـد الأنبيـاء والأولياء وان امامهم معصوم فهم فى الظـاهر مـن أعظـم النـاس دعوى بحقـائق الايمـان وفـى البـاطن مـن أكفـر النـاس بـالرحمن بمنزلة من ادعى النبوة من الكذابين ...

الى ان قال : فكيف بالقرامطه الذين يكذبون على الله اعظم ممـا فعـل مسـيلمة وألحـدوا فـى أسـماء اللـه وآيـاته أعظـم مم ا فعـل مسيلمة وحاربوا الله ورسـوله أعظـم ممـا فعـل مسـيلمة وبسـط حالهم يطول لكن هذه الأوراق لا تسع اكـثر مـن هـذا ، وهـذا الـذى ذكرته حال أئمتهم وقادتهم العالمين بحقيقة قولهم ولا ريب انه قـد انضم اليهم من الشيعة والرافضة من لا يكـون فـى البـاطن عالمـا بحقيقة باطنهم ولا موافقا لهم على ذلك فيكون من أتبـاع الزنادقـة

المرتدين الموالى لهـم الناصـر لهـم بمنزلـة اتبـاع الاتحاديـة الـذين يوالونهم ويعظمونهم وينصـرونهم ولا يعرفـون حقيقـة قـولهم فـى وحـدة الوجـود وأن الخـالق هـو المخلـوق فمـن كـان مسـلما فـى الباطن وهـو جاهـل معظـم لقـول ابـن عربـى وابـن سـبعين وابـن الفارض وأمثالهم من أهل الاتحاد فهو منهم وكذا مـن كـان معظمـا للقائلين بمذهب الحلول والاتحـاد فـان نسـبة هـؤلاء الـى الجهميـة كنسبة أولئك الى الرافضـة والجهميـة ولكـن القرامطـة أكفـر مـن الاتحادية بكثير ولهذا كان أحسـن حـال عـوامهم أن يكونـوا رافضـة جهمية واما الاتحادية ففى عوامهم مـن ليـس برافضـى ولا جهمـى صــريح ولكــن لا يفهــم كلامهــم ويعتقــد ان كلامهــم كلام الأوليــاء المحققين وبسط هذا الجواب له مواضع غيـر هـذا واللـه اعلـم اهـ مختصرا .

83 ـ باب العبيديين

قال ابن تيمية في الفتاوى 13 / 178 وكان بنوا عبيـدالله القـداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم ، لكن هؤلاء كانوا فى الباطن ملاحـدة زنادقة منافقين ، وكان نسبهم باطلا كدينهم اهـ .

وقال في الفتاوى 35 / 127 في ذرية عبد الله بن ميمون القداح وما فيهم من النفاق والكذب والضلال ، وقال فيمـن احسـن الظـن بهم جهلا : ومن المعلوم الذي لا ريب فيه أن من شهد لهم بالايمان والتقوى او بصحة النسب فقد شهد لهم بما لا يعلـم وقـد قـال اللـه تعالى (**ولا تقف ما ليس لك به علم**) وقـال تعـالى (**الا مـن شهد بالحق وهـو يعلمـون)** وقـال عـن أخـوة يوسـف (**ومـا شهدنا إلا بما علمنا**) وليس أحد من الناس يعلم صـحة نسـبهم ولا ثبوت ايمانهم وتقواهم فإن غاية ما يزعمه انهـم كـانوا يظهـرون الإسلام والتزام شرائعه وليس كل من أظهر الإسـلام يكـون مؤمنـا فى الباطن اذ قد عرف فى المظهرين للإسـلام المـؤمن والمنـافق قال الله تعالى (**ومن الناس من يقول آمنـا بـالله وبـاليوم الآخر وما هم بمؤمنين**) ، ... الى ان قال : وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الامة وائمتها وجماهيرها انهم كانوا منـافقين زنادقـة يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر فاذا قدر ان بعض النـاس خـالفهم فى ذلك صار فى ايمانهم نزاع مشهور فالشاهد لهم بالايمان شاهد لهم بما لا يعلمه اذ ليس معه شىء يدل على ايمـانهم مثـل مـا مـع منازعيه ما يدل على نفاقهم وزندقتهم وكذلك النسـب قـد علـم أن جمهور الامة تطعن فى نسبهم ويذكرون انهم من اولاد المجوس او اليهـود هـذا مشـهور مـن شـهادة علمـاء الطوائـف مـن الحنيفيـة والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهـل الكلام وعلمـاء النسب والعامة وغيرهم وهذا أمر قد ذكره عامة المصـنفين لاخبـار

الناس وايامهم حتى بعض من قد يتوقف فى امرهم كإبن الاثير الموصلى فى تاريخه ونحوه فانه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم فى القدح فى نسبهم وأما جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين حتى القاضي ابن خلكان فى تاريخه فانهم ذكروا بطلان نسبهم وكذلك ابن الجوزى وابو شامة وغيرهما من أهل العلم بذلك حتى صنف العلماء فى كشف اسرارهم وهتك استارهم كما صنف القاضي ابو بكر الباقلانى كتابه المشهور فى كشف أسرارهم وهتك استارهم وذكر انهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم ما بين فيه ان مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارى بل ومن مذاهب الغالية الذين يدعون الاهية علي او نبوته فهم أكفر من هؤلاء وكذلك ذكر القاضي ابو يعلى فى كتابه المعتمد فصلا طويلا فى شرح زندقتهم وكفرهم وكذلك ذكر ابو حامد الغزالى فى كتابه الذى سماه فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية قال ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ، وكذلك القاضى عبد الجبار بن أحمد وامثاله من المعتزلة المتشيعة الذين لا يفضلون على علي غيره ....

الى ان قال : وهؤلاء بنو عبيد القداح ما زالت علماء الامة المأمونون علما ودينا يقدحون فى نسبهم ودينهم لا يذمونهم بالرفض والتشيع فان لهم فى هذا شركاء كثيرين بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية الذين منهم الاسماعلية والنصيرية ومن جنسهم الخرمية المحمرة وامثالهم من الكفار المنافقون الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ولا ريب ان اتباع هؤلاء باطل وقد وصف العلماء ائمة هذا القول بأنهم الذين ابتدعوه ووضعوه وذكروا ما بنوا عليه مذاهبهم وانهم اخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة فوضعوا لهم السابق و التالى و الاساس و الحجج و الدعاوى وامثال ذلك من المراتب وترتيب الدعوة سبع درجات آخرها البلاغ الاكبر والناموس الاعظم مما ليس هذا موضع تفصيل ذلك ، وإذا كان كذلك فمن شهد لهم بصحة نسب أو ايمان فأقل ما فى شهادته أنه شاهد بلا علم قاف ما ليس له به علم وذلك حرام بإتفاق الأمة بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق ومعاداة ما جاء به الرسول دليل على بطلان نسبهم الفاطمى فان من يكون من أقارب النبى القائمين بالخلافة فى أمته لاتكون معاداته لدينه كمعاداة هؤلاء فلم يعرف فى بنى هاشم ولا ولد أبى طالب ولا بنى أمية من كان خليفة وهو معاد لدين الاسلام فضلا عن أن يكون معاديا كمعاداة يفسقون من قاتله ولم يتب من قتاله يجعلون هؤلاء من اكابر المنافقين الزنادقة فهذه مقالة المعتزلة فى حقهم ...

الى ان قال في الفتاوى 35 / 132 ولهذا نجد جميع المأمونين على دين الاسلام باطنا وظاهرا معادين لهؤلاء (أي العبيديين) إلا من هو زنديق عدو لله ورسوله أو جاهل لايعرف مابعث به رسوله وهذا مما يدل على كفرهم وكذبهم فى نسبهم .... الى ان قال : وكان فى أثناء دولتهم يخاف الساكن بمصر أن يروى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتل كما حكى ذلك ابراهيم بن سعد الحبال صاحب عبدالغنى بن سعيد وامتنع من رواية الحديث خوفا أن يقتلوه وكانوا ينادون بين القصرين من لعن وسب فله دينار وأردب وكان بالجامع الأزهر عدة مقاصير يلعن فيها الصحابة بل يتكلم فيها بالكفر الصريح وكان لهم مدرسة بقرب المشهد الذى بنوه ونسبوه الى الحسين وليس فيه الحسين ولا شىء منه بإتفاق العلماء وكانوا لا يدرسون فى مدرستهم علوم المسلمين بل المنطق والطبيعة والالهى ونحو ذلك من مقالات الفلاسفة وبنوا أرصادا ...

الى ان قال : واما هؤلاء القرامطه فانهم فى الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل يخفون ذلك ويكتمونه عن غير من يثقون به لا يظهرونه كما يظهر اهل الكتاب دينهم لأنهم لو اظهروه لنفر عنهم جماهير اهل الأرض من المسلمين وغيرهم ...

وقال ابن القيم في المنار المنيف 1/153 ثم خرج المهدي الملحد عبيد الله بن ميمون القداح وكان جده يهوديا من بيت مجوسي فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت وادعى أنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وملك وتغلب إستحقل أمره إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم وكانوا يدعون الإلهية ويدعون

قال ابن القيم في الصواعق 4/1388 كما فعل المنافقون بنو عبيد حين أظهروا دعوتهم فإنهم استولوا على النفوس الصغيرة الجاهلة المبطلة بالرغبة والرهبة العاجلة من نوع شبهة .

وقال في الفتاوى 28/491 وج 35/128 لما سئل عن العبيديين قال : انهم كانوا يظهرون الاسلام والتزام شرائعه وليس كل من اظهر الاسلام يكون مؤمنا في الباطن ... ثم قال وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الامة وائمتها وجماهيرها انهم كانوا منافقين زنادقة يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء 15 / 151 نقل القاضي عياض في ترجمة أبي محمد الكستراتي أنه سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أويقتل فقال يختار القتل ولا يعذر ويجب

الفرار لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز ، قال القاضي عياض أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة وقيل إن عبيد الله تملك المغرب فلم يكن يفصح بهذا المذهب إلا للخواص فلما تمكن أكثر القتل جدا وسبى الحريم وطمع في أخذ مصر اهـ .

84 ـ باب الإسماعيلية والنصيرية والخرمية والدروز

قال ابن تيمية : عن القرامطة الباطنية وقال : ومنهم الاسماعلية والنصيرية ومن جنسهم الخرمية المحمرة وامثالهم من الكفار المنافقون الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر اهـ المقصود

الى ان قال : الفتاوى 28/478 وأيضا فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم وهؤلاء إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذى لا وجود له فمستند الخوارج خير من مستندهم وأيضا فالخوارج لم يكن منهم زنديق ولا غال وهؤلاء فيهم من الزندقة والغالية من لا يحصية إلا الله وقد ذكر اهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النصرانى الذى كان يهوديا فى إفساد دين النصارى وأيضا فغالب أئمتهم زنادقة إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام كما فعلته أئمة الملاحدة الذين خرجوا بأرض أذربيجان فى زمن المعتصم مع بابك الخرمى وكانوا يسمون الخرمية والمحمرة والقرامطة الباطنية الذين خرجوا بأرض العراق وغيرها بعد ذلك وأخذوا الحجر الأسود وبقى معهم مدة كأبى سعيد الجنابى وأتباعه والذين خرجوا بأرض المغرب ثم جاوزوا الى مصر وبنوا القاهرة وادعوا أنهم فاطميون مع اتفاق أهل العلم بالأنساب أنهم بريئون من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نسبهم متصل بالمجوس واليهود واتفاق أهل العلم بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أبعد عن دينه من اليهودوالنصارى بل الغالية الذي يعتقدون .

الى ان قال في الفتاوى ابن تيمية 28/490 الأعاجم من الروم واليونانيين وغيرهم وفى زمنه ظهرت الخرمية وهم زنادقة منافقون يظهرون الإسلام وتفرعوا بعد ذلك إلى القرامطة والباطنية والإسماعيلية وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض في الظاهر وصارت الرافضة الإمامية في زمن بنى بويه بعد المائة الثالثة فيهم عامة هذه الأهواء المضلة فيهم الخروج والرفض والقدر والتجهم وإذا تأمل العالم ما ناقضوه من نصوص الكتاب والسنة لم يجد أحدا يحصيه إلا الله فهذا كله يبين أن فيهم ما فى الخوارج

الحرورية وزيادات وأيضا فإن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون إتباع القرآن بآرائهم ويدعون إتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن والرافضة تنتحل إتباع أهل البيت وتزعم أن فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطئ لا عمدا ولا سهوا ولا رشدا وإتباع القرآن واجب على الأمة بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله ل وكذلك أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة فقال (يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين وفى رواية أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله فيه الهدى .
الى ان قال في الفتاوى ابن تيمية 28/490 الأعاجم من الروم واليونانيين وغيرهم وفى زمنه ظهرت الخرمية وهم زنادقة منافقون يظهرون الإسلام وتفرعوا بعد ذلك إلى القرامطة والباطنية والإسماعيلية وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض في الظاهر وصارت الرافضة الإمامية في زمن بنى بويه بعد المائة الثالثة فيهم عامة هذه الأهواء المضلة فيهم الخروج والرفض والقدر والتجهم وإذا تأمل العالم ما ناقضوه من نصوص الكتاب والسنة لم يجد أحدا يحصيه إلا الله فهذا كله يبين أن فيهم ما فى الخوارج الحرورية وزيادات وأيضا فإن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون إتباع القرآن بآرائهم ويدعون إتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن والرافضة تنتحل إتباع أهل البيت وتزعم أن فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطئ لا عمدا ولا سهوا ولا رشدا وإتباع القرآن واجب على الأمة بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله ل وكذلك أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة فقال (يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين وفى رواية أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله فيه الهدى .

85 ـ باب الفلاسفة

قال ابن تيمية في الفتاوى 17 / 447 لما تكلم عن الجهمية المحضة ثم قال : وشر منه نفاة الأسماء و الصفات وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة ، ولهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملاحدة منافقين ، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو أعظم من كفر

اليهود و النصارى ، وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من الثنتين و سبعين فرقة و إذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منافقين كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وأولئك كانوا أقرب الى الإسلام من هؤلاء فإنهم كانوا يلتزمون شرائع الإسلام الظاهرة ، وهؤلاء قد يقولون برفعها فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة لكن قد يقال إن أولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة أكثر من هؤلاء اهـ المقصود

86 ـ باب الاتحادية ووحدة الاديان و أهل حوار الاديان

قال ابن تيمية في الفتاوى : الى ان قال : فكيف بالقرامطه الذين يكذبون على الله اعظم مما فعل مسيلمة وألحدوا فى أسماء الله وآياته أعظم مما فعل مسيلمة وحاربوا الله ورسوله أعظم مما فعل مسيلمة وبسط حالهم يطول لكن هذه الأوراق لا تسع اكثر من هذا ، وهذا الذى ذكرته حال أئمتهم وقادتهم العالمين بحقيقة قولهم ولا ريب انه قد انضم اليهم من الشيعة والرافضة من لا يكون فى الباطن عالما بحقيقة باطنهم ولا موافقا لهم على ذلك فيكون من أتباع الزنادقة المرتدين الموالى لهم الناصر لهم بمنزلة اتباع الاتحادية الذين يوالونهم ويعظمونهم وينصرونهم ولا يعرفون حقيقة قولهم فى وحدة الوجود وأن الخالق هو المخلوق فمن كان مسلما فى الباطن وهو جاهل معظم لقول ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم من أهل الاتحاد فهو منهم وكذا من كان معظما للقائلين بمذهب الحلول والاتحاد فان نسبة هؤلاء الى الجهمية كنسبة أولئك الى الرافضة والجهمية ولكن القرامطة أكفر من الاتحادية بكثير ولهذا كان أحسن حال عوامهم أن يكونوا رافضة جهمية واما الاتحادية ففى عوامهم من ليس برافضى ولا جهمى صريح ولكن لا يفهم كلامهم ويعتقد ان كلامهم كلام الأولياء المحققين وبسط هذا الجواب له مواضع غير هذا والله اعلم اهـ مختصرا .

87 ـ باب الجهمية

قال ابن تيمية في الفتاوى 17 / 447 ولهذا قال عبدالله بن المبارك ويوسف بن اسباط و غيرهما أصول البدع أربعة الشيعة والخوارج و القدرية والمرجئة قالوا و الجهمية ليسوا من الثنتين و سبعين فرقة وكذلك ذكر أبوعبدالله بن حامد عن أصحاب أحمد فى ذلك قولين هذا أحدهما وهذا أرادوا به التجهم المحض الذي كان عليه جهم نفسه و متبعوه عليه وهو نفي الأسماء مع نفي الصفات بحيث لا يسمى الله بشيء من أسمائه الحسنى و لا يسميه شيئا و لا موجودا و لا غير ذلك و إنما نقل عنه أنه كان

يسميه قادرا لأن جميع الأسماء يسمى بها الخلـق فزعـم أنـه يلـزم منها التشبيه بخلاف القـادر فـانه كـان رأس الجبريـة وعنـده ليـس للعبد قدرة و لا فعل و لا يسمى غير الله قادرا فلهذا نقـل عنـه أنـه سمى الله قادرا ، وشر منه نفاة الأسماء و الصفات و هم الملاحدة من الفلاسـفة و القرامطـة و لهـذا كـان هـؤلاء عنـد الأئمـة قاطبـة ملاحدة منافقين بل فيهم من الكفر الباطن ما هو أعظـم مـن كفـر اليهود والنصارى وهؤلاء لا ريب أنهـم ليسـوا مـن الثنـتين وسـبعين فرقة واذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منـافقين كالمنـافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صـلى اللـه عليـه و سـلم وأولئـك كانوا أقرب الى الإسـلام مـن هـؤلاء فـإنهم كـانوا يلـتزمون شـرائع الإسلام الظاهرة و هؤلاء قد يقولون برفعهـا فلا صـوم و لاصـلاة ولا حج ولا زكاة لكن قد يقال إن أولئك كانوا قـد قـامت عليهـم الحجـة بالرسالة أكثر من هؤلاء ، وأما من يقول ببعـض التجهـم كالمعتزلـة ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطنا و ظاهرا فهؤلاء من أمــة محمد صلى الله عليه و سلم بلا ريـب و كـذلك مـن هـو خيـر منهـم كالكلابية والكرامية وكذلك الشيعة المفضلين لعلي ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع إعتقاده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا وظنه أن ما هو عليـه هـو ديـن الإسـلام فهـؤلاء أهـل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن أمة محمد صلى اللـه عليـه وسـلم بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وعامة هـؤلاء ممـن يتبـع ما تشابه من القرآن إبتغاء الفتنة و إبتغاء تأويله .
قال ابن تيمية في الفتاوى 3 / 353 وإذا كان كـذلك فأهـل البـدع فيهم المنافق الزنـديق فهـذا كـافر ويكـثر مثـل هـذا فـي الرافضـة والجهمية فإن رؤسـاءهم كـانوا منـافقين زنادقـة وأول مـن ابتـدع الرفض كان منافقا وكذلك التجهم فإن أصـله زندقـة ونفـاق ولهـذا كـان الزنادقــة المنــافقون مــن القرامطــة الباطنيــة المتفلســفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهـم ، ومـن أهـل البدع من يكون فيه إيمان باطنا وظاهرا لكن فيه جهل وظلم اهـ .
وقال الفتاوى 3 / 354 حتى أخطأ ما أخطأ من السنة فهذا ليـس بكافر ولا منافق ثم قد يكون منـه عـدوان وظلـم يكـون بـه فاسـقا أوعاصيا وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطـأه وقـد يكـون مـع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكـون معـه مـن ولايـة اللـه بقـدر إيمانه وتقواه فهذا أحد الأصلين ، والأصل الثـاني أن المقالـة تكـون كفرا كجحد وجوب الصـلاة والزكـاة والصـيام والحـج وتحليـل الزنـا والخمر والميسـر ونكـاح ذوات المحـارم ثـم القائـل بهـا قـد يكـون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام فهـذا لا يحكـم

بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسـول إذا لـم يعلـم أنـه أنـزل على الرسول ومقالات الجهمية هي من هذا النـوع فإنهـا جحـد لمـا هو الرب تعالى عليه ولما أنزل الله على رسوله .
وتغلظ مقالاتهم من ثلاثة أوجه :
أحدها : أن النصوص المخالفة لقولهم في الكتاب والسنة والإجماع كثيرة جدا مشهوره وإنما يردونها بالتحريف .
الثاني : أن حقيقة قولهم تعطيل الصانع وإن كان منهم من لا يعلـم أن قولهم مستلزم تعطيل الصـانع فكمـا أن أصـل الإيمـان الإقـرار بالله فأصل الكفر الإنكار لله .
الثالث : أنهم يخالفون مـا اتفقـت عليـه الملـل كلهـا وأهـل الفطـر السليمة كلها لكن مع هذا قد يخفى كـثير مـن مقـالاتهم علـى كـثير مـن أهـل الإيمـان حـتى يظـن أن الحـق معهـم لمـا يـوردونه مـن الشبهات ويكـون أولئـك المؤمنـون مـؤمنين بـالله ورسـوله باطنـا وظاهرا وإنما التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة فهـؤلاء ليسـوا كفـارا قطعـا بـل قـد يكـون منهـم الفاسق والعاصي وقد يكون منهم المخطىء المغفور له وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه .
وأصـل قـول أهـل السـنة الـذي فـارقوا بـه الخـوارج والجهميـة والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض كمـا قـال النـبي (يخرج من النار من كـان فـي قلبـه مثـال ذرة مـن إيمـان) وحينئـذ فتتفاضل ولاية الله وتتبعض بحسب ذلـك ، وإذا عـرف أصـل البـدع فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ويعتقدون ذنبـا مـا ليـس بذنب ويرون اتباع الكتاب دون السـنة الـتي تخـالف ظـاهر الكتـاب وإن كانت متواترة ويكفرون من خالفهم ويسـتحلون منـه لارتـداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصـلي كمـا قـال النـبي فيهـم (يقتلون أهل الإسلام ويـدعون أهـل الأوثـان) ولهـذا كفـروا عثمـان وعليا وشيعتهما وكفروا أهل صفين الطـائفتين فـي نحـو ذلـك مـن المقالات الخبيثة .
وقال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 5/108 ومما ينبغي أن يعلم أن الجهميـة لمـا كـانت فـي نفـس الأمـر قولهـا قـول أهـل الشـرك والتعطيل وليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتب في الظاهر كانوا في ذلك منـافقين عالمين بنفاق أنفسهم كما عليه طـواغيتهم الـذين علمـوا بمخالفـة أنفسهم للرسل وأقدموا على ذلـك وهـؤلاء منـافقون زنادقـة وأمـا الجهـال بنفـاق أنفسـهم صـاروا فـي الجمـع بيـن تكـذبيهم البـاطن وتصــديقهم الظــاهر جــامعين بيــن النقيضــين مضــطرين إلــى

السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات مفسدين للعقل والدين وقولهم بخلق القرآن ونفي الصفات من أصول نفاقهم .....
الى ان قال : وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم ممن خبر مقالاتهم كما قال الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية فإذا قيل لهم من تعبدون قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق قلنا فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة قالوا نعم قلنا قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئا إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ...
الى ان قال فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما ولا يعلم أنهم إنما يقودون بقولهم إلى ضلالة وكفر اهـ باختصار .
وقال شارح قصيدة ابن القيم 1 / 293 وفي التسعينية لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الامر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتاب في الظاهر وان كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل وأقدموا على ذلك وهؤلاء إما منافقون زنادقة وإما جهال بنفاق أنفسهم صاروا في الجمع بين تكذيبهم الباطن وتصديقهم الظاهر جامعين بين النقيضين مضطرين الى السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات مفسدين للعقل والدين وقولهم بخلق القرآن ونفي الصفات من أصول نفاقهم .
قال ابن القيم في الصواعق 4/1410 وقال يزيد بن هارون والله الذي لا إله إلاهو ما هم إلا زنادقة أو قال مشركون (أي الجهمية) .
قال ابن القيم في الصواعق 4/1408 وذكر عن وكيع قال لا تستخفوا بقولهم (أي الجهمية) القرآن مخلوق فإنه من شر قولهم إنما يذهبون إلى التعطيل .

88 ـ باب الرافضة

قال ابن تيمية في الفتاوى 3 / 353 وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة وأول من ابتدع الرفض كان منافقا وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنا وظاهرا لكن فيه جهل وظلم حتى

أخطأ ما أخطأ من السنة فهذا ليس بكافر ولا منافق ثـم قـد يكـون منه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطأه وقد يكون مع ذلك مع ه مـن الإيمـان والتقـوى مـا يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه فهذا أحد الأصلين .
والأصل الثاني أن المقالة تكون كفرا كجحد وجوب الصلاة والزكـاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم ثم القائل بها قد يكون بحيث لـم يبلغـه الخطـاب وكـذا لا يكفـر بـه جاحده كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيـدة لـم تبلغـه شرائع الإسلام فهذا لا يحكم بكفـره بجحـد شـيء ممـا أنـزل علـى الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول ومقالات الجهميـة هـي من هذا النوع فإنها جحد لما هو الرب تعـالى عليـه ولمـا أنـزل اللـه على رسوله وتغلظ مقالاتهم من ثلاثة أوجه :
أحدها أن النصوص المخالفة لقولهم في الكتاب والسـنة والإجمـاع كثيرة جدا مشهوره وإنما يردونها بالتحريف .
الثاني أن حقيقة قولهم تعطيل الصانع وإن كـان منهـم مـن لا يعلـم أن قولهم مستلزم تعطيل الصـانع فكمـا أن أصـل الإيمـان الإقـرار بالله فأصل الكفر الإنكار لله .
الثالث أنهـم يخـالفون مـا اتفقـت عليـه الملـل كلهـا وأهـل الفطـر السليمة كلها لكن مع هذا قد يخفى كـثير مـن مقـالاتهم علـى كـثير مـن أهـل الإيمـان حـتى يظـن أن الحـق معهـم لمـا يـوردونه مـن الشبهات ويكـون أولئـك المؤمنـون مـؤمنين بـالله ورسـوله باطنـا وظاهرا وإنما التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة فهـؤلاء ليسـوا كفـارا قطعـا بـل قـد يكـون منهـم الفاسق والعاصي وقد يكون منهم المخطىء المغفور له وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه .
وأصـل قـول أهـل السـنة الـذي فـارقوا بـه الخـوارج والجهميـة والمعتزلة والمرجئة أن الإيمـان يتفاضـل ويتبعـض كمـا قـال النـبي يخرج مـن النـار مـن كـان فـي قلبـه مثـال ذرة مـن إيمـان وحينئـذ فتتفاضل ولاية الله وتتبعـض بحسـب ذلـك وإذا عـرف أصـل البـدع فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ويعتقدون ذنبـا مـا ليـس بذنب ويرون ابتاع الكتاب دون السـنة الـتي تخـالف ظـاهر الكتـاب وإن كانت متواترة ويكفرون من خالفهم ويسـتحلون منـه لارتـداده عندهم ما لا يستحلونه مـن الكـافر الأصـلي كمـا قـال النـبي فيهـم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ولهذا كفروا عثمان وعليـا وشيعتهما وكفروا أهل صفين الطائفتين في نحو ذلك من المقالات الخبيثة .

قال ابن تيمية الفتاوى 3 / 356 وأصل قول الرافضة أن النبي نص على علي نصا قاطعا للعذر وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفـر وإن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمـام المعصـوم واتبعـوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتـدوا بـل كفـروا إلا نفرا قليلا إما بضعة عشر أو أكثر ثـم يقولـون إن أبـا بكـر وعمـر ونحوهما ما زالا منافقين وقد يقولون بل آمنوا ثم كفروا وأكثرهم يكفر من خالف قولهم ويسمون أنفسـهم المـؤمنين ومـن خـالفهم كفارا ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهـر فيهـا أقـوالهم دار ردة أسوأ حالا من مـدائن المشـركين والنصـارى ولهـذا يوالـون اليهـود والنصارى والمشركين علـى بعـض جمهـور المسـلمين ومعـاداتهم ومحاربتهم كما عرف من موالاتهم الكفار المشركين علـى جمهـور المسلمين ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسـلمين ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين ومنهم ظهرت أمهـات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم ولا ريب أنهـم أبعـد طوائـف المبتدعـة عـن الكتـاب والسـنة ولهـذا كـانوا هـم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة فجمهـور العامـة لا تعـرف ضد السنى إلا الرافضي فإذا قال احدهم أنا سني فإنما معناه لست رافضيا ولا ريب أنهم شر من الخوارج لكن الخوارج كان لهـم فـي مبدىء الإسلام سيف على أهـل الجماعـة ومـوالاتهم الكفـارأعظم من سيوف الخوارج فإن القرامطة والإسماعيلية ونحوهم من أهـل المحاربة لأهل الجماعة وهـم منتسـبون إليهـم وأمـا الخـوارج فهـم معروفون بالصدق والروافض معروفون بالكذب والخـوارج مرقـوا من الإسلام وهؤلاء نابذوا الإسلام .

وأما القدرية المحضة فهم خير من هؤلاء بكثير وأقرب إلى الكتـاب والسنة لكن المعتزلة وغيرهم مـن القدريـة هـم جهميـة أيضـا وقـد يكفرون مـن خـالفهم ويسـتحلون دمـاء المسـلمين فيقربـون مـن أولئك .

وأما المرجئة فليسوا مـن هـذه البـدع المغلظـة بـل قـد دخـل فـي قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة وما كانوا يعدون إلا من أهـل السنة حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة ولما كان قد نسب إلى الإرجاء والتفضيل قـوم مشـاهير متبعـون تكلـم أئمـة السنة المشـاهير فـي ذم المرجئـة المفضـلة تنفيـرا عـن مقـالتهم كقول سفيان الثوري من قدم عليا على أبـي بكـر والشـيخين فقـد أزرى بالمهاجرين والأنصار وما أرى يصعد له إلى الله عمل مع ذلك أو نحـو هـذا القـول قـاله لمـا نسـب إلـى تقـديم علـى بعـض أئمـة الكوفيين وكذلك قول أيوب السختياني من قدم عليـا علـى عثمـان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار قاله لما بلغه ذلـك عـن بعـض أئمـة

الكوفيين وقد روى أنه رجع عن ذلك وكذلك قول الثوري ومالك والشافعي وغيرهم في ذم المرجئة لما نسب إلى الإرجاء بعض المشهورين .
وكلام الإمام أحمد في هذا الباب جار على كلام من تقدم من أئمة الهدى ليس له قول ابتدعه ولكن أظهر السنة وبينها وذب عنها وبين حال مخالفيها وجاهد عليها وصبر على الأذى فيها لما أظهرت الأهواء والبدع وقد قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين اهـ
وقال أيضا في منهاج السنة النبوية 2 /46 والنفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف بل لا بد لكل منهم من شعبة نفاق فإن أساس النفاق الذي بنى عليه الكذب وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم (**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**) والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقية وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك .
قال أيضا في منهاج السنة النبوية 3 /464 وأما الرافضة فأصل بدعتهم عن نفاق ولهذا فيهم من الزندقة ما ليس في الخوارج .
قال أيضا في منهاج السنة النبوية 6 / 370 وأن أصل كل فتنة وبليه هم الشيعة ومن انضوى إليهم وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كانت من جهتهم وعلم أن أصلهم ومادتهم منافقون اختلقوا أكاذيب وابتدعوا آراء فاسدة ليفسدوا بها دين الإسلام ويستزلوا بها من ليس من أولى الأحلام فسعوا في قتل عثمان وهو أول الفتن ثم انزووا إلى على لا حبا فيه ولا في أهل البيت لكن ليقيموا سوق الفتنة بين المسلمين ثم هؤلاء الذين سعوا معه منهم من كفره بعد ذلك وقاتله كما فعلت الخوارج وسيفهم أول سيف سل على الجماعة ومنهم من أظهر الطعن على الخلفاء الثلاثة كما فعلت الرافضة وبهم تسترت الزنادقة كالغالية من النصيرية وغيرهم ومن القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم فهم منشأ كل فتنة والصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين كبني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب ويقولون إنهم كانوا مظلومين كما ذكر صاحب هذا الكتاب وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسي .
قال في منهاج السنة النبوية 6 /ـ 302 وليس في الطوائف أكثر تكذيبا بالصدق وتصديقا بالكذب من الرافضة فإن رؤوس مذهبهم وأئمته والذين ابتدعوه وأسسوه كانوا منافقين زنادقة كما ذكر ذلك

عن غير واحد من أهل العلم وهـذا ظـاهر لمـن تـأمله بخلاف قـول الخوارج فإنه كان عن جهل بتأول القرآن وغلو في تعظيـم الـذنوب وكذلك قول الوعيدية والقدرية كان عن تعظيم الذنوب وكذلك قول المرجئة كان أصـل مقصـودهم نفـى التكفيـر عمـن صـدق الرسـل ولهذا رؤوس المـذاهب الـتي ابتـدعوها لـم يقـل أحـد أنهـم زنادقـة منافقون بخلاف الرافضة فإن رؤوسـهم كـانوا كـذلك مـع أن كـثيرا منهم ليسوا منافقين ولا كفارا بل بعضـهم لـه إيمـان وعمـل صـالح ومنهم من هو مخطىء يغفر له خطاياه ومنهم من هو صاحب ذنـب يرجى له مغفرة الله لكن الجهل بمعنـى القـرآن والحـديث شـامل لهم كلهم فليس فيهم إمام من أئمة المسلمين فـي العلـم والـدين وأصـل المـذهب (اي الرافضـة) إنمـا ابتـدعه زنادقـة منـافقون مرادهم إفساد دين الإسلام .

قال ابن القيم في الصواعق 4/1405 قال طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس وغيره هؤلاء قوم ـ أي الرافضة ـ أرادوا الطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك فطعنوا في الصحابة ليقول القائل رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين اهـ

قال الذهبي في تاريخ الاسلام وفي سنة 656 أحاط أمر الله ببغداد فأصبحت خاوية على عروشها وبقيت حصيدا كأن لم تغن بالامس فانا لله وانا اليه راجعون نازلها المغول في أخلاط من السفل وأوباش من المنافقين وكل من لم يؤمن بالحساب قال وكان ابن العلقمي الوزير واليا على المسلمين وكان رافضيا جلدا فلما استداروا ببغداد وخارت القوى وجف الريق وانخلعت الافئدة اشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو وقال دعني أخرج اليهم في تقرير الصلح فخرج فاستوثق لنفسه ولمن أراد وجاء الى الخليفة وقال إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر ويبقيك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية ويرحل عنك فأجبه الى ذلك فان فيه حقن الدماء وأرى أن تخرج اليه فخرج الخليفة في جمع من الاعيان الى السلطان هولاكو فأنزله في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الاكابر لحضور العقد فحضرو ا وضربت أعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فيقتلون ثم صيح في البلد وبذل القتل والسبي والحريق والنهب وقامت قيامة بغداد فلا حول ولا قوة الا بالله يوما كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة حتى جرت السيول من الدماء وردمت فجاج المدينة من القتلى حتى قيل إنه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف قال والاصح أنهم بلغوا نحوا من ثمانمائة ألف وهذا شيء لا يكاد ينضبط فإنهم قتلوا في الطرق والجوامع والبيوت

والاسطحة وبظاهر البلد ما لا يحصى بل هي ملحمة ما جرى قط في الاسلام مثلها وسبوا من النساء والصغار ما ملأ الفضاء ولد الخليفة الصغير وإخوانه وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبد الرحمن مع الخليفة من الاعيان والحسين ويوسف وجماعة من أهل الصاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي وبنوه عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم فضربت أعناقهم صبرا جماعة مستكثرون من العلماء والامراء والاكابر وخلت بغداد من أهلها ودثرت المحال واستولى عليها الحريق واحترقت دار الخلافة والجامع الكبير حتى وصلت النار الى خزانة الكتب وعم الحريق جميع البلاد وما سلم الا ما فيه من هؤلاء الملاعين وضاقت بالقتلى وانداسوا بالارجل ولم يبق ممر الا على القتلى وكان الاطفال يتقلبون في الوحل الى أن يموتوا وعاين من سلم من الاهوال ما لا يعبر عنه ثم وقع الوباء وكثر الموت وكثر الذباب جدا حتى غطى الجدران ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا وجاءت القوافل بالجلب من الحلة بخبز وجبن وبيض وتعوض أهل الجلب بالكتب يأخذون المجلد بفلس ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل وألقي خلق من القتلى في دجلة وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير جعل الله ذلك كفارة وتمحيصا وزعم العلقمي أنه يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد خليفة علويا فلم يتهيأ له ذلك ثم لم يلبث أن هلك ولم يبق من بغداد واهلها الا مقدار الثمن ونحو ذلك وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء لملحمة بغداد واتصل الوباء بالشام ومات أمم بدمشق وغيرها انتهى كلامه .

وقال ابن تيمية في فتاوى 28/474 (عن الرافضة) .... ذلك كان من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار ومن أظهر ذلك كان أشد من الكافرين كفرا فلا يجوز أن يقر بين المسلمين لا بجزية ولا ذمة ولا يحل نكاح نسائهم ولا تؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون من شر المرتدين فإن كانوا طائفة ممتنعة وجب قتالهم كما يقاتل المرتدون كما قاتل الصديق والصحابة وأصحاب مسيلمة الكذاب وإذا كانوا في قرى المسلمين فرقوا وأسكنوا بين المسلمين بعد التوبة والزموا بشرائع الإسلام التي تجب على المسلمين وليس هذا مختصا بغالية الرافضة بل من غلا فى أحد من المشايخ وقال أنه يرزقه أو يسقط عنه الصلاة أو أن شيخة أفضل من النبى أو أنه مستغن عن شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وأن له إلى الله طريقا غير شريعة النبى صلى الله عليه وسلم أو أن أحدا من المشايخ يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى وكل هؤلاء كفار يجب قتالهم بإجماع المسلمين وقتل الواحد المقدور عليه منهم وأما الواحد

المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روى عنهما اعنى عمر وعلى قتلهما ايضا والفقهاء وان تنازعوا فى قتل الواحد ....
....وكما تسميه المعتزلة مذهب الحشو والعامة واهل الحديث ويرون فى اهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الأسلام انه لا يحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم وأن المائعات التى عندهم من المياة والأدهان وغيرها نجسة ويرون ان كفرهم اغلظ من كفر اليهود والنصارى لأن أولئك عندهم كفار أصليون وهؤلاء مرتدون وكفرالردة أغلظ بالاجماع من الكفر الأصلى ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين فيعاونن التتار على الجمهور وهم كانوا من أعظم الأسباب فى خروج جنكزخان ملك الكفار الى بلاد اللأسلام وفى قدوم هولاكو الى بلاد العراق وفى اخذ حلب ونهب الصالحية وغير ذلك بخبثهم ومكرهم لما دخل فيه من توزر منهم للمسلمين وغير من توزر منهم وبهذا السبب نهبوا عسكر المسلمين لما مر عليهم وقت انصرافه الى مصر فى النوبة الأولى وبهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين وبهذا السبب ظهر فيهم من معاونة التتار والافرنج على المسليمن والكآبة الشديدة بانتصار الاسلام ما ظهر وكذلك لما فتح المسلمون الساحل عكة وغيرها ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم وكل هذا الذى وصفت بعض امورهم وإلا فالأمر أعظم من ذلك .
الى ان قال : الفتاوى 28/478 وأيضا فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم وهؤلاء (أي الرافضة) إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذى لا وجود له فمستند الخوارج خير من مستندهم وأيضا فالخوارج لم يكن منهم زنديق ولا غال وهؤلاء فيهم من الزندقة والغالية من لا يحصية إلا الله وقد ذكر اهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النصرانى الذى كان يهوديا فى إفساد دين النصارى وأيضا فغالب أئمتهم زنادقة إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام كما فعلته أئمة الملاحدة الذين خرجوا بأرض أذربيجان فى زمن المعتصم مع بابك الخرمى وكانوا يسمون الخرمية والمحمرة والقرامطة الباطنية الذين خرجوا بأرض العراق وغيرها بعد ذلك وأخذوا الحجر الأسود وبقى معهم مدة كأبى سعيد الجنابى وأتباعه والذين خرجوا بأرض المغرب ثم جاوزوا الى مصر وبنوا القاهرة وادعوا أنهم فاطميون مع اتفاق أهل العلم بالأنساب أنهم بريئون من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نسبهم متصل

بالمجوس واليهود واتفاق أهل العلم بدين رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم أنهم أبعد عن دينه من اليهودوالنصارى .
قال ابن تيمية في الفتاوى 17/447 وأما من يقـول ببعـض التجهـم كالمعتزلة و نحوهم الـذين يتـدينون بـدين الإسـلام باطنـا و ظـاهرا فهؤلاء من أمة محمد صلى الله عليه و سلم بلا ريب وكذلك من هو خير منهم كالكلابية والكرامية وكذلك الشيعة المفضلين لعلي ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع إعتقاده نبوة محمد صـلى اللـه عليه وسلم باطنا وظاهرا و ظنه أن ما هـو عليـه هـو ديـن الإسـلام فهؤلاء اهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن أمة محمـد صـلى اللـه عليه وسلم بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وعامة هؤلاء ممن يتبع ما تشابه من القرآن إبتغاء الفتنة و إبتغاء تأويله .

89 ـ باب دول المبتدعة

وفي شرح السنة 1/59 وقال الفضيل بن عياض إذا رأيت رجلا مـن أهل السنة فكأنما رأيت رجلا من أصـحاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم وإذا رأيت رجلا من أهـل البـدع فكأنمـا رأيـت رجلا مـن المنافقين .
قال ابن القيم في قصيدة 2 /112

والآخرون أولو النفاق فأضمروا شيئا وقالوا غيره بلسان
وكذا المعطل مضمر تعطيله قد أظهر التنزيه للرحمن
هذي مواريث العباد تقسمت بين الطوائف قسمة المنان

أي إن المنافقين أضمروا النفاق وأظهروا غيره وكذا المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره والله أعلم .
قال ابن تيمية فتاوى 13/177 وقد قيل أن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهـم فضحى به خالد بن عبد الله القسرى وقال أيها الناس ضـحوا تقبـل الله ضحاياكم إني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لـم يتخـذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عمـا يقـول الجعـد علوا كبيرا ثـم نـزل فـذبحه وشـكر لـه علمـاء المسـلمين م ا فعلـه كالحسن البصرى وغيره وهذا الجعد إليه ينسب مـروان بـن محمـد الجعدى آخر خلفاء بنـى أميـة وكـان شـؤمه عـاد عليـه حـتى زالـت الدولة فانه إذا ظهرت البدع التي تخـالف ديـن الرسـل انتقـم اللـه ممن خالف الرسل وانتصر لهم .
قال ابن تيمية في العقيدة الأصفهانية 1/184 وأما أئمة السنة والجماعة فعلى إثبات التبعيض في الاسم والحكم فيكون مع الرجل بعض الإيمان لا كله ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه وولاية الله تعالى بحسب إيمان العبد وتقواه فيكون مع العبد من ولاية الله

تعالى بحسب ما معه من الإيمان والتقوى فإن أولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**) .
وعلى هذا فالمتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والأمرية وإن كان في قوله بدعة يخالف بها نصا أو إجماعا قديما وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك بل قد أخطأ فيه كما يخطىء المفتي والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده يكون أيضا مثابا من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه وإن كان معفوا عنه ثم قد يحصل فيه تفريط في الواجب أو اتباع الهوى يكون ذنبا منه وقد يقوى فيكون كبيرة وقد تقوم عليه الحجة التي بعث الله عز وجل بهما رسله ويعاندها مشاقا للرسول من بعد ما تبين له الهدى متبعا غير سبيل المؤمنين فيكون مرتدا منافقا أو مرتدا ردة ظاهرة .
فالكلام في الأشخاص لا بد فيه من هذا التفصيل وأما الكلام في أنواع الأقوال والأعمال باطنا وظاهرا من الاعتقاد والإرادات وغير ذلك فالواجب فيما تتوزع فيه ذلك أن يرد إلى الله والرسول فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالفهما فهو باطل وما وافقهما من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل .
فهذا هو والمقصود هنا أن أهل العلم والإيمان في تصديقهم لما يصدقون به وتكذيبهم لما يكذبون به وحمدهم لما يحمدونه وذمهم لما يذمونه متفقون على هذا الأصل فلهذا يوجد أئمة أهل العلم والدين من المنتسبين إلى الفقه والزهد يذمون البدع المخالفة للكتاب والسنة في الاعتقادات والأعمال من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف ونحوهم وإن كان في أولئك من هو مجتهد له أجر اجتهاده وخطؤه مغفور له وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال (خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فكان القرن الأول من كمال العلم والإيمان على حال لم يصل إليها القرن الثاني وكذلك الثالث وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب .
فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية حتى قال ابن المبارك ويوسف بن أسباط وطائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم أن الجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة بل هم زنادقة وهذا مع أن كثيرا من بدعهم دخل فيها قوم ليسوا زنادقة بل قبلوا كلام الزنادقة جهلا وخطأ قال الله تعالى (**لو خرجوا فيكم ما**

زادوكم إلا خبالا ولأوضعو خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فأخبر سبحانه أن في المؤمنين من هو مستجيب للمنافقين فما يقع فيه بعض أهل الإيمان من أمور بعض المنافقين هو من هذا الباب .
والمقصود هنا أن يعلم أنه لم يزل في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن أمته لا تبقى على ضلالة بل إذا وقع منكر من لبس حق بباطل أو غير ذلك فلا بد أن يقيم الله تعالى من يميز ذلك فلا بد من بيان ذلك ولا بد من إعطاء الناس حقوقهم كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم) رواه أبو داود وغيره وهذا الموضع لا يحتمل من السعة وكلام الناس في مثل هذه الأمور التي وقعت ممن وقعت منه بل المقصود التنبيه على جمل ذلك لأن هذا محتاج إليه في هذه الأوقات فكتب الزهد والتصوف فيها من جنس ما في كتب الفقه والرأي وفي كلاهما منقولات صحيحة وضعيفة بل وموضوعة ومقالات صحيحة وضعيفة بل وباطلة وأما كتب الكلام ففيها من الباطل أعظم من ذلك بكثير بل فيها أنواع من الزندقة والنفاق اهـ .
قال شارح الطحاوية 1 / 355 فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة احدا فتنفي التكفير نفيا عاما مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا .
والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور كما ذكره الخلال في كتاب السنة بسنده الى محمد بن سيرين أنه قال إن أسرع الناس رده أهل الأهواء وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم **(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره)** ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر احدا بذنب بل يقال لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج وفرق بين النفي العام ونفي العموم والواجب إنما هو نفي العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب ولهذا والله اعلم

قيده الشيخ رحمه الله بقوله ما لم يستحله وفي قوله ما لم يستحله إشارة الى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك .
وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه رد على المرجئة فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر وهذه المنزلة بين المنزلتين وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار .
وطوائف من اهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولا فيقولون يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطيء وغيره أو يقولون يكفر كل مبتدع وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ وأهل الكبائر في النار لايخلدون إذا ماتوا وهم موحدون والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا لكن تأول تأويلا اخطأ فيه إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا فلا يقال إن إيمانه حبط لمجرد ذلك إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة ولا نقول لا يكفر بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر ويقال من قالها فهو كافر ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها وعن ابي يوسف رحمة الله أنه قال ناظرت أبا حنيفة

رحمه الله مدة حتى اتفق رأيي ورأيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر .
وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون انه من أهل الوعيد وانه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النهي عن البغي وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول (كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أولايدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته) وهو حديث حسن .
ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله كما غفر للذي قال إذا مت فاسحقوني ثم اذروني ثم غفر الله له لخشيته وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته أو شك في ذلك لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا فلا يتصور أن يكفر أحد من اهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا .
وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب وهم الذين لا يقرون بالشهادتين وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت انه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق .
وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه

عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول اللـه وكـان رسـول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلـد فقـال رجـل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول (الله لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) وهذا امـر مـتيقن بـه فـي طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلـم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعـة بـل بفـرع منهـا ولهـذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير فمن عيـوب اهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون .
وقال ابن تيمية في العقيدة الأصفهانية 1 / 184 وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان وكلما كانت البدعة أشـد تأخر ظهورها وكلما كانت أخـف كـانت إلـى الحـدوث أقـرب فلهـذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة وكـان آخر ما حدث بدعة الجهمية)
قال في منهاج السنة النبوية 6 / 302 وليس في الطوائـف أكـثر تكذيبا بالصدق وتصديقا بالكذب من الرافضة فـإن رؤوس مـذهبهم وأئمته والذين ابتدعوه وأسسوه كانوا منافقين زنادقة كما ذكر ذلك عن غير واحد من أهل العلم وهـذا طـاهر لمـن تـأمله بخلاف قـول الخوارج فإنه كان عن جهل بتأول القرآن وغلو في تعظيـم الـذنوب وكذلك قول الوعيدية والقدرية كان عن تعظيم الذنوب وكذلك قول المرجئة كان أصـل مقصـودهم نفـى التكفيـر عمـن صـدق الرسـل ولهذا رؤوس المـذاهب الـتي ابتـدعوها لـم يقـل أحـد أنهـم زنادقـة منافقون بخلاف الرافضة فإن رؤوسـهم كـانوا كـذلك مـع أن كـثيرا منهم ليسوا منافقين ولا كفارا بل بعضـهم لـه إيمـان وعمـل صـالح ومنهم من هو مخطىء يغفر له خطاياه ومنهم من هو صاحب ذنـب يرجى له مغفرة الله لكن الجهل بمعنـى القـرآن والحـديث شـامل لهم كلهم فليس فيهم إمام من أئمة المسلمين فـي العلـم والـدين وأصـل المـذهب (اي الرافضـة) إنمـا ابتـدعه زنادقـة منـافقون مرادهم إفساد دين الإسلام .
قال صاحب كتاب إيثار الحق على الخلق 1 / 388 فـان قيـل لـم تورعوا هنا مع هـذه النصـوص الصـحيحة المتـواترة لصـريحة قلـت لوجوه :
أحدها ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليـه السـلام من عدم تكفير الخوارج مع بغضهم له وبغضه نفاق بل مع تكفيرهم له عليه السلام وهو سيد المسـلمين وإمـام المتقيـن وأبعـد الخلـق أجمعين عما افتراه من ذلك كذبة المارقين وقد ذكـر الفقيـه حميـد

في كتابه عمدة المسترشدين أن ذلك هو المشهور عنه عليه السلام وروى هو أنه عليه السلام لما سئل عن كفرهم قال من الكفر فروا ولما سئل عن إيمانهم قال لو كانوا مؤمنين ما حاربناهم قيل فما هم قال اخواننا بالأمس بغوا علينا فحاربناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله .
قال الفقيه حميد وهذا تصريح بالمنع من كفرهم وأقرته الصحابة قلت ومن ههنا ادعى هو والخطابي وابن جرير قبلهما الاجماع على عدم تكفيرهم وكأن الناس تابعوه عليه السلام في ذلك لشهرته وعدم منازعة الصحابة ولا بعضهم له عليه السلام كما احتج به الفقيه حميد على أنه إجماع قال ولأن من كفر إماما وحاربه لم يكفر اه كلامه .
وقد روى ابن بطال في شرح البخاري كلام ابن جرير ودعواه الاجماع على ذلك في الكلام على الخوارج ... فقال إن ذلك مروي عن علي عليه السلام من طرق وذكر نحو ما تقدم وزاد في روايته قيل له عليه السلام فمنافقون فقال لو كانوا منافقين لم يذكروا الله إلا قليلا ثم قال روى وكيع عن مسعر عن عامر بن شقيق عن أبي وائل عن علي عليه السلام أنه قال لم نقاتل أهل النهروان على الشرك اه ومراده على الكفر بالقرينة كحديث جابر مرفوعا (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة) رواه مسلم بهذا اللفظ وكذا ذكره عنه ابن الأثير في جامعه وقبله الحميدي في جمعه بين الصحيحين يوضحه أن ترك الخوارج للشرك الذي هو عبادة الاصنام وعبادة المخلوقين كان معلوما بالضرورة فلم يكن ليخبر بذلك وإنما خرج كلامه مخرج حديث جابر ومخرج حديث ابن عباس حيث قال إنه رأى النبي وآله يصلي إلي غير جدار أي غير سترة وهذا هو النوع المسمي بالخاص يراد به العام ومنه (فلا تقل لهما أف) أي لا تؤذهما بذلك ولا بغيره ونظائره كثيرة ويقوي صحة ذلك عنه عليه السلام أنه رد على أهل النهروان أموالهم قال ابن حجر رواه البيهقي من طرق فانضمت هذه الطرق إلى تلك الطرق التي ذكرها ابن بطال وأشار اليها الفقيه حميد .

90 ـ باب المغلّظ من أهل السنة

قال ابن تيمية الفتاوى 3 / 356 وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلظة بل قد دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة ولما كان قد نسب إلى الإرجاء والتفضيل قوم مشاهير متبعون تكلم أئمة السنة المشاهير في ذم المرجئة المفضلة تنفيرا عن مقالتهم كقول سفيان الثوري من قدم عليا على أبي بكر والشيخين فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وما

أرى يصعد له إلى الله عمل مع ذلك أو نحو هذا القول قاله لما نسب إلى تقديم على بعض أئمة الكوفيين وكذلك قول أيوب السختياني من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار قاله لما بلغه ذلك عن بعض أئمة الكوفيين وقد روى أنه رجع عن ذلك وكذلك قول الثوري ومالك والشافعي وغيرهم في ذم المرجئة لما نسب إلى الإرجاء بعض المشهورين
قال شارح الطحاوية 1/355 وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول (الله لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) وهذا امر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير فمن عيوب اهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون .

91 ـ باب ومنهم العصرانيون والبرلمانيون

وفي شرح كتاب التوحيد 1/496 وفعل المنافقين الذي ذكره الله عنهم في هذه الآية هو بعينه الذي يفعله المحرفون للكلم عن مواضعه الذين يقولون إنما قصدنا التوفيق بين القواطع العقلية بزعمهم التي هي الفلسفة والكلام وبين الأدلة النقلية ثم يجعلون الفلسفة التي هي سفاهة وضلالة الأصل ويردون بها ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة زعموا أن ذلك يخالف الفلسفة التي يسمونها القواطع فتطلبوا له وجوه التأويلات البعيدة وحملوه على شواذ اللغة التي لا تكاد تعرف . (والفلاسفة يقولون ان الانبياء كذبت على العامة من اجل المصلحة ونفع الناس ومثلهم العصرانيين واليوم يجيزون الكفر من اجل المصلحة كالدخول في البرلمانات والتحالف مع العلمانيين للمصلحة ، والمصلحة الفاسدة اليوم هي طاغوت العصر .

10 ـ كتاب السماعين

92 ـ باب تعريف السماع

قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** .
وقال ابن تيمية في الفتاوى 28 / 231 فاذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة الى بدع المنافقين كما قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فان فيهم ايمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وانها خير وانها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها .
ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية يغلط فى الرأى والفتيا ومن يغلط فى الزهد والعبادة وان كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده فبيان القول والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة واجب وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز ان يذكر على وجه الذم والتاثيم له فان الله غفر له خطأه بل يجب لما فيه من الايمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك وان علم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله مثل عبد الله بن أبى وذويه وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضه عبد الله بن سبأ وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكر بالنفاق وان اعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقا أو مؤمنا مخطئا ذكر بما يعلم منه فلا يحل للرجل ان يقفو ما ليس له به علم ولا يحل له ان يتكلم فى هذا الباب الا قاصدا بذلك وجه الله تعالى وان تكون كلمة الله هى العليا وان يكون الدين كله لله فمن تكلم فى ذلك بغير علم او بما يعلم خلافه كان آثما وكذلك القاضى والشاهد والمفتى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل علم الحق فقضى بخلاف ذلك فهو فى النار) .

93 ـ باب التجهم من بدع المنافقين والمعتزلة والاشاعرة والماتريدية سماعون لهم

قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)**

وقال ابن تيمية في الفتاوى 28 / 231 فاذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة الى بدع المنافقين كما قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فان فيهم ايمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وانها خير وانها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها .

94 ـ باب العصرنة من بدع المنافقين و الانهزاميون سماعون لهم والمرجئة المعاصرة من السماعين

قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)**

وقال ابن تيمية في الفتاوى 28 / 231 فاذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة الى بدع المنافقين كما قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فان فيهم ايمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة

عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وانها خير وانها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها .

95 ـ أبواب العوام السماعين

تمهيد

قال الله تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم**) قال الشافعي : وأحكام الله ورسوله تدل على أنه ليس لأحد أن يحكم على أحد إلا بظاهر . والظاهر ما أقر به أو قامت به بينة وثبتت عليه اهـ . ألام

ونقل الحافظ ابن حجر الإجماع فقال : وكلهم أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر اهـ الفتح 12/272، 273 .

قال ابن تيمية : ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من المنافقين من عرّفه الله بهم وكانوا يحلفون له وهم كاذبون وكان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله اهـ الفتاوى 7/620 .

وقال أيضا فكان حكمه صلى الله عليه وسلم في دمائهم وأموالهم (أي المنافقين) كحكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيئا إلا بأمر ظاهر مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه قال تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم**) .

وقد قال الله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**) فأمر بامتحانهن هنا وقال الله أعلم . الفتاوى 7/213 .

فصل

السماعون لإبن عربي

فقد سُئل ابن تيمية في الفتاوى [6] عن ابن عربي وكتابه الفصوص وما فيه من كفريات ، فأجاب بكفر ابن عربي وأطال في ذلك وفي بيان إلحاده وكفر أمثاله من أهل وحدة الوجود أمثال التلمساني وابن سبعين وابن الفارض وذكر أن كفر أهل وحدة الوجود أعظم من كفر اليهود والنصارى وقال إن من لم يكفر أهل وحدة الوجود فهو أكفر من اليهود والنصارى ، ذكر ذلك في ص 129. (أي لم يكفرهم وهو يعلم حالهم).

---

[6] () الفتاوى 2/121 .

ثم قال في ص 131 في ابن عربي وأتباعه : " ولكن هؤلاء التبس أمرهم على من لم يعرف حالهم كما التبس أمر القرامطة الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع ، فصار المتبعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم ، ولذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقاً منافقاً ، **وإما جاهلاً ضالاً** ".
ثم بعد أسطر في ص 132 أوجب عقوبة كل من ساعد طائفة ابن عربي ، فقال: "ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذب عنهم أو أثنى عليهم أو عظّم كتبهم أو عُرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو أو من قال أنه صنف هذا الكتاب وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلاّ **جاهل** أو منافق ، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان".
ثم ذكر ضررهم وأنهم - أي طائفة ابن عربي الاتحادية - يحبون دولة التتار ، ثم عذر ابن تيمية من عوام الاتحادية الجاهل بحالهم فقال : " ولهذا هم - طائفة ابن عربي- يريدون دولة التتار ويختارون انتصارهم على المسلمين إلاّ من كان عامياً من شيعتهم وأتباعهم فإنه لا يكون عارفاً بحقيقة أمرهم إلى أن قال : " ومن كان محسناً للظن بهم - أي في طائفة ابن عربي - وادّعى أنه لم يعرف حالهم وعرف حالهم فإن لم يباينهم ويظهر لهم الإنكار وإلا ألحق بهم وجعل منهم".
وسُئل أيضاً ابن تيمية في الفتاوى [7] عن طائفة ابن عربي - أهل الاتحاد - ، فذكر كفرهم وأنهم أكفر من اليهود والنصارى ثم كفّر من كان يعرف حقيقة مذهب أهل الاتحاد كالتلمساني فقال في ص 366 : ولهذا فإن كل من كان منهم أعرف بباطن المذهب وحقيقته كان أعظم كفراً وفسقاً كالتلمساني ، فإنه كان من أعرف هؤلاء بهذا المذهب .
أما الجهال بحقيقة المذهب فقال فيهم في ص 367 : "وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي وتجد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظن بهم " إلى أن قال " ولا يُتصور أن يثني على هؤلاء إلاّ كافر ملحد أو جاهل ضال ".
وقال في ص 368 : " فمن أحسن الظن بالملاحدة " إلى أن قال : " فهذا كله كفر باطناً وظاهراً **بإجماع** كل مسلم ومن شك في كفر

---

[7] () الفتاوى 1/364 .

هؤلاء - أي الاتحادية طائفة ابن عربي- بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام ، فهو كافر ". وراجع أيضاً ص 378.
وفي شرح العقيدة الطحاوية ج: 1 ص: 557
وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدرك الأسفل من النار والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ويبطنون الكفر وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد ولكن في قبول توبته خلاف والصحيح عدم قبولها وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه والله المستعان

فصل

السماعون للقرامطة والباطنية

قال ابن تيمية في الفتاوى [8] ، لما كفّر طائفة ابن عربي وعذر من جهل حالهم قال : " ولكن هؤلاء التبس أمرهم (أي طائفة ابن عربي) على من لم يعرف حالهم كما التبس أمر القرامطة الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع فصار المتبعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم ولذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقاً منافقاً ، **وإما جاهلاً ضالاً** ".
" اهـ. ذكر ابن تيمية [9] " أن من لم يكفر المرتد جاهلاًبحاله أنه لا يكفر ".
وقال ابن تيمية : وكان في البلد جماعة كثيرون يظنون في العبيدين أنهم أولياء الله الصالحون ، فلما ذكرت لهم أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة ، وخيار من فيهم الرافضة جعلوا يتعجبون ، ثم بيّن لهم ابن تيمية الدليل على كفرهم . في كتاب الاستغاثة له . وفي المكفرات الواقعة لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . وفتاوى الأئمة النجدية 4/231 .
وقال أيضا فهؤلاء القرامطة هم في الباطن والحقيقة أكفر من اليهود والنصارى وأما في الظاهر فيدّعون الإسلام بل وإيصال النسب إلى العترة النبوية فهم في الظاهر من أعظم الناس دعوى بحقائق الإيمان وفى الباطن من أكفر الناس بالرحمن .....وقال ولا ريب أنه قد انضم إليهم من الشيعة والرافضة من لا يكون في الباطن عالما بحقيقة باطنهم ولا موافقا لهم على ذلك فيكون من أتباع الزنادقة المرتدين الموالى لهم الناصر لهم بمنزلة اتباع الاتحادية الذين يوالونهم ويعظمونهم وينصرونهم ولا يعرفون

---

[8] () الفتاوى 2/131 .
[9] () الفتاوى 2/131، 378 .

حقيقة قولهم في وحدة الوجود وأن الخالق هو المخلوق ، فمن كان مسلما في الباطن وهو جاهل معظم لقول ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم من أهل الاتحاد فهو منهم وكذا من كان معظما للقائلين بمذهب الحلول والاتحاد ....وقال ولكن القرامطة أكفر من الاتحادية بكثير ولهذا كان أحسن حال عوامهم أن يكونوا رافضة جهمية وأما الاتحادية ففي عوامهم من ليس برافضي ولا جهمي صريح ولكن لا يفهم كلامهم ويعتقد أن كلامهم كلام الأولياء المحققين وبسط هذا الجواب له مواضع غير هذا والله أعلم . اهـ باختصار . فتاوى ابن تيمية ج 35/ص 144.

وفي فتاوى الأئمة النجدية 3/295 عن بني عبيد أنه مجمع على كفرهم ومع ذلك كانوا يقيمون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة .

فصل

السماعون لبعض الصوفية (الذين ظاهرهم الإسلام)

قال ابن تيمية في الفتاوى [10] في أتباع يونس وذكر كفر كثير منهم ، لكن عذر من التبس عليه حقيقة هذه الطائفة مع أنه لا يعلم كفرهم لذا لم يكفرهم لظنه أنهم مسلمون أولياء لله ، فقال : " أما المنتسبون إلى الشيخ يونس فكثير منهم كافر باللّه ورسوله لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان ، وحج البيت العتيق ، ولا يحرمون ما حرم اللّه ورسوله ، بل لهم من الكلام في سب اللّه ورسوله والقرآن والإسلام ما يعرفه من عرفهم وأما من كان فيهم من عامتهم لا يعرف أسرارهم وحقائقهم ، فهذا يكون معه إسلام عامة المسلمين الذين استفاده من سائر المسلمين لا منهم " اهـ .

وقال ابن تيمية في طائفة الصوفية (الفتاوى 1/ 367) وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي وتجد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظن بهم " إلى أن قال " ولا يُتصور أن يثني على هؤلاء إلّاكافر ملحد أو جاهل ضال ". ولذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقاً منافقاً ، **وإما جاهلاً ضالاً** ".

فصل

السماعون للطائفة القلندرية

نقل عبد اللطيف بن عبد الرحمن في المنهاج النقل (17) ما ذكره ابن تيمية عن هذه الطائفة وملخصه : أنها طائفة لا يوجبون ما أوجب الله ولا يحرمون ما حرم الله ، وذكر أن فيهم الشرك الأكبر

---

[10] () الفتاوى 2/106 .

ثم ذكر أجناسهم وكفّرهم (باعتبار النوع والجنس) إن أظهروا ومنافقون إن أبطنوا ، وقال **ويكون فيهم من هو مسلم ولكنه مبتدع ضال أو فاجر فاسق ،** وذكر أنهم جهال فقال وأكثرهم ليس عنده من آثار الرسالة ما يعرفون به الهدى وأن كثيرا منهم لم يبلغه الهدى .
ثم قال عبد اللطيف : إن ابن تيمية استثنى تكفيرهم زمن الفترة لأنه لم تبلغهم الدعوة لكن ليسوا بمسلمين . ثم قال عبد اللطيف عنه : أنه بين الأصل في أمثال هؤلاء وهو أن أصل المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولا مطلقا ولا يجب أن يُحكى في كل شخص قال ذلك أنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وانتفى الموانع (لاحظ أنه نفى التكفير لا مسمى أنهم مشركون أو أثبت لهم الإسلام) . فكفّر مقالاتهم باعتبار النوع أما الأعيان فلا حتى يثبت في حقه شروط التكفير وانتفاء الموانع اهـ . ملخصا . فتاوى الأئمة النجدية 3/278 . المنهاج .

فصل السماعون للتتار

في الفتاوى 28/ 514 حيث سئل عنهم وهم يتكلمون بالشهادتين وينتسبون للإسلام وسئل عن حكم من كان في عسكرهم من المنتسبين إلى العلم والفقه والفقر والتصوف وما يقال فيمن زعم أنهم مسلمون ، فإن أمرهم قد أشكل على كثير من المسلمين بل على أكثرهم تارة لعدم العلم بأحوالهم وتارة لعدم العلم بحكم الله تعالى ورسوله في أمثالهم ؟ ثم أجاب عن ذلك وأطال جدا رحمه الله .

فصل

السماعون للحلاج

فقد كفره ابن تيمية في الفتاوى [11] ثم ذكر فيمن توقف في كفر الحلاج فقال في ص 483 : " لكن بعض الناس يقف فيه لأنه لم يعرف أمره ".
ودونه دجاجلة منهم من يدعى النبوة ومنهم من يكذب بغير ادعاء النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان
قال ابن تيمية : وهناك دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، فالحلاج كان من الدجاجلة بلا ريب ولكن إذا قيل هل تاب قبل الموت أم لا قال الله أعلم فلا يقول ما ليس له به علم ولكن ظهر عنه من الأقوال والأعمال ما أوجب كفره وقتله باتفاق المسلمين والله أعلم به اهـ فتاوى ابن تيمية ج 35/ص 119 مختصرا .

---

[11] () الفتاوى 2/480 وما بعدها .

وقال القاضي عياض : واجمع فقهاء بغداد من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته . وكذلك حكموا في أبي العزاقير وكان على نحو مذهب الحلاج . اهـ الشفا ص 258 .

فصل

السماعون للطاغوت الملتبس

أمرهم وتسميتهم مسلمين

قال تعالى (**ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل**) الآية ،

وهم أنواع :من سماه مسلما جهلا لحالهم أو تأويلا أو تقليدا أو التباسا أو لعدم معرفة حكم الله في أمثالهم ففيه قوله تعالى (**فمالكم في المنافقين فئتين** ..) وكلام ابن تيمية في ابن عربي والحلاج والتتار والقرامطة والطائفة اليونسية وهي طائفة الشيخ يونس ، راجع الفتاوى 1/364-366-368، والفتاوى 2/106-121-131-378-480 وما بعدها ، وكلام محمد بن عبد الوهاب مع طلابه الذين شكّوا في تكفير الطواغيت (تاريخ نجد ص 410) وما ذكره في التتمة مع بعض الزائغين في كتابه مفيد المستفيد .

أما من قاله نفاقا أو زندقة ففيه كلام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في آخر كتابه أوثق عرى الإيمان ، وعبد الرحمن بن حسن في شرحه لأصل الإسلام وقاعدته . وابن تيمية كما سبق .

فجاهل الحال يُعرّف ويوضح له ، ومدعي المانع يُفهّم مالم يُصرا ، والعارف ببواطنهم يُلحق بهم 0

وفي البخاري قال جرير والأشعث لعبد الله بن مسعود في المرتدين استتبهم وكفلهم فتابوا وكفلهم عشائرهم .

قال ابن تيمية :في الفتاوى ص 2/132 في كل من ساعد طائفة ابن عربي ، فقال: "ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذب عنهم أو أثنى عليهم أو عظّم كتبهم أو عُرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو أو من قال أنه صنف هذا الكتاب وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلّا **جاهل** أو منافق ، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان .

وقال ابن تيمية في الفتاوى [12] ، لما كفّر طائفة ابن عربي وعذر من جهل حالهم قال : " ولكن هؤلاء التبس أمرهم (أي طائفة ابن

---

[12] () الفتاوى 2/131 .

عربي) على من لم يعرف حالهم كما التبس أمر القرامطة الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع فصار المتبعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم ولذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقاً منافقاً ، **وإما جاهلاً ضالاً** ".

وقال ابن تيمية في طائفة الصوفية (الفتاوى 1/ 367) وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي وتجد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظن بهم " إلى أن قال " ولا يُتصور أن يثني على هؤلاء إلاّ كافر ملحد أو جاهل ضال ". ولذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقاً منافقاً ، **وإما جاهلاً ضالاً**".

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (في الدرر 8/118) لما ذكر المرتدين وفرقهم قال منهم من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى عبادة الأوثان ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة ظنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه في النبوة لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك فصدقهم كثير من الناس ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك **ومن شك في ردتهم فهو كافر**) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : في تاريخ نجد ص 310 : حيث أنكر على من لم يكفر أناسا من الطواغيت معروفين مشتهرا أمرهم فقال : " إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له ويأمرون الناس به كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفرهم أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاًفلا يخرجهم إلى الكفر فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه " اهـ .

فصل

السماعون للعلمانيين والبرلمانيين

قال تعالى **(لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)** قال الله تعالى (**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) .**

وقال ابن تيمية في الفتاوى [13] ، لما كفّر طائفة ابن عربي وعذر من جهل حالهم قال : " ولكن هؤلاء التبس أمرهم (أي طائفة ابن

---

[13] () الفتاوى 2/131 .

عربي) على من لم يعرف حالهم كما التبس أمر القرامطة الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع فصار المتبعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم ولذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقاً منافقاً ، **وإما جاهلاً ضالاً**".

قال ابن تيمية :في الفتاوى ص 2/132 في كل من ساعد طائفة ابن عربي ، فقال: "ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذب عنهم أو أثنى عليهم أو عظّم كتبهم أو عُرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو أو من قال أنه صنف هذا الكتاب وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلاّ **جاهل** أو منافق ، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان .

انتهى المقصود والحمد لله اولا وآخرا .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهرس

المقدمة
1 ـ تمهيد

1 ـ كتاب تعريف النفاق

2 ـ باب ما هو النفاق ؟
3 ـ باب قول أهل البدع في المنافق

2 ـ كتاب باطن المنافق وظاهره

4ـ باب ماهو باطن المنافق ؟
5 ـ باب مثال للباطن
6 ـ باب مثال للإظهار الأصغر
7 ـ باب مثال للإظهار الأصغر وقت ضعف السلطان أو أمنت العقوبة أو المحن والمصائب والفتن
8 ـ باب ظاهر المنافق ماهو ؟
9 ـ باب الخبر غير الموثوق باطن أم ظاهر ؟
10 ـ باب مثال للإظهار الأكبر
11 ـ باب المنافق قد يقترب من الكفر الظاهر وقد يبتعد
12 ـ باب الظهور الأصغر في النفاق غير الظهور في المرتد
13ـ باب هل الإظهار الأصغر يقوم مقام البينة لكن على التخيير ؟
14ـ باب إذا ظهر ظهور نقل من واحد لا ظهور سماع ورؤية تصح معه الشهادة
15ـ باب قبول الظاهر أو علانيته لا يعني التصديق
16ـ باب العلم بالنفاق غير الإعلان والظهور
17ـ باب ظهور أعمال المنافقين من المؤمن
18ـ باب من جحد بعد ثبوت البينة فهل هو ظاهر ام باطن ؟

3ـ كتاب الاسماء

19ـ باب ومن أسماء النفاق
20 ـ باب أسماء المنافقين على التعيين وأن بعضهم معروف بعينه
21 ـ باب الأصل في اسم من أظهر الاسلام ولم يمتنع عنه او يتركه إما مؤمن أو منافق
22 ـ باب اذا شككنا في من أظهر الاسلام هل له حكم المنافق أم المرتد
23 ـ باب العلم بمسمى النفاق يكون بالصفات أو الدلائل والقرائن
24 ـ باب العلم بمسمى النفاق يكون بشهادة الواحد
25 ـ باب ماذا يفيد الشيوع المبني على الدلائل أو خبر الواحد ؟
26 ـ باب يجوز الاخبار بهما
27 ـ باب في المسمى هل هناك فرق بين العلم والإظهارين ؟
28 ـ باب المنافق يسمى مرتدا بالاضهار الأكبر لا بالبينة وانما البينة

للاحكام والاستتابة
29 ـ باب العجز عن أحكام المرتد لا يعني منع التسمية والمنافق في الإظهار الأكبر مرتد اسما وحكما ولا يعني تخلف الاحكام عجزا انه يسمى بغير اسمه
30 ـ باب خطأ من قال اذا ظهر النفاق ولم يثبت بالبينة فهو منافق اسما وحكما
31ـ باب مناط الاسم غير مناط القتل والعقوبات
32ـ باب مسمى الزنديق
33ـ باب مسمى غير الزنديق إذا اجتمعا
34 ـ باب اسم المرتد في القرآن
35 ـ باب تسمية المنافق مرتدا والعكس
36 ـ باب الدم والمال والعقوبات ليس معلقا بالاسم بل بالبينة والمواريث بالنصرة الظاهرة
37ـ باب جامع لفقه المسألة
38 ـ باب الفرق بين من كفر من أجل التاويل وبين المنافق
39 ـ باب الفرق بين المنافق والمبتدع
40 ـ إذا سمى الفاسق والعاصي منافقا متأولا أو لشبهة
41 ـ باب الانتساب الى الطوائف الغليظة عن علم بها يخرجه من مسمى نفاق غير الزندقة إليه فيعامل معاملة الكافر باعتبار
42 ـ باب اسم من غلبت عليه شعب النفاق
43 ـ باب موانع التنفيق الاكبر

4 ـ كتاب صفات المنافقين

44 ـ باب صفات وأحكام النفاق حسب السور
45ـ باب جامع صفاتهم
46ـ باب النفاق يزيد وينقص ويتبعض وله شعب
47 ـ باب الالقاء بالمودة من شعب النفاق وهي غير التولي

5 ـ كتاب أنواع النفاق

48 ـ تمهيد
فصل في النفاق الأصغر
فصل النفاق الأصغر فوق الكبائر وفوق البدعة الصغرى
فصل هل يُسمى من أتى بالنفاق الأصغر منافقا ؟ أم يقال فيه نفاق
فصل ومن النفاق الأصغر ما بُني على اعتقاد في مسالة خفية أو جهل
فصل في النفاق الأكبر
فصل وقد يكون النفاق الأكبر في الشرك
فصل وهو باعتبار الأشخاص أنواع :

فصل في تنوعه باعتبار التغليظ
فصل في تنوعه باعتبار التابع والمتبوع
فصل في تنوعه باعتبار البلاد
49 ـ باب ومن أنواع النفاق عدم النية وهو مَنْ عَمِل الأركان والمباني لأنها عادة اجتماعية وتقاليد فقط
50 ـ باب ومن أنواع النفاق ترك المباني الأربع كسلا وخفية ومن تركها إمتناعا فهو مرتد
51 ـ باب ومن الأنوع من فيه إيمان ونفاق
52ـ باب ومن الأنواع رمى العلماء والمجاهدين ونحوهم يريد بذلك ضعف الاسلام والصحوة
53ـ باب ومن الأنواع ترك الجهاد او خذّل عنه او ثبط او تخلف عنه يريد ضعف الاسلام وهزيمة المسلمين فهذا نفاق لا من فعله خوفا او جبنا او حبا للدنيا
54 ـ باب الاعتراض والمراجعات هل هو من أنواع النفاق ؟

6 ـ كتاب توبة المنافق

55 ـ باب متى تقبل توبة المنافق ؟
56ـ باب من تاب من النفاق قبل الاظهار الأكبر
57 ـ باب من أقام على نفاقه وامتنع عن التوبة

7 ـ كتاب أحكام المنافقين

58 ـ باب فقه المسألة
59ـ باب هل قتله حكما جائزا لكن الإمام مخير ومع المفسدة الأولى تركه ؟
60ـ باب ومن الأحكام أن المنافق كافر باعتبار
61 ـ باب الا ما استثني
62 ـ باب ومن الأحكام أن المنافق مسلم باعتبار
63 ـ باب تجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر في الدنيا
64 ـ باب إلا ما استثني
65 ـ باب جواز تحريض العلماء على قتل المنافق المظهر
66 ـ باب حكم من أظهر النفاق الأصغر ثم حُذر وأنذر ثم أظهرتحتم قتله لإفساده
67 ـ باب عقوبة المنافق إذا أظهر
68 ـ باب عقوبة المنافق إذا لم يظهر
69 ـ باب حكم المنافق إذا كان في الباطن يخفي ملة فحكمه حكم من أظهر تلك الملة
70 ـ باب المبتدع إذا كان في الباطن لا يخفي ملة فما هو حكمه ؟
71 ـ باب حكم ولي الأمر إذا كان منافقا

72 ـ باب حكم من لم يصرح بتكفير المنافق علنا أو في مواجهته مع أنه يعتقد بغضه ومعاداته وكفره
73 ـ باب ومن الأحكام قتال المبتدعة

8 ـ كتاب جهاد المنافق

74 ـ تمهيد
75 ـ باب كيفية جهاد المنافقين
76 ـ باب في عقوباته
77 ـ باب العقوبات الشرعية والقدرية
78 ـ باب هل للنفاق حد وهل هو عقوبة ؟
79 ـ باب علة ترك قتل للنفاق وهل هو علة في غيره من الحدود والعقوبات

القسم السياسي

9 ـ كتاب دول الزنادقة والمنافقين

80 ـ أثر البدع والإلحاد على الدول
81 ـ باب الظهور الفكري لأهل البدع والإلحاد يسبق ظهور دولهم
82 ـ باب القرامطة
83 ـ باب العبيديين
84 ـ باب الإسماعيلية والنصيرية والخرمية والدروز
85 ـ باب الفلاسفة
86 ـ باب الاتحادية وأهل الحلول ووحدة الاديان و أهل حوار الاديان
87 ـ باب الجهمية
88 ـ باب الرافضة
89 ـ باب دول المبتدعة هل هي دول منافقون كفار ؟
90 ـ باب المغلِّظ من أهل السنة
91 ـ باب ومنهم العصرانيون والبرلمانيون

10 ـ كتاب السماعين

92 ـ باب تعريف السماع
93 ـ باب التجهم من بدع المنافقين والمعتزلة والاشاعرة والماتريدية سماعون لهم
94 ـ باب العصرنة من بدع المنافقين و الانهزاميون سماعون لهم والمرجئة المعاصرة من السماعين
95 ـ أبواب العوام السماعين
فصل السماعون لإبن عربي
فصل السماعون للقرامطة والباطنية
فصل السماعون لبعض الصوفية (الذين ظاهرهم الإسلام)
فصل السماعون للطائفة القلندرية
فصل السماعون للتتار

فصل السماعون للحلاج
فصل السماعون للطاغوت الملتبس أمرهم وتسميتهم مسلمين
فصل السماعون للعلمانيين والبرلمانيين